التغيير الاجتماعي
على ضوء القرآن الكريم
(الحالة اليمنية نموذجًا)

التغيير الاجتماعي
على ضوء القرآن الكريم
(الحالة اليمنية نموذجًا)

ماجد بن أحمد الوشلي

© جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

ISBN 978-614-440-181-1

[٢٠٢٠م - ١٤٤٢هـ]

مؤسسة محمديون للثقافة والنشر

تصميم:

علي بزي

إخراج فني:

ماجد مصطفى

طباعة:

DPI
Digital Printing International

07762001 - 70743117

dpidigitalprinting@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

الإهداء..... ٩

شكر وتقدير..... ١١

مقدمة..... ١٣

الفصل الأول: التغيير الاجتماعي - المفهوم والنظريات..... ٢٣

تمهيد..... ٢٥

١-١- المبحث الأول: التغيير الاجتماعي - المفهوم والماهية..... ٢٧

١-٢- المبحث الثاني: التغيير الاجتماعي والفعل الإنساني..... ٤١

١-٣- المبحث الثالث: عوامل التغيير الاجتماعي ومجالاته..... ٥٧

١-٤- المبحث الرابع: النظريات القديمة في التغيير الاجتماعي..... ٧١

١-٥- المبحث الخامس: النظريات الحديثة في التغيير الاجتماعي..... ٨١

الفصل الثاني: التغيير الاجتماعي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق..... ٩١

تمهيد..... ٩٣

٢-١-المبحث الأول: التغيير على ضوء القرآن الكريم..... ٩٥

٢-٢- المبحث الثاني: نظرية الإصلاح الاجتماعي في القرآن الكريم ١٠٧
٢-٣- المبحث الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم ١٢٣
٢-٤- المبحث الرابع: التغيير الاجتماعي في القصص القرآنية ١٤٣
٢-٥- المبحث الخامس: السُّنن الإلهية للتغيير الاجتماعي ١٥٧

الفصل الثالث: المشروع التغييري لحركة أنصار الله في اليمن ١٧٥
تمهيد ١٧٧
٣-١- المبحث الأول: مُحدّدات تجربة أنصار الله في البيئة اليمنية ١٧٩
٣-٢- المبحث الثاني: أركان المشروع التغييري عند حركة أنصار الله ١٩٩
٣-٣- المبحث الثالث: التغيير والعمل السياسي عند أنصار الله ٢١٧
٣-٤- المبحث الرابع: تقويم تجربة أنصار الله وآفاقها ٢٣٥

الخاتمة ٢٤٩

فهرس المصادر والمراجع ٢٥٧

الإهداء

إلى المُضحين على تراب اليمن:

إلى أرواح شهداء الوطن، ومن نفخر بأسمائهم تمجيدًا وتخليدًا، إلى أحبتنا الشُرفاء.

إلى الجرحى المجاهدين والمناضلين، من حلّق صبرهم ليعانق روح السماء.

إلى أسرى الجيش واللجان الشعبية... من لا تلين لهم عزيمة... عزًا وحريةً رغم قيود السجن وسلاسل الأسر.

إلى الذين هُدمت وقُصفت بيوتهم، فالتحفوا السماء شموخًا، حتى تشرقَ شمس الحرية والانتصار.

إلى أبطالنا ورجالنا، من سكنوا الجبال، وصبروا على الليالي وبردها رغم آلة الحرب وإجرام العدوان، إلى الذين سبقوا، والذين لحقوا، وما هانوا وما استكانوا، إلى أصل العروبة ووطن الشُهداء.

إلى ربوع اليمن السعيد، وإلى المُضحين على تراب الوطن، أُهدي إليكم هذا الجُهد المتواضع عرفانًا وتكريمًا لكم بما قدّمتموه لشعب الإيمان والحكمة، وأقول لكم أنتم فخر هذه الأمة وعزها وبكم أصبحنا

في سماء الكرامة والمجد فدماؤكم الزكية كانت لنا نبراسًا في حياتنا العلمية والفكرية، فأنتم أيها الشرفاء شمعة الطريق وحُماة الدّيار.

ماجد أحمد الوشلي

شكر وتقدير

وفي طريقنا نحو العلم والمعرفة نقتبس من علوم القرآن الكريم والعترة الطاهرة، كي نكون في خط الرسالة والولاية، ونمضي في هُداهم ونهجهم القويم الذي يحفظ لنا إسلامنا وعقيدتنا، لا بد لنا ونحن نخطو خطواتنا في درجات العلم من وقفةٍ نعود فيها إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع علمائنا وأساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهودًا كبيرة في بناء الجيل الذي يحمل هذه الرسالة وينوّر طريق الحياة في المجتمع.

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[1]. ومن باب وجوب شكر المنعم فإني أشكر الله عزّ وجل أنْ منّ عليّ ووفقني لإتمام هذا البحث، أحمده على جزيل نعمه، وعواطف كرمه.

وقبل أن نمضي، نقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة، إلى الذين مهّدوا لنا طريق العلم والمعرفة، إلى جميع أساتذتنا الكرام.

---

(١) سورة **النحل**، الآية: ١١٤.

وأتوجّه بالشكر الجزيل أيضًا إلى جميع أساتذتي الفضلاء في جامعة المصطفى «ص» العالمية - فرع لبنان - الذين لم يألوا جهدًا في إعطائنا من علومهم بكل همة وإخلاص، وقدَّموا لنا ما نحتاجه في هذه المرحلة الاستثنائية من تاريخ الأمة الإسلامية والتي تعاني الكثير من التحدّيات والصعوبات في كشف الحقائق وإعطاء الصورة الواضحة للشعوب. وأخص بخالص الشكر والعرفان سماحة الشيخ الأسعد بن علي قيدارة على تواضعه وجهده المبذول في سبيل توجيهي خلال فترة إنجاز البحث ووقوفه إلى جانبي بصدر رحب، وأسال الله أن يمدّ في عمره، وأن يوفِّقه لخير الدنيا والآخرة.

راجيًا من الله العليّ القدير أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم، وأن يوفِّقهم لخدمة الإسلام والقرآن، وأن يكونوا في خير وعافية، إنّه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ وَدَنَا بِطَوْلِهِ مَانِحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَفَضْلٍ، وَكَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَأَزْلٍ، أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ وَسَوَابِغِ نِعَمِهِ، وَأُومِنُ بِهِ أَوَّلًا بَادِيًا، وَأَسْتَهْدِيهِ قَرِيبًا هَادِيًا، وَأَسْتَعِينُهُ قَاهِرًا قَادِرًا، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِيًا نَاصِرًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ لِإِنْفَاذِ أَمْرِهِ وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ وَتَقْدِيمِ نُذُرِهِ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ[1].

في الدراسات الاجتماعية القرآنية التي تهتم بارتقاء الإنسان إلى الكمال المعرفي والعلمي في مراحل حياته، نلاحظ أن لكلّ دراسة أو منهجية علمية مهما بلغ حجمها وأهميتها، طبيعة تختصّ بها، ومراحل نموّ تمرّ بها، وتميّزها عن غيرها، كمراحل نمو الكائنات الحيّة. ومن الواضح أن الأبحاث المتعلّقة بالتغيير الاجتماعي لها طبيعة ديناميكية خاصّة بعيدة كل البعد عن القوالب التنظيرية لكونها ترتبط بسُنن الله التكوينية، والتي لها أهمية كبرى في حياة الإنسان، وذلك لارتباطها المباشر بالنظام الفطري الذي يُقوّم الوجود، والمسلك البشري لذلك الإنسان الذي يُعدّ

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٣.

بدوره خُلاصة عالم الخلقة والإيجاد في هذه النشأة العُنصرية حيث خُتمت به التجلّيات والكمالات الصُورية، وجمعت في فطرته سائر الكمالات والمعارف العلمية التي تختزن في قالب حياته وتجربته.

والإسلام دين اجتماعي يُراعي حاجات الإنسانية ومصالحها الحيويّة في حـدود الحق. وهو الـذي يستطيع بتعاليمه السّمحة أن يؤسس المجتمع -مُجتمعًا محُصنًا بثقافة القرآن- على أُسس قويمة وأخلاقية عُليا، تلبّي مطالب الروح والجسد بالاعتدال والاتزان، ويكون حقيقةً الإنسان المُهذّب المؤمن. وما في المجتمع الإسلامي من جزئيات وكليات كفيل بقيام مجتمع إنساني تسوده روح الصدق والتعاون في حياة الإنسان الذي يطمح إلى الكمال البشري، وتحقق النموذج الأمثل في الأرض..

وقد حملت الكتب السماوية في طيّاتها تشريعات جمّة لإصلاح النظام الاجتماعي والدّفع به نحو الأمام. وضمّ القرآن الكريم بين دفّتيه تشريعات ترتبط ببنية المجتمع المنشود وقواعد التغيير الاجتماعي إضافةً لما أمضاه من بعض ما جاء في الكتب السماوية التي تؤسس لقيام المجتمع النموذجي للبشرية كافّة. وقد جعل الله لنا هذا الكون والكتاب التكويني الطبيعي مُتحرِّكًا غير ساكن، ومُتغيّرًا بشكل دائم، لنبرز من خلال حركته المستمرة كمالاتنا. وسرُّ العظمة في النظام الكوني يكمن في ديمومة حركته، والتي من خلالها يصل كل شيء فيه إلى أقصى ما يستحقه من درجات وكمالات. وقد جعل الله لكل شي فلكه الذي يسبح فيه، وحركته الكونية التي ينشط فيها، ولذا يقول عزّ من قائل: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[1] الأمر الذي يثبت لنا أن نظام هذا الكون مبنيّ على

(١) سورة يس، الآية: ٤٠.

التغيير والتغيّر المستمرَّين فلا اسم ولا رسم فيه لشيء يُدّعى الثبات، بل كل شيء فيه متحرّك ومتغيّر ويمرّ بأطواره المختلفة ومراحله المتميّزة.

وبما أن البحث مرتبط بالتغيير الاجتماعي على ضوء القرآن الكريم؛ فمن الأهمية البالغة التعرّض للآيات المرتبطة بالسُّنن التكوينية والفطرية والمتعلّقة بدورها بظرف الاجتماع المرتبط بوجود الإنسان على الأرض، وخلافته فيها. وسنرى أن الإنسان بمعارفه الفكرية، وسلوكه العملي والأخلاقي هو المُتسبب الأول في إحداث التغيير الاجتماعي على الواقع الخارجي بجانبَيه الظاهري والباطني بعد أن تفطّن بفطرته التي أودعها الله فيه إلى الضرورة الماسّة للحياة الجماعية، وتشكيل النظام الاجتماعي حيث تُعدّ هذه الضرورة من أبده الضروريات التي يواجهها في حياته لإبراز كمالاته.

ورغم أن هذه الضرورة الاجتماعية تعيش في ضمير كل فرد من أفراد النوع الإنساني، ومنغمسة في أعماق وجوده؛ إلا أنها لم تُبحث بشكل علمي بالمستوى الذي تستحقّه، ولا سيما في مجتمعاتنا الشرقية - العالم العربي والإسلامي - التي بقيت قاصرة ومُقصّرة في العناية بمجالات المعرفة والفكر عمومًا، وبالأبحاث المُتعلقة بشؤون التغيير الاجتماعي خصوصًا، بينما في المقابل نجد أن المجتمعات الغربية قد أولت الأبحاث والعلوم الاجتماعية أهمية كبرى لعلمها أن فهم العناصر الأساسية في الحياة الإنسانية التي يتألّف منها الظرف الاجتماعي والمتغيّرات البيئية سيُسهم إيجابًا في توجيهها وتصحيح مسارها لكي لا تُصبح ضحية الإفراط والتفريط، وتكون النتائج سلبية للتجارب البشرية التي يعيش فيها الإنسان.

الإشكالية

النظريات الاجتماعية في التغيير التي انعكست على المجتمعات الإسلامية كان لها الدور الأبرز في التغيير على ضوء المنهج الإسلامي، والقرآن الكريم يقول في محكم كتابه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[1] الأمر الذي دعانا لأن نجعل القرآن المحور الأساسي والمركزي في دراستنا للتغيير الاجتماعي، وخاصّة في المجتمع اليمني كونه مُجتمعًا إسلاميًا محُافظًا، وله خصوصيات كثيرة وفي هذه الفترة الاستثنائية التي يمرّ بها والتي تمثل منعطفًا تاريخيًا وثقافيًا هامًا، فكان لهذا البحث أهميته وأولويته الاستثنائية في اليمن على المستوى الاجتماعي والفكري والثقافي، وكانت الإشكالية الرئيسة لهذا البحث تتمحور حول هذا السؤال: ما هي نظريات التغيير الاجتماعي على ضوء القرآن الكريم؟ وكيف انعكست على المشروع الفكري لحركة أنصار الله اليمنية؟

الفرضيات

التغيير الاجتماعي من جهة انبساط القرآن وأحكامه وقوانينه، وسننه التكوينية على ظرف الاجتماع الإنساني فيتربّى فيها العقل البشري في ظلّ وحضانة الشريعة وحمايتها، ويترعرع في كنفها ويتخلّق بأخلاقها دون أن يفقد حريته في الاختيار واستقلاليته في القرار، فيمكنه وهو في أوج ذلك الظرف أن يحيط بتمام المصالح والمفاسد المتعلقة بفعله دون أن يفقد شيئًا من الكمالات التي تتطلبها ذاته في سيره التكاملي فيصبح عارفًا بالله وخليفة له في أرضه، ومسألة التغيير الاجتماعي العملي قبل انبساط القرآن وأحكامه على ظرف الاجتماع حيث يبتدئ الإنسان بتغيير

---

(١) - سورة **النحل**، الآية: ٨٩.

نفسه فيربيها علميًا وعمليًا. ولذا فقد تمحور البحث حول الكثير من النظريات والرؤى الاجتماعية والقرآنية التي تتحدّث عن التغيير، وعن الإصلاح على الصعيد الفردي والاجتماعي، إذ جعلنا من الإصلاح الفردي منطلقًا إلى الإصلاح والتغيير المجتمعي، فإذا تحقق الإصلاح على صعيد المجتمع استطعنا أن نؤسس لوجود المجتمع الإسلامي النموذجي، والذي به نُحقق هدف كل الرسالات السماوية انطلاقًا من قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾[1].

ولعل أبرز الفرضيات الأساسية لهذه الدراسة هي كالآتي:

١- النظريات الاجتماعية المعاصرة أدركت مرحلة متقدمة من البحث في فهم التغيير الاجتماعي وقوانينه، ولكنها تعاني قصورًا من جهات عدة.

٢- النظرية القرآنية في التغيير الاجتماعي واقعية ونموذجية وتجسد المعالم الواضحة للتغيير.

٣- التجربة اليمنية – حركة أنصار الله نموذجًا - في التغيير الاجتماعي ناشئة من الفهم العميق للقرآن الكريم، وحسن تطبيقاته على المجتمع اليمني.

منهج البحث

لقد بحث علماء الاجتماع نظريات التغيير الاجتماعي، واعتمدوا مناهج عديدة لدراسة هذه النظريات، ولما كان المنهج الوصفي هو العمدة في البحوث الاجتماعية فقد استندت الدراسة إلى هذا المنهج، ومن جهة

---

(١) سورة **الرعد**، الآية : ١١.

ثانية يستهدف البحث استكشاف النظرية القرآنية، وتقويم تجربة حركة أنصار الله في اليمن؛ فكان لا بدّ من المنهج الاستقرائي من خلال استقرائنا للنصوص القرآنية، واعتمادنا على المشاهدات والإحصائيات المنقولة والموثّقة من قبل المؤرخين، كما أننا استفدنا من المنهج التاريخي لتجزئة الحوادث والظواهر الاجتماعية وتفكيك عناصرها لنتمكن من دراستها ومقارنتها بمثيلاتها وأضدادها.

أهداف البحث

بما أنّ هذا البحث مرتبط بالعلوم الاجتماعية، وبالدراسات القرآنية التي تعالج موضوع التغيير الاجتماعي؛ فقد انصبّ التركيز على عنوانين رئيسيّين يرتبطان بالبحث بشكل تفصيلي:

الأول: الرؤية القرآنية والمعبَّر عنها بالكتاب التدويني، وهو خُلاصة الكتب السماوية الإلهية وخاتمتها.

والثاني: موضوع التغيير الاجتماعي ونظرياته العلمية والعملية والمرتبطة بظرف الاجتماع الذي يعيشه المجتمع، ويحتاج إليه في إبراز كمالاته المعرفية والفكرية، إذ لا يمكن أن يحقق إنسانيته دون هذا الظرف. ومن الطبيعي إذا عاش المجتمع بفكره وفعله في ظرف الاجتماع بعيدًا عن تعاليم وثقافة القرآن فإنه سيفقد الكثير من الطرق التي يمكن أن توصله إلى الكمال.

وقد تلخصت أهداف البحث في الأمور التالية:

- أولًا: استكشاف معالم النظرية القرآنيّة في التغيير الاجتماعي.

- ثانيًا: فهم وتحليل تجربة حركة أنصار الله في تطبيقهم للنظرية التغييرية على ضوء القرآن.
- ثالثًا: نقد وتقييم حركة أنصار الله في ضوء النظرية القرآنيّة للتغيير.
- رابعًا: استشراف مستقبل حركة أنصار الله في اليمن.

والانتقال بالمجتمعات من الحالة الضرورية إلى المثالية النموذجية هو الهدف والغاية التي سعى ويسعى لبلوغها الرسل والمصلحون برسالاتهم وعقائدهم بقصد إيجاد التغيير الاجتماعي، وخلق المجتمع المثالي لما لهذا الهدف من أهمية وقُدسية، وهو ما دعانا لأن نجعله غايتنا من وراء هذا البحث العلمي والقرآني. وقد تحدثنا في هذه الرسالة عن الأدوات التي ذُكرت في القرآن الكريم والتي يمكن بها تغيير الأوضاع في المجتمعات فحققنا بذلك هدفًا أساسيًا من أهداف الرسالة الإسلامية في التغيير الاجتماعي، وهذه المسألة هي من أهم الأهداف والغايات التي دفعتنا إلى كتابة هذا البحث

معوقات وصعوبات البحث

بما أن موضوع بحثنا يتعلّق بالجانب الاجتماعي، وبالدراسات القرآنية فقد واجهتنا مُعوقات ومشاكل عديدة مختلفة أثناء كتابة الدراسة، منها قلّة المصادر والمراجع، وصعوبة الوصول إلى المتوفر منها لوجودها في مناطق متفرقة، وخاصّة في اليمن، أو نائية لا يمكن بلوغها إلا بجُهدٍ جهيد. وقد كانت المصادر موجودة في بعض الأحيان، ولكنها كتبت بلغات يصعب الاستفادة منها إلا بعد جُهود في الترجمة، ولكن بطبيعة الحال لم يسقط الميسور منها بالمعسور. وقد كانت الطرق المطروحة

لمعالجة الموضوع في الكثير من المصادر هي الأكثر تعقيدًا من خلال الأطروحات والدراسات التي تهتم بالجانب المادي فقط.

ورغم أن البحث يشتمل على عنصرين هما المادية والمعنوية إلا أن مُعظم المصادر عالجته في جنبته المادية فقط، أو المادية المُصطبغة بمسحة معنوية ودينية، ولكنها في كل الأحوال كانت بعيدة عن الرؤية والثقافة القرآنية الأصيلة؛ لذلك كانت الاستفادة من تلك المصادر بالنسبة لنا محكومة بكيفية مُعينة وفقًا للرؤية التي نتبنّاها. وقد اقتضى ذلك وقتًا طويلًا لتركيب الصور العلمية والمعرفية التي نطمح إلى أن نصل إليها. ورغم كل هذه الصعوبات والعوائق البحثية إلا أننا حاولنا أن نجعل البحث يتسم بالشمولية والإحاطة من خلال الاطلاع على أكبر قدر من المصادر المتنوعة المتاحة والاستفادة منها، إذ لم نكتفِ بالكتب بل استعنّا أيضًا بالمحاضرات الإسلامية المسموعة والمرئية ولا سيما المرتبطة بفهم ورؤية القرآن الكريم، لكونها كانت تزخر بكمٍّ هائل من المواد العلمية التي أثْرَت البحث وأخرجته برؤية جديدة.

ولا بُدّ من الالتفات أن هذا البحث يتضمن دراسة تحليلية لتجربة حركة أنصار الله في اليمن على ضوء المنهج القرآني للتغيير، ومن الدراسات القليلة التي حاولت أن تُقيّم تجارب الحركات الإسلامية في التغيير على ضوء النظرية القرآنية وبالخصوص حركة أنصار الله اليمنية، وهي من البحوث الرائدة في معالجة النظرية القُرآنية للتغيير بطريقة مغايرة عن سابقاتها.

محاور البحث الرئيسة – الخطة

وكي تتضح رؤية البحث لا بُدّ من تقديم المحاور الرئيسة التي ستتعلق بموضوع التغيير الاجتماعي على ضوء القرآن، وطرحها بشكل منهجي وتكاملي حتى تكون المنهجية البحثية واضحة في معالجة الموضوع. وقد تمّ تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول رئيسة، وفي كل فصل هناك عدّة مباحث، وتُعالج في كل مبحث بشكل مُفصّل ودقيق، وهي على النحو الآتي:

الفصل الأول: التغيير الاجتماعي - المفهوم والنظريات، وفيه خمسة مباحث رئيسة:

- المبحث الأول: ماهية التغيير الاجتماعي وتعريفه.
- المبحث الثاني: التغيير الاجتماعي والفعل الإنساني.
- المبحث الثالث: عوامل التغيير الاجتماعي ومجالاته.
- المبحث الرابع: النظريات القديمة في التغيير الاجتماعي.
- المبحث الخامس: النظريات الحديثة في التغيير الاجتماعي.

الفصل الثاني: التغيير الاجتماعي في القرآن بين النظرية والتطبيق، وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: التغيير في ضوء القرآن الكريم.
- المبحث الثاني: نظرية الإصلاح الاجتماعي في القرآن الكريم.

- المبحث الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم.
- المبحث الرابع: التغيير الاجتماعي في القصص القرآنية.
- المبحث الخامس: السُّنن الإلهية للتغيير الاجتماعي.

الفصل الثالث: المشروع التغييري لحركة أنصار الله في اليمن، وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: محدّدات تجربة حركة أنصار الله في اليمن.
- الثاني: أركان المشروع التغييري عند أنصار الله.
- الثالث: العمل السياسي والتغيير الاجتماعي عند أنصار الله.
- الرابع: تقويم التجربة وآفاقها لحركة أنصار الله.

الفصل الأول:

التغيير الاجتماعي - المفهوم والنظريات

تمهيد

بُنيت خطة البحث على مسارين متداخلين يحكُمان تسلسل الفصول الثلاثة:

المسار الأول: يحكمه الانتقال من النظرية إلى التطبيق، فالفصل الأول والثاني يساهمان في بلورة النظرية الاجتماعية في التغيير، وفي الفصل الثالث تكون دراسة النموذج اليمني، ومحاولة اكتشاف تجربة أنصار الله في التغيير الاجتماعي.

المسار الثاني: يحكمه الانتقال من العام إلى الخاص ومنه إلى الأخصّ، فالفصل الأول يبحث مفهوم التغيير الاجتماعي من جهة المفهوم العام والنظريات المطروحة عند القدماء والمعاصرين، ثم يسعى الفصل الثاني لاستكشاف النظرية القرآنية في التغيير الاجتماعي، وفي الفصل الثالث: تكون الدائرة الأخصّ هي الساحة اليمنية وحركة أنصار الله وتجربتها.

فالشروع في الفصل الأول لمفهوم التغيير ونظرياته يستند إلى هذه البُنية المنطقية التي قام عليها البحث، ومن هنا كانت مباحث الفصل الأول تتعلق أولًا: بطرح مفهوم التغيير ومقاربته بالمفاهيم المشابهة في المبحث الأول، وفي المبحث الثاني يسلّط الضوء على علاقة

التغيير بالفعل الإنساني، وفي المبحث الثالث استعراض لعوامل التغيير الاجتماعي ومجالاته، وأما التعريف بأهم النظريات القديمة والحديثة فيُخصصّ له المبحثان الرابع والخامس على التوالي.

١-١- المبحث الأول:
التغيير الاجتماعي - المفهوم والماهية

ارتبطت فكرة التغيير الاجتماعي بشكل عام بالتغيير الفكري والثقافي عند المجتمعات؛ فكلما اكتشف الناس شيئًا حديثًا ومختلفًا عن الذي اعتادوا عليه، كلّما ساهم ذلك مساهمةً مباشرةً في تثبيت مفهوم التغيير الاجتماعي، وأدّى أيضًا إلى تغيير الكثير من العادات والتقاليد والأفكار التي عرفها الناس، وصارت جزءًا من حياتهم. فالتغيير الاجتماعي من المفاهيم التي بُحثت بعمق في علم الاجتماع، وهو يشير إلى التحولات المستمرة والدائمة في المجتمع، أي ديمومة الحركة الاجتماعية.

والتغيير مسألة طبيعية، وحقيقة اجتماعية عامة تشهدها كل المجتمعات الإنسانية بجميع ظواهرها ووقائعها، إذ لا وجود لمجتمع ثابت ثباتًا كليًا أو مطلقًا بحكم تفاعل مجموعة من المتغيّرات داخل بنياته الأساسية، كما أن التغيير: «لا يخضع لإرادة معينة، بل إنه نتيجة لتيارات وعوامل ثقافية واقتصادية وسياسية، يتداخل بعضها في بعض، ويؤثر بعضها في بعض»[١]. وعلى هذا الأساس يأتي اهتمامنا بالتغيير

(١) إبراهيم مدكور، **معجم العلوم الاجتماعية**، الصفحة ١٦٥.

الاجتماعي نظرًا لكونه يعتبر موضوعًا يستحق المزيد من الدراسة والبحث والتحليل وإعادة القراءة من مختلف زوايا النظر. وفي هذا الاتجاه يحسن بنا أن نتساءل عن معنى التغيير، وماذا نقصد بالتغيير الاجتماعي، وما هي التعريفات التي أُعطيت لهذا المفهوم، وكيف تناولته المقاربات النظرية في علم الاجتماع.

١-١-١- التغيير الاجتماعي لغةً

لتقريب مفهوم التغيير الاجتماعي سنحاول الوقوف عند التعريف اللغوي لمفردات هذا المركّب ثم نرصد الاستعمالات القرآنية لنصل إلى التعريف الاصطلاحي.

غير تعني مُغاير ومختلف، فيقال هذا غيرُ ذاك أي مختلف عنه، وتأتي بمعنى «إلا»، كقولك: هل من خالقٍ غير الله أي «إلا الله» وتأتي بمعنى «سوى»، نحو: مررت بغيرك، أي بسواك، وتأتي بمعنى «لا» نحو قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾[1] أي لا باغٍ ولا عادٍ، ويقال فعلهُ غيرَ مرةٍ أي أكثر من مرّة.

وأما غَيَّر الشيء ويغيّره فتعني بدّل به غيره أو جعله على غير ما كان عليه، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[2]. والتغيير على وجهيين أحدهما: تغيير صورة الشيء دون ذاته كقولك غيّرت داري إذا بنيتها بناء غير الذي كانت عليه.

---

(١) سورة البقرة، **الآية**: ١٧٣.

(٢) سورة الرعد، **الآية**: ١١.

والثاني: تبديله بغيره كقولك غيّرت غلامي ودابّتي أي أبدلتهما بغيرهما[١].

وقد يقال إنّ التغيير يعني في اللغة إحداث شيءٍ لم يكن من قبل بنفس الصورة التي أصبح عليها بعد التغيير. وكانت العرب تقول: غيّر فلان بعيره، إذا حطّ عنه رحله وأصلح من شأنه، وتغيّرت الأشياء إذا اختلفت عن سابقتها، فحين تقول: غيّرت داري إذا بنيتها بناءً غير الذي كانت عليه[٢].

وفي (لسان العرب) غيّر أي حوّل وبدّل ويغيّر بمعنى يصلح[٣]، وفي (أقرب الموارد) تغيّر الشيء بمعنى صار غير ما كان وتغيّر بمعنى تحّول وتبدل[٤]، وفي (كتاب الصحاح) في اللغة يغيّرون بمعنى يصلحون[٥].

وأما المجتمع لغةً: فهو اسم مفعول من اجتمع موضع الاجتماع، ومعناه جماعة من النَّاس تربطها روابط ومصالح مشتركة، وعادات وتقاليد وقوانين واحدة[٦]، وقد اشتقّ من الاجتماع ومعنى الاجتماع في (لسان العرب) الائتلاف وهو عكس الافتراق والانشقاق، وتعني أيضًا اجتماع الشمل[٧]، وفي (أقرب الموارد) انجمع الشيء بمعنى انضمت أجزاؤه وتقاربت أفـراده، وفي (الصحاح في اللغة) اجتماع القوم أي اجتماع

---

(١) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، الصفحة ٣٦٨.

(٢) **المعجم الوسيط**، المجلد ٢، الصفحة ٦٦.

(٣) محمد بن مكرم ابن منظور، **لسان العرب**، الجزء ٥، الصفحة ٧٦.

(٤) سعيد الخوري الشرتوني، **أقرب الموارد**، الجزء ٤، الصفحة ٨٣.

(٥) اسماعيل بن حماد الفارابي، **الصحاح في اللغة** ، الجزء ٢، الصفحة ٦٦٤.

(٦) معجم المعاني الجامع، موقع نت:

https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%B9/.

(٧) ابن منظور، م س، الجزء ٥، الصفحة ٤٥٨.

بعضهم إلى بعض، واجتماع قوم إلى قوم أي انضمام بعضهم إلى بعض، ويعادل معنى المجتمع في اللغة الإنجليزية لفظة (سوسايتي، society). كما أن في اللغة مصدر الفعل اجتمع بمعنى حضر جماعة من الناس في مكان ما.

أما كلمة «الاجتماعي» فهي مأخوذة من الفعل الثلاثي جَمَعَ ومضارعه يجمع والمصدر جمعًا، والجمعُ مصدر لقولك جمعت الشيء، كما أنه يُطلق على جماعة الناس، ويُستعمل في غير الناس كجماعة النبات والشجر، ويُطلق على المسجد «الجامع» لأنه يجمع المصلين في مواقيت الصلاة، فهو نعت للمسجد لأنه علامة للاجتماع [1].

١-١-٢- الفرق بين التغيّر والتغيير

نقف هنا أمام مصطلحَين وهما التغيّر والتّغيير، والفرق بينهما، وإن كانا مرتهنَين لأصل لغوي واحد، ولكن هذا الاختلاف اختلاف في المعنى والاستعمال، فالتغيّر ظاهرة طبيعية تخضع لها ظواهر الكون وشؤون الحياة بالإجمال، وهو من أكثر مظاهر الحياة الاجتماعية وضوحًا. والتغيير ممارسة قام بها الإنسان في مختلف الميادين منذُ القديم وفي الطبيعة والأخلاق والثقافة والسياسة والاقتصاد وغير ذلك.

التغيّر آلية مجتمعيّة تلقائية، وأما التغيير فهو فاعلية بشرية إرادية. وإذا كان علم التغيّر حديثًا فإن علم التغيير ما زال غضًّا ربما لم تكتمل ولادته بعد، ومجالات تطبيقه خصبة، والآفاق أمامه مفتوحة، والإمكانات المتاحة أمامه هائلة، ومجتمعنا الإسلامي بحاجة ماسّة إِلى قطع مراحل

---

(١) انظر **لسان العرب**، المجلد ٨، الصفحات ٥٣-٥٥.

كثيرة لتجاوز أزماته وواقعه المتردي بالمقارنة مع المجتمعات المتقدمة. فلماذا لا نستفيد من هذا العلم في حلّ كثير من مشكلاتنا وصناعة مجتمع حيوي لديه القدرة على معالجة هذه القضايا؟

وهنا نلاحظ أنه جرت العادة على خصّ اصطلاح التغيّر بمضاف واحد محدّد هو المجتمع، فكان الاصطلاح الناشئ «التغيّر الاجتماعي» هو الاصطلاح الأكثر ذيوعًا واستخدامًا على حساب أنماط التغيّر الأخرى في مختلف المجالات والميادين القيمية والطبيعية.

والتغيّرات التي تطرأ على الطبيعة بمختلف مستوياتها وميادينها أمر يخضع للعلوم الطبيعية وقياساتها وقوانينها. وهذه التغيّرات وإن كانت خاضعة في المبدأ لمفهوم التغيّر العام فإنها تدور في فلك واحد ليس منفصلًا بالمطلق عمّا يحدث في عالم القيم وما اتصل به ولكنه مستقل عنه بقوانينه وخصوصياته ومادته.

ويُمكن أن نعرّف التغيّر القيمي أنه التغيّر الـذي يطال القيم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتربوية والأخلاقية والنفسية والجمالية والدينية، وهي على صلة وثيقة مع بعضها بعضًا. والتغيّر يسير في مختلف الميادين القيمية سيرًا متوازيًا. ولكن ورغم ذلك انفرد المجتمع بحوامله باصطلاح التغيّر فكان ما سمّي بالتغيّر الاجتماعي. وأما الميادين الأخرى فسمّي التغيّر أو التغيير فيها بأسماء أخرى مثل: الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي، وربما يكون السبب في حصر التغيّر بالمجتمع وحوامله هو أن التغيّر الاجتماعي يشمل كل التغيرات الطارئة في مختلف الميادين الأخرى أو بلفظ آخر: إن المجتمع بحوامله المختلفة هو المرآة التي تنعكس عليها أو فيها كل التغيّرات التي تطال الميادين الأخرى كالأخلاقية والتربوية والدينية والسياسية وغيرها، أي أن عدم استخدام

لفظ التغيّر إلا في الإطار الاجتماعي ليس ضربة حظ ولا مصادفة بل لأن التغيّر في أي من الميادين الأخرى طبيعته وخصوصيته التي أوجبت له تسمية أخرى. فالتغيّرات النفسية غالبًا ما تكون حالات مرضية لها تسمياتها. والتغيرات الأخلاقية تسمى نشوزًا أو فسادًا أو صلاحًا أو غير ذلك. والتغيّرات الاقتصادية تسمى تطورًا أو تقدّمًا أو غير ذلك.

وكذلك شأن التغيير أيضًا، فهو غالبًا ما يستخدم في المجال الاجتماعي دون غيره من المجالات، وربما للأغراض ذاتها، فضلًا عن أن التغيير من حال إلى حال لا يعني بالضرورة أن الحال المُغيَّر أسوأ من المُغيَّر إليه ولا المُغيَّر إليه أفضل من المُغيَّر، فيما أن التغيير في الميادين الأخرى يفترض فيه دائمًا السعي إلى الانتقال إلى حال أفضل، ولذلك حمل التغيير في المجالات الأخرى أسماء واضحة الدلالة والقصد باتجاه الأفضل فكان التوجيه التربوي والأخلاقي والديني وغيره.

ويفيد «التغيّر» بصفة عامة تحوّل الشيء من حال إلى حال بشكل مفاجئ وقاطع، وتترتب نتائجه على مدى ما سوف يحالفه من ظروف محيطة به. أما «التغيير» فيفيد التحول القائم على فكر وتدبُّر مُسبق، ونتائج تكون محسوبة بقدر المستطاع، والخلل في هذا التحوّل يكون في مساحة ضيقة يسهُل السيطرة عليها. «وقد جرت العادة على ارتباط اصطلاح «التغيّر» بمضاف واحد محدد هو «المجتمع»، فكان الاصطلاح المركب الناشئ «التغيّر الاجتماعي» هو الاصطلاح الأكثر ذيوعًا واستخدامًا على حساب أنماط التغيّرات الأخرى في مختلف المجالات والميادين. ويرجع ارتباط المجتمع باصطلاح «التغيّر» إلى أن «التغيّر الاجتماعي» تغيّر شبه شامل للتغيّرات التي تجري في مختلف الميادين الأخرى، ويعني هذا أن المجتمع أشبه بالمرآة التي ينعكس عليها أو

فيها كل التغيرات التي تحدث في الميادين الأخرى: الأخلاقية والنفسية، والسياسية والاقتصادية الأخرى»[١].

١-١-٣- العلاقة بين التغيير والتكامل

والملاحظ وجود علاقة دقيقة وعميقة بين التغيير والتكامل في منظومة الفكر الاجتماعي الذي يُعطي تصورًا واضحًا حول هذه العلاقة، وينميها بشكل نموذجي، نظرًا لأهمية هذه العلاقة في الفكر الإنساني. ويصطلح على حالة الربط بين المتغيّر والثابت بالتكامل العملي والعلمي، لأن التكامل العملي يعني التغيير الواقعي في نشأتنا الاجتماعية، وأما التكامل العلمي فهو التغير الواقعي في النشأة الآخرة. ونلاحظ من ذلك أن الحركة الكونية والإنسانية تسير نحو الكمال بشكل تكويني وفطري وتُخضع جميع المُمكنات لقانونها ونظامها التكاملي. ولذلك فإن المُمكنات تستفيد من هذا التكامل ولكن بتفاوت ودرجات مختلفة بين الممكنات، ويرجع ذلك إلى السعة الوجودية لكل منها. وقد أشار القرآن الكريم لهذه النظرية بقوله عز وجل: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾[٢]. فالفيض الرباني واحد من قبَل الواحد يُفاض به على جميع المُمكنات، إلا أن الاستفادة منه تتحقق بحسب ظرفية ومكانية المُمكنات، وتلقّيها لهذا الفيض الإلهي، إذ لكل منها ظرفية مختلفة بحسب رُتبتها الوجودية. ومحدودية استفادتها من الفيض راجعة لمحدودية ظرفيتها لا لمحدودية الفيض، وهو المعبر عنه في الآية

---

(١) عزت السيد أحمد، «القيم بين التغير والتغيير: المفاهيم والخصائص والآليات»، **مجلة جامعة دمشق**، المجلد ٢٧، العددان الأول والثاني، الصفحات ٦١-٦٣، رابط الموضوع:

https: //www. alukah. net/web/khedr/0/50474/#ixzz5ZPI6SkTO

(٢) سورة **الرعد**، الآية: ١٧.

الكريمة بكلمة (بقدرها) أي بقدر الظروف ذاتها وليس بقدر إفاضة المفيض الذي لا حد لفيضه وخزائنه.

١-١-٤- التغيير الاجتماعي اصطلاحًا

التغيير الاجتماعي هو كل تحوّل يحدث في المجمتع وينقله من حالة إلى أخرى بسبب التبدّلات التي طرأت على الأفكار والسلوك والعادات والشؤون الإدارية، وطرق العيش والروابط الاجتماعية، وكذا التحوّلات الحادثة في الوظائف والقيم والأدوار، وبغض النظر عن التقديرات الزمانية أو المكانية، فقد يكون التغيير في فترة زمنية معينة ورقعة جغرافية محددة ومع أناس خاصّين، وقد تكون المسألة أوسع من ذلك بكثير فتشمل أزمنة متباعدة وبقاعًا مترامية تناسب كل ظرف في مجتمعه وبيئته.

ويؤكد صاحب الظلال على مفهوم التغيير الاجتماعي الذي يسبقه التغيير الثقافي في عقلية الفرد والمجتمع بأسره، حيث يرى أن الواقع الاجتماعي وليد التصور الاعتقادي، والتصور الاعتقادي له مصدر واحد هو الذي يتحكم في وجود الأشياء وإيجادها، حيث يقول: «إن العدالة الاجتماعية لا بدّ أن تنبثق في المجتمع من تصور اعتقادي شامل يرد الأمر كله لله، ويقبل عن رضى وطواعية ما يقضي به الله من عدالة في التوزيع ومن تكافل بين الجميع، ويستقرّ معه في قلب الآخذ والمأخوذ منه أنه ينفذ نظامًا يرضاه الله ويرجو على الطاعة فيه الخير والحسنى في الدنيا والآخرة»[١].

---

(١) - السيد قطب، **في ظلال القرآن**، المجلد ٢، الصفحة ١٠٠٦.

ويتضح أن التغيير الاجتماعي يحدث من خلال التغيير الثقافي ومن كليهما يحدث التغيير المطلوب في المجتمع، وهو إحداث التغيير الحضاري الذي يعني وجود الإنسان المسلم المتوازن في جانب المادة والـروح، لأن العلاقة بين النظام المادي والنظام الروحي تكاملية وكل منهما له وظيفته نحو درجات التكامل الإنساني والفطري.

وخلاصة ذلك أن نقول: «بأنه عمل جماعي مقصود يهدف لإحداث التغيير إلى الأفضل في حياة الفرد والمجتمع بأسره بالوسائل الشريفة النبيلة التي تتفق مع التصور الاعتقادي الرباني»[١].

وإطلاق هذا المصطلح بلا قيدٍ أو شرط يراد منه مطلق التغيير والذي قد يكون ايجابيًا نحو الصلاح والخير أو سلبيًا نحو الفساد والشر. ولذلك تُعدّ ظاهرة التغيير الاجتماعي ظاهرة عامة ومستمرة، وسُنة من سُنن الله الكونية المتعلّقة بفعل الإنسان بغض النظر عن نوع هذا الفعل، فكلما تغيّرت الأفعال والطباع وما في النفوس تغيّرت الأحوال الاجتماعية والطبيعية لفعل وفكر الإنسان كضرورة الحياة الجماعية التي تبدو ثانوية وطفيفة بينما هي تأخذ مكانتها المهمة في عقليّة الكائن البشري لتسفر عن نظام موسّع ومعقّد من العلاقات والمبادلات الاجتماعية[٢].

والتغيير حقيقة واقعية قرآنية في عالم الإنسان بكل مستوياته وانتمائه بدءًا من انتمائه إلى الأسرة الصغيرة مرورًا بالمجتمع فالأمة. والإنسان من دون انتماء إلى مجتمع وأمة يبقى فارغًا ولا يملك المقومات الطبيعية لتحقيق أهدافه وغاياته.

---

(١) المصدر نفسه، المجلد ٢، الصفحة ١٠٠٦.

(٢) محمد حسين الطباطبائي، **الإسلام ومتطلبات التغيير الاجتماعي**، الصفحة ٥.

١-١-٥- التعريف الفلسفي للتغيير الاجتماعي

يعتبر مصطلح التغيير الاجتماعي مصطلحًا حديثًا نسبيًا برز مع تطور الدراسات الاجتماعية، ولكنه قديم من حيث الاهتمام به وملاحظته. وقد كانت الدراسات القديمة قائمة على التفكير المجرد الفلسفي ولكنها تشكل إطارًا مرجعيًا للدراسات العلمية الراهنة، حيث اعتبر الفلاسفة ظاهرة التغير حقيقة الوجود أي أن كل موجود لا بدّ أن يتغيّر، وأنّ التغيّر لا الثبات هو الدال على وجود الموجود، وعبّر عن هذه الفكرة المفكر اليوناني (هوقراطيس) في مقولته: «إن الفرد لا يستطيع أن يقول إني أعبر النهر الواحد مرتين ذلك على اعتبار أن ذرات الماء التي لامست جسمه في المرة الأولى غيرها في المرة الثانية، كما أنّ الشخص نفسه يكون قد تغيّر»[١].

وقد أكد كثير من الفلاسفة اليونانيين حقيقة ظاهرة التغيير والنمو، وخاصة أرسطو الذي اعتبر التغيير ظاهرة «تعمّ الموجودات كافة وفي الأوقات كلها»[٢].

وكانت نظرة العلماء للتغيير حتى القرن الثامن عشر نظرة تشاؤمية «Pessimisme»، مبنية على الخوف من المستقبل، وأن حالة المجتمعات في القديم أفضل من الحالة الراهنة والمستقبلية، في حين أخذ العلماء ينظرون بعد ذلك التاريخ نظرة تفاؤلية «Optimisme» معتبرة حالة المجتمعات الراهنة أفضل من سابقتها، وأنّ العصر الذهبي أمامنا وليس خلفنا على حدّ تعبير سان سيمونSaint simon[٣]..

---

(١) إبراهيم العسل، **الأسس النظرية والأساليب التطبيقية في علم الاجتماع**، الصفحة ٢.

(٢) د. لطفية طبال، **التغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم الاجتماعية**، الصفحة ٤٠٨..

(٣) محمد الدسق، **التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق**، الصفحة ٢٣.

وفي بداية القرن الثامن عشر كثر الاهتمام بموضوع التغيير الاجتماعي، وذلك بفتح الأبواب أمام عصر التنوير الأوروبي الذي أجمع مفكروه أن الإنسان قادر على تغيير ظروفه الروحية والمادية، فأصبح التغيير اليوم من أهم المسائل التي تشغل الفكر الاجتماعي الحديث وأخذت الجهود تتجه نحو التغيير من أجل تنمية هادفة[١].

١-١-٦- التعريف السوسيولوجي للتغيير الاجتماعي

يعرّف أحمد زكي بدوي التغيير الاجتماعي السوسيولوجي بأنه «كل تحوّل يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في بنائه أو في وظائفه خلال فترة زمنية مُعيّنة. والتغيير الاجتماعي على هذا النحو ينصبّ على تغيير يقع في التركيب السكاني للمجتمع أو في بنائه الطبقي، أو نظمه الاجتماعية، أو في أنماط العلاقات الاجتماعية أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد والتي تحدد مكاناتهم وأدوارهـم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها»[٢].

ويشير عاطف غيث إلى التغيير الاجتماعي بأنه: «التغييرات التي تحدث في التنظيم الاجتماعي أي في بناء المجتمع ووظائف هذا البناء المتعددة والمختلفة»[٣].

ويرى عاطف غيث كذلك أن التغييرات الاجتماعية تأتي على أشكال متعددة منها التغيير في القيم الاجتماعية والتي تؤثر بطريقة مباشرة

---

(١) - ذهبية أوموسى، **دراسة ميدانية في كل من مركز دالي إبراهيم وديار الرحمة ببئر خادم**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الثقافي، الصفحة ١٢٤.

(٢) أحمد زكي بدوي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، الصفحة ٣٨٢.

(٣) محمد عاطف غيث، **التغير الاجتماعي والتخطيط**، الصفحة ٢٥.

في مضمون الأدوار الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي، والتغيير في النظام الاجتماعي أي في المراكز والأدوار الاجتماعية، كالانتقال من نظام تعدد الزوجات إلى نظام وحدانية الزوج والزوجة ومن الملكية المطلقة إلى الديموقراطية... إلخ، والتغيير في مراكز الأشخاص، يحدث ذلك بحكم التقدّم في السنّ أو نتيجة الموت[١].

ويذهب (جنزبيرج) إلى أنّ التغيّر الاجتماعي «هو كل تغيّر يطرأ على البناء الاجتماعي في الكل والجزء وفي شكل النظام الاجتماعي، ولهذا فإنّ الأفراد يمارسون أدوارًا اجتماعية مختلفة عن تلك التي كانوا يمارسونها خلال حقبة من الزمن»[٢].

ويعـرّف جي روشـي «Guyrocher» التغيير بأنه: كل تحوّل «Transformation» في البناء الاجتماعي يلاحظ في الزمن لا يكون مؤقتًا سريع الزوال لدى فئات واسعة من المجتمع ويغيّر مسار حياتها[٣].

هذا ويعتبر كل من جيرث «Gerth» وملز «Mils» أن التغيير الاجتماعي هو التحوّل الذي يطرأ على النظم الاجتماعية، وقواعد الضبط الاجتماعي التي يتضمنها البناء الاجتماعي في مدّة معينة من الزمن[٤].

والتغيير الاجتماعي كما يعرفه روجرز «Rogers»: «هو العملية التي يحدث من خلالها تغير وتبديل البنيان والوظيفة الاجتماعية للنظم الاجتماعية». وقد يحدث ذلك من خلال المخترعات والمبتكرات الجديدة،

---

(١) محمد الدسق، **التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق**، الصفحة ١٨.

(٢) أحمد النكلاوي، **التغيّر والبناء الاجتماعي**، الصفحة ٨.

(٣) طارق حجي، **قيم التقدّم**، الصفحات ٤١-٤٨.

(٤) أحمد النكلاوي، مرجع سبق ذكره، الصفحة ٨.

ومنها ما يحدث بسبب الفيضانات، والحروب والـثـروات الداخلية، كما تكون عملية التغير الاجتماعي مخططة أو غير مخططة، وكما يذكرها Roger يكون مصدرها إما خارجي أو داخلي[١].

إذًا، هذه أهم التعريفات للتغييرالاجتماعي، والتي تعطينا تصورًا واضحًا حول التغيير، وعن أبرز الأفكار التي تحدثت عن مفهوم التغيير عند المفكرين والباحثيين. وكما لاحظنا فهناك العديد من النظريات والرؤى حول التغيير سواء في الجانب الاجتماعي أو الثقافي أو المادي أو التاريخي فلكل مفكر رؤيته الخاصة في التغيير، وحتى ندرك البعد الاجتماعي والثقافي للتغيير في المجتمع، ويكون واضحًا لجميع الباحثين مفهوم وتعريف التغيير.

(١) د. لطفية طبال، **التغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم الاجتماعية**، الصفحة ٤١٠.

١-٢- المبحث الثاني:
التغيير الاجتماعي والفعل الإنساني

لا جدال في أن التغيير الاجتماعي يرتبط جوهريًا بالفعل الإنساني؛ فهو عند البعض المظهر الديناميكي للمجتمع الإنساني، والحركة المستمرة والمتتابعة التي تتم من خلال التفاعل الاجتماعي عبر الزمن، وتعبّر عن أنماط من العمليات والانتقال والتنمية والتقدم التي تتم عن طريق الاختلافات والتعديلات والـدورات والتذبذبات التي تطرأ في الطبيعة والجماعات والعلاقات الاجتماعية كالسلوك الاجتماعي الذي يتمثّل في العادات والأعــراف والنظم واللغة خلال تتابع الزمن بحيث يمكن ملاحظتها وتقديرها، وهو عند آخرين «كل ما طرأ على الأشكال الثقافية، والعلاقات الاجتماعية في مجتمع مُعين خلال فترة محددة من الزمن»[١]. وينظر المنهج الإلهي إلى الدور الإيجابي المتعلّق بإرادة الإنسان لإحداث التغيير الاجتماعي ضمن الرؤية التي تحددها العقيدة الإسلامية الصحيحة، ويعمل على تنميته، وعندما تتوفر الإرادة والقصد للتغيير لدى الإنسان يتجمّع ليشكل جماعة تشاركه الرؤية في عملية التغيير الاجتماعي.

---

(١) د. حسين عبد الحميد، **التغير الاجتماعي والتنمية السياسية**، الصفحة ٤٥.

والمقاربة الرصينة للتغيير الاجتماعي تبدأ في الوهلة الأولى من التأصيل الفلسفي للظاهرة - التغيير الاجتماعي في انشغالات الفلسفة الاجتماعية - حيث يكشف الفكر الفلسفي عن زخم كبير من المساهمات الفلسفية التي أثارت إشكالية التغيير. فمنذُ الفكر الفلسفي اليوناني لم تَحِد الآراء الفلسفية عن ملامسة هذه الإشكالية ولو أنها تفاوتت في الطرح والتصور، «إذ نجد المفكر الهيراقليطسي، كما مرّ بنا في المبحث الأول، لم يبتعد عن إثارة التغيير التي كانت قضية فلسفية مركزية في إسهاماته الفلسفية حاول من خلالها دحض آراء خصومه التي كانت تركز على الثبات، فدافع هيراقليطس عن تغيير الكائنات والموجودات. وسار أرسطو في نفس الاتجاه الذي رسمه هيراقليطس، حيث ساهمت كتاباته وإنتاجاته الفلسفية في رسم معالم فكر يؤمن بأهمية التغيير، ودافع عنها بالتركيز على مبدأ الصيرورة في حياة الكائنات والموجودات، أو بالأحرى صيرورة الوجود ككل»[١].

وأُسّس المنطق الأرسطي لفكر فلسفي حديث سيجعل هو الآخر من فكرة التغيير موضوع الاهتمام الفلسفي الذي سيترتّب عليه ظهور طروحات فلسفية تدعم فكرتَي الثبات والاستقرار من جهة، وفكرتَي التحوّل والتغّير من جهة ثانية. لن يقف مفهوم التغيير عند حدود التوظيف الفلسفي بل سيزداد تبلورًا واتساعًا، إذ ستظهر مقاربات اجتماعية تتأطر ضمن الفكر الاجتماعي والاقتصادي تجعل منه محور اهتماماتها حتى ولو كانت تتميز بنوع من الكليانية (أوغست كونت، سان سيمون، آدم سميث...). وهكذا، سيظهر إلى الوجود فكر اجتماعي

---

(١) إدوارد تايلور، «الثقافة البدائية، الأبحاث في اتجاه تطوير الأساطير والفلسفة والدين والعرف»، مقال في **مجلة نزوى**، الصفحة ٢، http: //www.nizwa.com.

مؤسس على القواعد العلمية يهتم بالتغيير الاجتماعي ليس كتحولات تشهدها المجتمعات فقط، وإنما كفكر يبرز تاريخية المجتمعات الإنسانية، وهو ما سيجعل أحد السوسيولوجيين البارزين والمختصين في التغيير الاجتماعي يؤكد أن: «السوسيولوجيا فقدت علماء اجتماع كرسوا جهودهم لدراسة التغيير الاجتماعي، وتتوفر على آخرين يهتمون بدراسة تاريخية المجتمعات، والسبب في ذلك يكمن في افتقارهم إلى أدوات لتفسير وتأويل التغيير الاجتماعي»[١].

وفكرة التغيير الاجتماعي «نالت حيّزًا مهمًا في كتابات الفلسفة الاجتماعية سواء مع أوغست كونت أو مع روسو وغيرهما، إلا أن ذلك لا يعني أنّ السوسيولوجيا، بعد أن أخذت صبغتها العلمية، ستجعل من التغيير الاجتماعي موضوعها الأساسي، بقدر ما ستظهر دراسات تميل نحو فهم مجموعة من الظواهر الاجتماعية التي أخذت المجتمعات الغربية تشهدها في سياق الكشف عن حيثيات صيرورة هذه المجتمعات»[٢].

إن ما وجب التأكيد عليه هو أن هذه المقاربات سارت في اتجاه التأسيس لعلم اجتماع يهتم بالتغيير الاجتماعي سواء في بعده التطوري (التطور الاجتماعي) الذي يمتدّ لفترات طويلة، أو في بعده التغييري (التغيير الاجتماعي كتبديلات قابلة للملاحظة والدراسة). وفي الوقت الذي شرعت فيه السوسيولوجيا تجعل من التغيير الاجتماعي أهم الموضوعات التي تشتغل عليها، أخذت تظهر إلى الوجود أنماط أخرى من الدراسات تهتم بدينامية المجتمعات المتخلّفة أو السائرة في

---

(١) محمد شكري سلام، «سوسيولوجيا التحديث والتغير في المجتمع القروي»، مجلة **عالم الفكر**، عدد: ٣، المجلد ٣٠، الصفحة ٦٥.

(٢) محمد شكري سلام، المرجع السابق ذكره، الصفحة ٦٥.

طريق النمو اتخذت منحى أنتروبولوجيًّا، «إذ همّت كثير من الأبحاث إلى الاشتغال على المجتمعات الحديثة العهد بالاستقلال، والتي ينظر إليها بأنها مجتمعات تقليدية (traditionnelle)، حسب المنظور السوسيولوجي لها. إذًا فقد انصبت الاهتمامات الأنتروبولوجية على دراسة كيفية التعايش القائم بين التقليد والتجديد في هذه المجتمعات ودراسة إشكالية التثاقف»[١].

إنّ قياس التغيير الاجتماعي لا يتم من خلال علاقات التمفصل بين العوامل الداخلية فقط (التوترات الداخلية أو أشكال التكيف والاندماج الاجتماعي كما تقرّ بذلك الوظيفية)، وإنما يحدث كذلك بفعل وقوة العوامل الخارجية المؤثرة والمتحكمة في سيرورة التحوّل الاجتماعي، وهذا ما أثبته ماكس ويبر عندما أكد أن: «الإصلاح البروتستانتي، بخلقه نمطًا أدبيًا ينسجم مع تطور الاستثمارات والتوفير، قد لعب دورًا حاسمًا في تطور الرأسمالية»[٢]، وهي الفكرة التي نجدها كذلك في أطروحة التحديث حيث إن المحاولات النظرية في سوسيولوجيا التنمية تعتبر العوامل الخارجية تساهم كثيرًا في القطع مع البُنيات التقليدية والدفع بعوامل أخرى جديدة تساعد على تسريع التحوّل الاجتماعي بنيويًا.

لا يقف العامل الثقافي، هو الآخر، بعيدًا ومُنعزلًا عن مسرح التغيير الاجتماعي، بل تعدّ إسهامات التأثيرات الثقافية على البنية الاجتماعية بليغة جدًا. وترجع أصول التدخل الثقافي إلى ما يصطلح عليه بالنظريات العاملية التي تنظر إلى التغيير الاجتماعي على أنه نتيجة لعامل واحد هو

---

(١) جيرار لكلرك، **الأنتروبولوجيا والاستعمار**، من الصفحة ٧٣ إلى الصفحة ٨٥.

(٢) عبد الجليل حليم، **التحديث القروي ورأسملة الزراعة المغربية**، سلسلة ندوات ومناظرات، فاس، رقم ١٠.

عامل الثقافة، من حيث إنها أفكار وقيم ومعتقدات وسلوكيات كما هو متعارف عليه في الدراسات الأنتروبولوجية على الرغم من كونها ليست محل إجماع من حيث الدلالة بين القواميس المختلفة.

إن تدخل العامل الثقافي في إحداث التغيرات الاجتماعية «يبدو على مستوى تفاعل العناصر الثقافية مع بعضها البعض حتى ولو كانت الطريقة التي يتم بها تختلف من النظرية الانتشارية إلى النظرية الارتباطية في الثقافة»[١].

تساهم إذًا النظريات العملية في تفسير التغيير الاجتماعي بفعل التدخل الثقافي، ولا ينبغي اعتبارها بمثابة النموذج السوسيولوجي الأمثل لدراسة التغيير الاجتماعي خاصة وأنّ الإرهاصات السوسيولوجية الأولى التي اهتمت بهذه الظاهرة برزت مع كونت وماركس وغيرهما من السوسيولوجيين الأوائل الذين تحدّثوا عن التطور والتحوّل الاجتماعيين في إطارهما العام والشامل بتحديد المراحل الكبرى التي يمران عبرها. وينصح هنري مندراس (H.. Mendras) في كتابه: «التغيير الاجتماعي: الاتجاهات والبراديغمات»[٢] الدارسين للتغيير الاجتماعي، والسوسيولوجيين على وجه التحديد، بعدم السقوط في النزعة التطرفية عندما يتم ربط التغيير الاجتماعي بأحد الاتجاهين السابق ذكرهما «نظريات التوازن ونظريات اللاتوازن»، لذلك نجده يدعو المهتمين

---

(١) إدوارد تايلور، «الثقافة البدائية، الأبحاث في اتجاه تطوير الأساطير والفلسفة والدين والعرف»، مجلة نزوى، الصفحة ٤، موقع http: //www. nizwa. com.

(2) H.. Mendras le changement social: tendances et paradigmes ed Armand colin paris..

بهذه الظاهرة إلى التريث في إصدار الأحكام وإعطاء تعليلات للتغيير الاجتماعي.

إذا كانت نظريات التوازن تفسر التغيير الاجتماعي بالانطلاق من دينامية الميكانزمات الداخلية للأنساق الاجتماعية وبنياتها بفضل التفاعل الحاصل بين عناصرها، فإننا نجد بالمقابل، نظريات اللاتوازن، أو بالأحرى، نظريات الصراع، تقدم تفسيرًا للتغيير الاجتماعي على أنه نتيجة للتناقضات المؤدية له، كما شدّدت على ذلك النظرية الماركسية الكلاسيكية منها والحديثة.

بمقتضى هذه النظريات يصبح الصراع عملية اجتماعية تأخذ تجلّيات مختلفة في الحياة الاجتماعية، وهكذا، فبمقاومة التغيير يؤدي الصراع إلى إعاقة النسق من الاستمرارية في الروتين المميت ويفسح المجال للاختراع والإبـداع عن التصادم، مثلًا، بين القيم الاجتماعية التقليدية والحديثة، يؤدي في نهاية التحليل إلى مجموعة من التغييرات التي تمنع تحجر النظام الاجتماعي، مما يهيئ الأرضية ويؤسس للجديد بفضل الاختراعات. في سياق هذا التصور وجدت النظرية الماركسية في الصراع الأساس الحقيقي والعلمي لتفسير التغيير الاجتماعي، وأن التاريخ هو تاريخ الصراعات، وبالتالي فهو تاريخ التغييرات الاجتماعية.

أخيرًا، إن الصراع في ظل هذا الطرح الماركسي، هو محرّك التاريخ ما دام يستند إلى التناقضات الاجتماعية. ودون الاسترسال في الحديث عن النظريات الماكرو-سوسيولوجية المفسرة للتغيير الاجتماعي، يمكن القول إنّ «علم الاجتماع الحديث يميل، مع ذلك، إلى رفض الفكرة التي

تقول بوجود سبب مهيمن للتغيير الاجتماعي، وتميل في الوقت نفسه إلى الاعتراف بتعددية أنماط التغيير»[١].

ويعتبر بعض العلماء أن هذا الجهد البشري المتجمع من أبرز مظاهر التغييرات الاجتماعية التي تشهدها المجتمعات في القديم والحديث، ويزداد فعل الإنسان وقوة تأثيره كلما كان مثقفًا متمسكًا بعقيدة السماء التي يؤمن بها ويدعو لها في المجتمع.

وهذا ما ذهب إليه صاحب الظلال - رحمه الله - فكان يؤمن بأهمية الدور البشري في التغيير الثقافي والاجتماعي، وفي قدرة الإنسان على حشد القوة وتعبئتها وضبطها وتنظيمها لتأخذ دورها في إحداث التغيير المنشود، وذلك من خلال استعراضه لدور الرسل والأنبياء والدعاة والمجددين والمفكرين من بعدهم. وقد عبّر عن ذلك في أكثر من موضع في كتاباته القيمة خاصّة عندما تحدّث عن قوّة التأثير للكلمة وللكاتب وللقدوة، وهذا يقصد به الفعل البشري في التغيير حيث قال: «إن السرّ العجيب ليس في بريق الكلمات وموسيقى العبارات إنما هو كامن في قوّة الإيمان بمدلول الكلمات وما وراء المدلولات. إنه في ذلك التصميم الحاسم على تحويل الكلمة إلى حركة حيّة والمعنى المفهوم إلى واقع ملموس. في هذا يكمن سرّ الكلمة في شيء واحد في استمداد الكلمات من ضمائر الشعوب ومن مشاعر الإنسان ومن صرخات البشرية ومن دماء المكافحين الأحرار» [٢].

---

(١) ريمون بودون وفرانسوا بوريكو، **المعجم النقدي لعلم الاجتماع**، ترجمة: سليم حداد، الصفحة ١٨٦.

(٢) السيد قطب، **دراسات إسلامية**، الصفحة ٢٥.

١-٢-١- التغيير الاجتماعي بين السلب والايجاب

هناك من يعتبر التغيير انحرافًا عن الطريق لأن نظرتهم تتمثّل في أن أيَّ شيء غير معتاد يعتبر انحرافًا. وهناك من المجتمعات من يرى أن التغيير انحراف؛ خصوصًا إذا كان هذا التغيير فجائيًّا، وسريعًا؛ كالتغييرات التي تجري على الصعيد الأُسَري، خصوصًا بعد التغييرات الصناعية والاقتصادية السريعة التي تجري في الدول النامية.

بعض الاجتماعيين يتبادل الرؤية مع المجتمع، ويصنّف التغيير ضمن الانحراف الاجتماعي بمعناه العام، وهؤلاء هم الأغلب أصحاب المدرسة الوظيفية البنائية؛ فهم يرون أن التغيير قد يُحدِث خللًا وظيفيًّا أو معوقًا وظيفيًّا يضر بالنظام أو السلوك المنظم.

إن فكرة الأنومي Anomie، أو اللامعيارية، أو التفكّك والتفسّخ الاجتماعي عند دوركايم وبعده روبرت ميرتون R.. Merton قد توضح كيف يمكن أن يفهم التغيير الاجتماعي بهذا المفهوم لكنّها عند ميتشل Duncan Mitchell تعني: «أنماط العلاقات الاجتماعية التي تحقق السعادة والرخاء والطمأنينة للإنسان. وسعادته ورخاؤه يتحققان عندما يكون السلوك البشري منسجمًا مع المقاييس التي يضعها ويسير عليها المجتمع خصوصًا عندما تشكل المقاييس نظامًا متكاملًا من الصراعات والتناقضات»[1] . وللإجابة عن هذا الإشكال نقول:

إننا نسلّم أنّ التغيير لا بدّ أن يحمل في طياته التناقضات، ويوقع الصراع بين القديم والجديد؛ أي بين قيم قديمة تكاد تندثر وقيم جديدة بعد لم تترسخ. وهذا ما يوقع الناس في تناقض في أيهما يتبعون. قد

(١) د.. حيدر إبراهيم، **معجم علم الاجتماع**، ترجمة: إحسان محمد الحسن، الصفحة ١٧٨

يكون الإنسان غير سعيدٍ للوهلة الأولى عندما ننظر إليه، ولكنّ الله قد أعطى الإنسان مميزات؛ وهي الصبر، والتحمل، والتعلم من الأخطاء، وتحدي الصعوبات التي تقف أمامه، وتجعله أكثر تصميمًا على تحقيق الهدف، وأن قُربه من الهدف يجعله أكثر سعادة مع أنه لا يستطيع أن يغيّر جلده بالكامل، إلا أنه سوف يأخذ الجديد، ويتمسك ببعض القديم ليوازن سلوكه، وإن التوافق مع السائد والمألوف، والتطابق مع الجماعي أو النمطية، وعقلية القطيع ليست دائمًا إيجابية، فالأنبياء والمصلحون والـرواد في البداية كانوا خارجين عن القيم والسلوكيات السائدة والمتوارثة، والصحيح أنه ليس كل ما وجده الإنسان بحكم العادة أو فعل السابقين صحيح لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكما يعبر القرآن الكريم في قوله سبحانه:. ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾[1].

لقد كانت الجاهلية موجودة بعباداتها وتقاليدها، وجاء الإسلام يحمل الصورة الحديثة ليغيّر المجتمع بلطف نحو الأحسن والأفضل. وكان كبير المنيرين الرسول الأعظم ﷺ الذي تُعدّ رسالته وحيًا يُوحى من ربِّ العالمين.

وأكّد القرآن الكريم على أن الأمة التي يقع فيها الفساد بتعبيد الناس لغير الله - فتجد من ينهض لتغيير واقعها - هي أمة ناجية فائزة في الدنيا والآخرة، أما الأمم التي يظلم فيها الظالمون ويفسد فيها الفاسدون ولا يوجد من يدفع الظلم والفساد أو يستنكره فإن سُنّة الله تحق عليها بالهلاك والاستئصال[2]، قال تعالى:

---

(١) سورة **الزخرف**، الآية: ٢٢.

(٢) السيد قطب، **في ظلال القرآن**، المجلد ٤، الصفحة ١٩٣٣.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[١].

«إن التأكيد على أهمية دور الإنسان في منهج التغيير الاجتماعي أمر ضروري لبيان مجال فعل الإنسان، ومناط التكليف في استخلاف الأرض واستعمارها. فالإنسان ومن ورائه قدرة الله هو المؤثر الأول في خط سير التاريخ وفي الأطوار التي تتقلّب فيها الحياة. والذي يجعل كل تغيير حليفه النجاح هو الإيمان النابع من ضمير الإنسان وعقله عندما يتحقق في عالم الواقع باعتبار أن الإنسان هو الكائن المستخلف في هذه الأرض الذي ينفذ قدر الله في الحياة الأرضية من خلال نشاطه الشعوري والحركي»[٢].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٣]. فهذه الآية تقرر تعلّق إرادة التغيير بقدرة الإنسان وعزيمته وتوضح عدل الله سبحانه في معاملة العباد حينما جعل قدره فيهم ينفذ ويجري عن طريق حركتهم وأعمالهم، فقد جعل التغيير القدري في حياة الناس مبنيًا على التغيير الواقعي في قلوبهم وسلوكهم وعملهم وأوضاعهم التي يختارونها لأنفسهم[٤].

١-٢-٢- الإرادة والتغيير

إن المُحرّك الأساس للتغيير الاجتماعي هو ذلك الإحساس الفطري الذي أودعه الله في نفس كل إنسان من حبّ للكمال، وتطلع لبلوغ السعادة

---

(١) سورة **هود**، الآية: ١١٧.

(٢) السيد قطب، **مقومات التصور الإسلامي**، الصفحة ٢١.

(٣) سورة **الرعد**، الآية: ١١.

(٤) السيد قطب، **في ظلال القرآن**، المجلد ٣، الصفحة ١٥٣٥.

والإحساس بأهمية السعي للأفضل ولا يتحقق ذلك بالأمنيات والأماني الفارغة وغير المشفوعة بالعمل الجاد من خلال الإرادة والقصد الذاتي للإنسان.

فالأهداف السامية والنبيلة والغايات الإيجابية لا ينالها الإنسان الساذج والبليد بل تتباعد عنه تباعد القطبين المتنافرين، ولا يمكن أن يحقق النجاحات الباهرة إلا من شمّر عن ساعديه وجدّ وكدح وسعى سعيًا حثيثًا إذ كُلما زادت همّته اقترب إلى تحقيق الغاية. وقد أشار الإمام الشافعي إلى هذا المعنى بقوله:

بقدر الجدّ تكتسب المعالي
ومن طلب العُلا سهر الليالي

ومن رام العُلا من غير كدّ
أضاع العُمر في طلب المحال

ومن طلب العُلوم بغير كدّ
فقد طلب المحال من المحال

تروم العزّ ثم تنام ليلًا
يغوص البحر مَن طلب اللآلي[1]

فمن يريد أن يصل إلى السعادة الأبدية لا بُدّ له من الجدّ والمُثابرة كي يصل إلى هذه النتيجة الحتمية. ولكي يتملك الفرد والمجتمع تلك الجدّية والمُثابرة لا بُدّ له أولًا من أن يعي أن هناك غايات لم يبلغها، وثانيًا أن يدرك أن السعي لتحقيق تلك الغايات أمر واجب، وثالثًا

(١) محمد بن إدريس الشافعي، **ديوان الشافعي**، الصفحة ٥٤.

أن يعتقد أن هذه الغايات يمكن بلوغها، ورابعًا أن يشرع برسم منهج لتحقيقها، وخامسًا وأخيرًا أن يستمد المنهج تعاليمه من القرآن الكريم. ومع التسليم بوجود التفاوت في القابليات بين الأفراد والمجتمعات بسبب السلوك ورتب التطهر المبتنية على المعارف اليقينية والقلبية، إلا أن الخطاب القرآني كان للجميع بنحو واحد فلم يحجب أحدًا عن درك خزائنه وفيوضاته إذا ما حصلت السنخية بينهما. ولكونه مُطهرًا فلا يمكن أن يُدرك كنهه واسمه إلا المطهرون، وإن تفاوتوا في درجات التطّهر. فكما أن القرآن كتاب هداية لعموم الناس فهو هدى للمتقين. ومن المعلوم أن ما يستفيده المتقي من هداية بسبب درجاته العالية في التطهر أعلى بمراتب مما يستفيده عموم الناس، وهذا لا يلغي وجود حدّ أدنى من الهداية ومقدار يشترك فيه عموم الناس مع المتقين وهو ما اصطلح عليه القرآن الكريم بحدّ الزحزحة أي المقدار الضروري الذي لا بُد منه في إصلاح النفس وإنقاذها وزحزحتها من العذاب الأليم: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ﴾[1].

وبحسب التوجيهات الربّانية والشرعية فإن الإنسان مُكلّف ببذل غاية الجهد للقاء الله: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾[2]. وهذا الكدح يمرّ باختبارات عسيرة تُبيّنه الآية بقوله تعالى: ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾[3].

إلا أن هذه الاختبارات يجب أن لا تحبط الفرد أو تكون مَدعاة لحيرته ومراوحته في مكانه فضلًا عن التراجع وفقدان ما اكتسبه من

---

(١) سورة **آل عمران**، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة **الانشقاق**، الآية: ٦.

(٣) سورة **العنكبوت**، الآية : ١١.

مقامات وحققه من تقدّم في لحظة من اللحظات. فإذا أكّدت الشريعة الإسلامية على ضرورة عدم المُراوحة في المكان لأنه لا ينبغي للإنسان ذلـك، وفرضت على كل مُكلّف أن يبذل غاية الجهد لبلوغ الكمال وطالبته بعدم الركون إلى اليأس والقُنوط - الذي قد ينتابه - بسبب عسر الامتحانات، أو فشله في بعضها، فإنها في الجانب الآخر تشدّد على ضرورة عدم التقهقر بل لا يجوز ذلك على الإطلاق بأيّ وجه من الوجوه، إذ إنّ منبوذيته من الأمور المُسلمة في الشرائع والأديان السماوية عامة وفي الإسلام خاصة. وقد روي في هذا المورد عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قوله: «من استوى يوماه فهو مغبُون ومن كان آخر يوميه خيرهما فهو مغبوط، ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون، ومن لم ير الزيادة في نفسه فهو إلى النُقصان، ومن كان إلى النقصان فالموتُ خير له من الحياة»[1]. ونُلاحظ أنه لا سبيل لتجنّب الغُبن أو اللعن أو النُقصان إلا بالعمل الجدّي والإرادة الصادقة واليقين القلبي والعمل النافع والسعي نحو الكمال.

وضمن السلسلة التاريخية لحركة الإنسانية، وخاصة في سيرة الأنبياء والمُرسلين، وفي سياق نشاطهم وتحركهم التغييري؛ نُلاحظ أنهم قادوا مجتمعاتهم نحو حياة أفضل وأكمل وأرقى وجود بشري إنساني، وقد ركّز كل طرف منهم على حالة اجتماعية معينة، لها خصوصياتها وحيثياتها التاريخية والاجتماعية واستهدفها بالعلاج والتصحيح. وهذا لا يعني أنهم أهملوا أو تراخوا عن الجوانب الأخرى المُتعلّقة بالمسير الإنساني نحو الكمال أو أنها لم تكن موردًا لعنايتهم كما لا يعني أن إصلاحاتهم كانت جُزئية ومحدودة بقدر ما يعني أن تفشي ظاهرة مرضية اجتماعية معينة

(١) الشيخ الحر العاملي، **وسائل الشيعة**، الطبعة ٣، الصفحة ٩٢.

يجعل منها محورًا ومنطلقًا لحركتهم الإصلاحية الشاملة لكونها تحتاج إلى جُهد مُضاعف في معالجتها، ولكون الأمراض الاجتماعية تُشكل سلسلة مترابطة ومتماسكة، وعلاج الحلقة الأهم يعني توجيه بقية السلسلة في الاتجاه الصحيح. فالإصلاح الاجتماعي الحقيقي لا يُعطي ثماره إلاّ إذا كان إصلاحًا شاملًا لجميع الحيثيات والجوانب الحياتية.

ونرى أنه قبل بدء الأنبياء في مسيرتهم بعملية التغيير الاجتماعي يختبرون الناس ليعرفوا من هم أنصارهم في الإصلاح. فقد دعا نوح قومه إلى طاعة الله واللجوء إلى السفينة التي يُمثل ركابها أنصاره والمطيعين، وقد جعلها نجاة لمن ركبها وهلاكًا لمن تخلّف عنها، وجعل طالوت الشرب من النهر الذي مرّ به علامة لمخالفيه وكان صيد الحيتان يوم السبت وعبادة العجل واتباع السّامري معيار موسى لمعرفة المبطلين، وقد كان نداء (من أنصاريّ إلى الله) العيسوي سبيلًا لالتزام خط الولاية لله وللرسول. وهكذا فقد كشفت المواقف والأحـداث أتباع الأنبياء والمرسلين الحقيقيين والذين يمكن أن يساهموا ويشاركوا في الدفع بعملية الإصلاح الاجتماعي للمسيرة الإلهية والقرآنية.

وهكذا فقد ارتكزت دعوة كل نبي على إصلاح حالة اجتماعية معينة؛ فإبراهيم عليه السلام جاء بالوحدانية ونبذ ظاهرة الشرك - وعبادة الآلهة المتفرقة - ونبّه قومه إلى أنّ المعبود الحقيقي هو الربّ الذي لا غياب ولا أفول له، والذي لا يغيبون عن علمه وقدرته أينما كانوا، فلا الكواكب الآفلة تصلح للعبادة ولا الأصنام التي لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًا. وقد قام بالأمر ذاته هود في قوم عاد وزاد صالح عليهما عندما جعل الله الناقة فتنة لثمود. وأما لوط فقد حارب ظاهرة الشذوذ الجنسي والانحلال الأخلاقي، وتحمُّل شعيب أعباء الإصلاح الاقتصادي والمالي وسعى للقضاء

على الفساد والتلاعب التجاري، بينما أرسى موسى القواعد الأساسية لقيام دولة المستضعفين، وأصّل عيسى بمساندة حواريه لقيام المجتمع الرباني.

ونلاحظ أن الحركة التغييرية لكل الأنبياء عليهم السلام رغم كونها شملت معالجاتهم لتلك الحالات الخاصّة إلا أنها لم تكن منحصرةً بمعالجات ضيّقة ومقتصرة على تلك الحالات، بل كانت إصلاحات شاملة ولا سيما الإصلاح الاجتماعي الذي أتى به أفضلهم وخاتمهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والذي أقام الحكومة الإسلامية وأتى بالنظام والتشريع الذي يرعى الإنسان قبل خلقته في عالم الأرحام وإلى أن يتوفّاه الله.

ويتحصل مما ذكرنا أن التركيز على محور من المحاور في التغيير أو الإصـلاح يرتبط بظروف المجتمع والسياقات الزمانية والمكانية للمشروع التغييري، «وهذا لا يعني أبدًا إلغاء أو تهميش بقية المحاور بقدر ما يعني أهمية معالجة ذلك المحور الخاص في ذلك الزمان بالذات، ويبقى العمل مستمرًا لمعالجة وإصلاح بقيّة المحاور عمومًا. ومن هنا جاءت خشية اللادينيين والماديين من الأديان ليقينهم أنّ الدين يتدخل في كل صغيرة وكبيرة فصوروا الدين والإسلام وكأنّه عدو يجلب الرعب لأنه يتدخل في كل مفاصل الحياة»[1]، لكون الأديان السماوية تعالج مختلف مفاصل الحياة الاجتماعية، ولا تختصّ بجانب دون آخر حتى لو رأينا هذه الأديان قد أولت اهتمامًا خاصًّا لحالة معينة إلا أنها في نهاية الأمر ستتقصى جميع جوانب الحياة الاجتماعية ومؤسساتها التشريعية والقضائية والثقافية وغيرها.

---

(١) د. محمد سعيد البوطي، **دور الأديان**، الصفحات ٧٧ - ١٢٤.

١-٣- المبحث الثالث:
عوامل التغيير الاجتماعي ومجالاته

١-٣-١- عوامل التغيير الاجتماعي

نلاحظ أن التغيير الاجتماعي عملية تتوقف على تفاعل عوامل عديدة، مثل التكنولوجيا والصناعة والاقتصاد والثقافة، وليس لعامل واحد بحدِّ ذاته ترجيح أو أفضلية على العوامل الأخرى، وإن ذهب بعض العلماء في هذا العصر إلى أن عامل التكنولوجيا هو الأساس لكل التغييرات في العلاقات الاجتماعية. كما يذهب آخرون إلى أن التنافر بين الطبقة التي تمتلك أدوات الإنتاج والطبقة التي لا تمتلك هو الأهم. وهناك من ذهب إلى أن العوامل الغيبية والثقافية هي الأساس في التغييرات الاجتماعية للشعوب، واهتمّ البعض بالعوامل الأيديولوجية أو الدينية. ونظرًا لأهمية عوامل التغيير ومجالاته سنتحدّث بشكل تفصيلي عن هذه العوامل ودورها في التغيير الاجتماعي.

أ- العامل الفيزيقي، أو البيئي:

يُسمى هذا العامل العامل البيئي، أو الجغرافي، ويعني تأثير البيئة، أو الطبيعة على الإنسان والمجتمع، وكيف تترك الطبيعة بصماتها على النظم

الاجتماعية والثقافية، والعكس تأثير الفرد على الطبيعة خاصّة بازدياد العلم والمعرفة. ويسمَّى العلماء الذين يبالغون في تأكيد أهمية هذا العامل الايكولوجيين الحتميين، خاصة إذا نظروا إلى هذا العامل على أنه هو المؤدي إلى التغيير فقط، ويقولون إن هناك عناصر طبيعية جغرافية يعرف أنها ذات أثر في تشكيل المجتمع، وإحداث التغيير؛ مثل تكوين التضاريس، والموقع الجغرافي، والاستراتيجي، والحرارة، والرطوبة، والموارد، والجليد، والرياح، أي كل الظواهر المرتبطة بالطبيعة.

ونـرى أن الفكر الإسلامي والقرآني قد نبّهنا إلـى ضـرورة فهم العامل الجغرافي - أي حيثية المكان – لأن له تأثيرًا في سلوك الإنسان وأخلاقياته، فنلاحظ أن القرآن الكريم فرّق بين العربي والأعرابي، ووصف الأعراب بشدّة الكفر والنفاق، والجدارة بعدم الالتزام بحدود الله، فقال: ﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[1]. كما فرقت السُنّة بين البدوي والحضري، وفرق الفقهاء بينهما في البيع لكثير من الاعتبارات والحيثيات المكانية لكل منهما، ولذلك نلاحظ أهمية العامل الجغرافي في حركة التغيير الاجتماعي.

ب- العامل البيولوجي:

يسمى الحتمية البيولوجية؛ لأنه يرجع عملية التغيير إلى أسباب بعيدة عن تأثير العامل الثقافي والفكري وتدخّل الفعل الإنساني. ويعتبر بعض العلماء أن الوراثة (العنصر، أي العِرق) هي سبب قيام حضارات راقية، وأخرى منحطة، وإمكانية التغيير والتقدم هي صفة العرق وعناصر بعينها،

---

(١) سورة **التوبة**، الآية: ٩٧.

كما إنها تُورَّث ولا تكتسب من خلال الثقافة وعمليات التفاعل الثقافي، ويسمّى هذا العامل البيولوجي تأثير الوراثة الطبيعي، ثم الارتباط بين العنصر والحضارة والتغيير الاجتماعي.

ج- العامل السُكاني:

يتلاقى العامل السُكاني مع العامل الفيزيقي لأنهما يمثلان ما يسمى بالمرفولوجيا الاجتماعية، التي تهتمّ بالجزء المادي في المجتمع، وتهتمّ بالسكان والظواهر المرتبطة بهم مثل زيادة السكان ونقصانهم، أي معدلات المواليد، والوفَيَات، والهجرات، والعوامل المؤثرة في هذه التغييرات، ومعرفة النموّ المحتمل للسكان، والنسب المختلفة للهرم السُكاني، أي عدد الإناث إلى الذكور، أو الكبار إلى الصغار، أو العاملين للعاطلين، «وكان (دوركايم) هو أوّل من ربط بين حجم السكان والتغييرات الاجتماعية»[١].

د- العامل التكنولوجي (التقني):

يرى كثير من العلماء أن التكنولوجيا هي السبب الأساس وراء التغيير الاجتماعي، والتكنولوجيا مرتبطة بالإنسان منذُ وجوده على هذه الأرض، وأن للابتكارات العلمية تأثيرًا مباشرًا على الحياة الاجتماعية، وعلى سلوك الأفراد وعلاقاتهم الاجتماعية. فقد أدّى استخدام التكنولوجيا في الصناعة مثلًا إلى ضخامة الإنتاج والتخصص في العمل، وتركيز القوّة في المدن وزيادة الهجرة إليها، وظهور علاقات اجتماعية وقيم فرضتها الحياة

(١) جعفر محمد العيد، «نحن والتغيير»، مجلة **الواحة**، العدد ٤٨، الصفحة ٢، ٢٠٠٨، موقع http: // www. alwahamag. com.

الجديدة ساعدت في إيجاد تغيير اجتماعي سريع، كما أن التقدّم التكنولوجي في المجالات الطبية ساعد في تخفيض معدلات الوفيات، وهذا يؤثر على التركيب السكاني وبدوره يؤثر في الحياة الاجتماعية.

هـ- العامل الأيديولوجي أو الديني:

من الواضح أن الأديان بما تحمل من قيم ومبادئ وآداب وسلوكيات حياة متكامله لها دورها البارز في تأييد أو رفض بعض التغييرات الحديثة بقياسه حسب البعد أو القرب من تعاليم هذا الدين. والإسلام كونه دينًا عالميًّا جاء من أجل البشرية جمعاء فإنه أدَّى ويؤدِّي دورًا بارزًا في التأثير والتوجيه للأفراد من ناحية معينة، وله تأثير كبير في عملية التغيير الاجتماعي لدى الإنسان في سلوكه ونظامه.

وكمثال على العامل الديني نذكر الحجّ كعامل من عوامل التغيير الاجتماعي في تاريخ البشرية حيث يحدث فيه التفاعل السنوي الأكبر ويحضره ملايين المسلمين من شتّى بقاع الأرض، فمنهم من يُفضّل البقاء في أرض الحرمين، كما كان يحدث في السنوات السابقة بحيث نشأت في أراضي الحجاز العديد من الثقافات المتنوعة والتي تعود أصولها لشرق الأرض أو لغربها، ومنهم من يفضلون العودة لأراضيهم وقد اكتسبوا ثقافات جديدة بنواحيها المادية والفكرية، وبذلك يحدث التغيير الاجتماعي وفي عدّة مناطق ببركة ما شهده الحجاج من منافع لهم أيام رحلة الحج التي تمتدّ أحيانًا لعدّة أشهر.

و- العامل الغيبي:

عالَم الغيب لا يمكن معرفته بالحواس ويحتاج الى معرفة إيمانية وفكرية كي نفهم المعاني الغيبية التي هي خارج نطاق الظواهر الحسّية. وهناك الكثير من الأمور الغيبية التي ذكرها الله عز وجل في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾[1]، أي ما وراء الطبيعة من الإلهيات، والروح والعقل، والملائكة، والجن وغيرها من الأمور التي بلغت الناس عن طريق الوحي الإلهي. ومن خلال هذا العامل الأساسي نجد المشيئة الإلهية على رأس العوامل المحرّكة للتاريخ، فالله هو الذي وضع السُّنن والنواميس وهو الذي رتّب العلاقات بين الأسباب والمسببات؛ فحركة التاريخ ليست خاضعة لقانون حتميّ أولًا وإنما لقانون:

﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2]. وبدون هذا العامل يصبح تفسير التاريخ وهمًا لا حقيقة له، فكلّ تفسير للتغيير الاجتماعي يغفل الله وقدرته وتدخله المباشر في حياة الناس هو تفسير خاطئ وعاجز عن تفسير الأحداث تفسيرًا علميًا.

ونستشهد بعبارة الفيلسوف الاجتماعي الإنجليزي «بنيامين كيد» (١٨٥٨-١٩١٦): فقد قال كيد «إن القوة الوحيدة المؤثرة في التقدم هي الدين الذي يحاط بجزاءات فوق طبيعية ويذعن الأخلاقيات الغيرية وهو الذي يوحد بين الأجيال ويحقق التكامل في المجتمعات وينقذ الحضارة

---

(١) سورة **البقرة**، الآيتان: ١-٢.

(٢) سورة **يس**، الآية: ٨٢.

من الأخطار الكبرى وهو الذي يسمح بوجود تقدم اجتماعي مستقل»[1].
فالعامل الغيبي له أهمية كبيرة في التغيير الاجتماعي، فهو يعطي الإنسان الرؤية الفكرية والعقلية الشاملة حول منظومة التغيير الاجتماعي بجميع حيثياته وحتى يؤمن بها بيقين وثبات لأن المفاهيم الغيبية تحتاج إلى العنصر الإيماني لفهمها.

وطريق الهداية التي تتمثل بروح الأنبياء والمرسلين في الرسالة الإلهية تقدّم أنموذجًا إيمانيًا وفكريًا أساسيًا لعوامل التغيير المجتمعي، وأيضًا الكتب المقدّسة بما احتوته من عقائد ومبادئ ودوافع محرّكة للتاريخ. ونلاحظ أن الأنبياء هم الواسطة بين الله وخلقه، وهم الذين أحيوا أُممًا من العدم، وأقاموا دولًا وحضارات، وأبـادوا بقدرة الله دولًا وحضارات، وكانت كتبهم المنزلة وحركتهم بين الناس من أهم العوامل في تغيير وتفسير حركة التاريخ. ولذلك تبرز أهمية الأنبياء من خلال دورهـم في التغيير الاجتماعي عبر سلسلة من الحقبات الفكرية والسياسية والثقافية وعبر التوجيهات الإلهية في تغيير الأمم والمجتمعات.

ز- عامل الموروث الثقافي:

هذا العامل له تأثيره في البيئة والأسرة والمجتمع من خلال العادات والتقاليد الوراثية. وقد عبّر القرآن عن أثر هذا العامل في التوجيه الإنساني، وكيف أنه قد يؤثر في بعض الناس تأثيرًا سيئًا فقال عز وجل في محكم كتابه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا

(١) نيقولا تيماشيف، **نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها**، الصفحة ١٤٨.

عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[١]. إذًا فالإسلام دين واقعي يعترف بهذا العامل كعامل مؤثر في سلوك الإنسان، ولكنه في الوقت نفسه يحذّر الإنسان من الاتباع الأعمى دون تدبّر وتبصّر، لأن التغيير لا بدّ من أن يحدث عن وعي وبصيرة وإلا لا يمكن أن يُعطينا نتائج إيجابية في الفكر والرؤية والعمل، ولذلك كانت أهمية العامل الإنساني والوراثي في التغيير الاجتماعي أساسية ومركزية للوصول إلى الغايات والأغراض التي يسعى إليها المُجتمع الواعي بالفكر والإيمان.

ح- العامل الاقتصادي:

يُعتبر العامل الاقتصادي ذا أثر كبير في إحداث التغيير الاجتماعي، حيث يرى ماركس أن عملية الإنتاج الاجتماعي تجعل الأفـراد يدخلون في علاقات محدّدة معينة من مراحل تطور القوى المادية للإنتاج وهي تحوي الكيان الاقتصادي للمجتمع وهي الأسـاس للبناء القانوني **و**السياسي «والـذي يعرف بالبناء الفوقي أي بعبارة أخرى يعتبر ماركس الكيان الاقتصادي كقاعدة أساسية يقوم عليها القانون والسياسة وغيرهما من الظواهر الاجتماعية الأخرى»[٢]. ولذلك فشكل الإنتاج في الحياة المادية هو الذي يقوي الطبيعة العامة للعمليات الروحية **و**الاجتماعية والسياسية في المجتمع. كما تؤكد نظريته على أن أي تغيير في الأساس الاقتصادي يؤدي إلى تغيير في الظواهر الاجتماعية الأخرى، أي أن تغيير وسائل الإنتاج يـؤدي إلى تغيير الكيان الاجتماعي. ويلعب الهيكل العامل الاقتصادي الرئيسي في المجتمع دورًا بالغ الأهمية في تطلعات المجتمع

(١) سورة **لقمان**، الآية: ٢١.

(٢) أحمد الخشّاب، **التغيّر الاجتماعي**، الصفحة ٧.

وإمكانياته ومشكلاته النوعية؛ فهناك بلاد ذات هيكل زراعي غالب حيث تمثّل الزراعة نسبًا هامة من نشاطها الاقتصادي، وهناك بلاد يمثّل الهيكل الصناعي الدور الغالب في نشاطها الاقتصادي بحيث إن البلاد الأخرى تمثّل الثروة المعدنية - وعلى الأخص البترول والفحم والحديد أو غيرها من مصادر الطاقة – مكانًا رئيسيًا في اقتصادياتها وتؤثر عدالة التوزيع أو انعدام العدالة في العلاقات الاجتماعية وفي السيطرة أو المنافسة أو الصراع بين فئات المجتمع وطبقاته وفي تذويب الطبقات الطبيعية أو في تعميق الهوّة التي تفصل بين الطبقات.

ونلاحظ أن القرآن الكريم في عدد من الآيات القرآنية تحدّث عن العامل المادي الحسّي في الحياة البشرية والاجتماعية، وأن له تأثيرًا في سلوك الإنسان فيقدّره كأمر واقع نابع من الطبيعة الإنسانية؛ فبما أن الإنسان روح ومادة إذًا فلا يمكن إهمال أي عنصر من عنصرَيه وإلا أصيب الإنسان بالتفسّخ، وبيان ذلك في قوله تعالى:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾. والفكرالإسلامي أعطى الإنسان المسلم الحرية في إشباع العامل المادي ولكن ضمن حدود من الحلال المشروع الذي يجعل الإنسان في مستوى الإنسانية فلا ينحط به إلى درجة الحيوانية، ويعني هذا أن العامل المادي ليس جبرًا لا يستطيع الإنسان أن يفرّ من تأثيره وإنما هو عامل يخضع لإرادة الإنسان وعقله وفكره، ومن الممكن أن يقف منه الإنسان موقف الاعتدال ومن الممكن أن يتحكّم الإنسان في هذا العامل بما يكفل له سعادة الدارين لأن

الوسطية والاعتدال من سمات المجتمع الواعي والذي يملك البصيرة الثاقبة في حياته.

١-٣-٢- مجالات التغيير الاجتماعي

في التجربة النبوية المُحمدية نرى أن الدعوة مرت بمرحلتين أساسيتين هما: مرحلة إقامة النبي ﷺ بمكة المكرمة وتُسمى مرحلة ما قبل الهجرة النبوية وتمّ فيها الدعوة النبوية وترسيخ المبادئ والقيم الإسلامية، والمرحلة الثانية بعد هجرته ﷺ إلى المدينة المنورة، وخلال هذه الفترة القصيرة تم بناء المجتمع الإسلامي والحكومة القائمة على النهج الإسلامي والرؤية القرآنية.

ومـن خـلال ذلـك نلاحظ أن غـرض الآيـات القرآنية في التغيير الاجتماعي كان موزعًا على المرحلتين السابقتين، فالمرحلة الأولى تتحدّث الآيات فيها عن التغيير الجذري للأفراد فكرًا وأخلاقًا وسلوكًا، لأن الإسلام كان يتمثّل في أفراد ينتمون إليه ليس بأيديهم السلطة والقيادة وإنما كانت لرؤساء ومشايخ القبائل.

وأما المرحلة الثانية: فكانت تتضمن بنود التوجيهات القرآنية وتركز على التغيير الاجتماعي بإحداث التغيير الكامل في حياة الفرد والأسرة والمجتمع. وهذا فيه دلالة على ضرورة أن يسبق التغيير الاجتماعي تغيير فردي بتربية الأفراد على الفكر القرآني والعقيدة الإسلامية وتمكين ملكة المراقبة لله في ضمائرهم حتى يصبحوا لَبِنات صالحة في جسم المجتمع والأسرة.

١-٣-٣- مستويات التغيير في القرآن الكريم

أولًا: التغيير الفردي

دعا القرآن الكريم الى التغيير والإصلاح للأفراد من خلال إحداث التغيير الشامل في سلوكهم الحياتي وتعاملهم في المجتمع وفق معتقداتهم الإيمانية. ولقد ركّز المنهج القرآني على إعداد الأفراد لأنهم بمثابة اللبنات التي يتألّف منها المجتمع وتبنى بشكل صحيح، فاعتبر الفرد المستقيم أساسًا للمجتمع الصالح فهذّب الفرد من ناحيتين

١- الاستقلالية الشخصية للفرد:

حافظ الإسلام على مكونات الإنسان وأحاطها بالرعاية، فحافظ على جسمه وعقله وروحه وماله وعمله ليكون إنسانًا سويًا في المجتمع إيجابيًا في حركته وعمله وإنتاجه، لهذا كانت التكاليف الفردية في التشريع الإسلامي.

٢- بناء الشخصية العامة:

إن المنهج القرآني حافظ على الشخصية العامة للمجتمع الإسلامي من خلال بيانه لطبيعة العلاقة بين الأفراد وما ينبغي القيام به من خدمات ومتطلبات لتحقيق السعادة للجميع، لذلك كانت التكاليف الجماعية.

وخلاصة ما سبق: يتضح أنه بقدر ما يكون عند الفرد من القوة الإيمانية والإرادة والخُلق والسمو الروحي والإحساس بالمسؤولية يكون نصيب المجتمع من. التغيير **و**الصلاح والسعادة والرفاه الاجتماعي، فصلاح الفرد هو صلاح المجتمع وصلاح المجتمع من صلاح الفرد وشقاؤه من شقائه، وفساده من فساده، فهما مترابطان ترابط الجسد والروح،

لذلك كانت العناية الربانية بتربية الأفراد لينهض المجتمع من خلال تطبيقه لتعاليم القرآن الكريم.

ثانيًا: التغيير الأسري

لا يكفي من الإنسان أن يكون مسلمًا بشخصه دون الاهتمام بمن حوله في مجتمعه وأسرته، بل يُطلب منه الاعتناء والاهتمام بالآخرين ودعوتهم والنصح لهم، فقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

ولذلك نرى أن العقيدة الإسلامية أوجبت على المسلم بعد إحداث التغيير في حياته أن يحمل رسالة الإسلام وتعاليمه السامية إلى أهل بيته (المجتمع الصغير)، الزوجة والأولاد والأقارب، لأن صلة الرحم من أهم الأسباب التي تؤثّر في التغيير الاجتماعي، وتُعطي نموذجًا ايجابيًا في المجتمع، وبيان ذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[2].

ثالثًا: التغيير المجتمعي

إن تغيير المجتمع هدف عظيم من أهداف الإسلام السامية؛ فقد خاطب القرآن الكريم الأمّة أن تعتصم بمنهج الله لأن في الاعتصام ترابطًا واتحادًا وقوّة ترهب الأعداء، وقدّم التغيير المجتمعي كنموذج يحتذى به في الإصلاح والاهتمام بالقضايا الأساسية للمجتمع الإسلامي. وقد حذّر القرآن

---

(١) سورة **فصلت**، الآية: ٣٣.

(٢) سورة **التحريم**، الآية: ٦.

الكريم الأمّة من التفرّق والانقسام إلى شيع وفرق لأن ذلك يؤدي إلى تشتيت وضياع لمقدرات المجتمع، قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1].

ونعتقد إيمانًا أنّ الأمّة حينما تتمسك بكتاب الله وسُنة رسوله ﷺ وسيرة أهل البيت عليهم السلام تصبح خير أمّة أخرجت للناس، ويصبح المجتمع قائمًا على التقوى والإيمان والفضيلة ويتغيّر إلى مجتمع أكمل وأرقى فكرًا وإيمانًا وسلوكًا، وحينئذٍ يكون المجتمع إسلاميًّا على ضوء الرؤية القرآنية الكريمة قولًا وعملًا، وأن الهداية الإلهية لا يمكن أن تكون في مجتمع لا يقدّم التضحيات والمجاهدة لسبيل الوصول إلى طريق النجاة، فالله عزّ وجل يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[2].

رابعًا: التغيير العالمي

نلاحظ أن القرآن الكريم في كثير من آياته وبياناته يتحدث عن التغيير العالمي للأمّة وعن ترقّيها إلى درجات الكمال في الفكر والرؤية والتطبيق العملي للمبادئ والقيم الإسلامية، وهو تغيير العالم أجمع وإصلاحه إلى الأفضل بصفته الرسالة الأخيرة للبشرية، وبيان ذلك في قوله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[3].

---

(١) سورة **الأنعام**، الآية: ١٥٩.

(٢) سورة **العنكبوت**، الآية: ٦٩.

(٣) سورة **الفرقان**، الآية: ١.

وهكذا فالرسالة الإسلامية منذُ نشأتها وظهورها رسالة للعالمين فطبيعتها طبيعة عالمية شاملة، ووسائلها وسائل إنسانية وغايتها نقل هذه البشرية كلها من عهد إلى عهد ومن نهج إلى نهج عن طريق هذا القرآن الكريم ليكون للعالمين نذيرًا. فهي عالمية للعالمين، والرسول ﷺ يدعو في مكة ويواجَه بالتكذيب والمقاومة والجحود، وهي في هذا الضيق المستحكم تعلن عن عالميتها منذُ نشأتها. فالحق عز وجل يقول في محكم كتابه: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]. أي أن الرسالة القرآنية للعالم وهي نموذج إسلامي في الفكر والرؤية والسلوك العملي.

ولا بُدّ للتغيير أن يكون مرتبطًا بروح التضحية والإقـدام من أجل الإصـلاح وتطهير النفس وقيام المجتمع والدولة التي تحكم الناس من جميع القوميات والأقليات وتهديهم إلى منهج الله ربِّ العالمين، والـى الطريق المستقيم، وربـط تحقيق هذا الهدف السامي بروح الشجاعة في قول الحق وتغيير الباطل وتقديم كل أنواع الجهاد النفسي والعملي والإيماني كي يصبح التغيير العالمي في درجاته الشاملة لكل المجتمعات.

وبهذه الـروح المؤمنة بالتغيير الواقعي نصل إلى مجتمع سليم فكرًا وعقيدة، ويصبح النموذج الأمثل الذي يقدّم كل الحلول والنظريات المعالجة لقضايا الأمة الإسلامية.

---

(١) سورة **ص**، الآية: ٨٧.

١-٤- المبحث الرابع:
النظريات القديمة في التغيير الاجتماعي

مما لا شكّ فيه أن فهم نظريات التغيير الاجتماعي من الأمور المهمّة التي شغلت تفكير العديد من المفكرين وعلماء الاجتماع على مرّ التاريخ، «بحيث تعدّدت الأفهام وتنوعت بحسب تعدّد زوايا النظر التي ينطلق منها كل اتجاه معرفي على حدة. وقد تبين في هذا الشأن أن دراسة نظرية التغيير الاجتماعي تطرح العديد من الرؤى والأفكار سواء على المستوى النظري حيث تعدّد النظريات، وإحالاتها المرجعية، أو على مستوى منهجي صرف، وكذلك على مستوى المقاربة والتفسير حيث نصادف تعدد المنظورات والنماذج التفسيرية»[١].

وبناء عليه، فإن البحث في موضوع نظريات التغيير الاجتماعي يفترض الكثير من الحذر المنهجي، وخصوصًا أثناء التعامل مع الإرث النظري الذي خلّفه لنا التُراث الأنثروبولوجي والسوسيولوجي، ويكشف لنا تصفح الأدبيات المعاصرة أيضًا عن زخم كبير من المحاولات الفكرية والعلمية التي تناولت نظريات التغيير. وهنا تجدر الإشـارة إلى أن

(١) محمد شرقي، **التحولات الاجتماعية بالمغرب من التضامن القبلي إلى الفردانية**، الصفحة ٢٥.

الاختلاف بين الباحثين وعلماء الاجتماع في تعرضهم لنظرية التغيير الاجتماعي لم يكن حول التغيير كحقيقة أو كمسلمة في حدّ ذاته، وإنما كان الاختلاف حول طرق تفسير هذا التغيير وتحديد عوامله وأسبابه.

وهنا سنطرح أبرز نظريات التغيير الاجتماعي عند القدماء:

١-٤-١- نظرة أفلاطون (٤٢٨. ق. م / ٣٤٨ ق. م)[١]

أبرز ما تحدّث به الفيلسوف أفلاطون هو البعد الأخلاقي في إيجاد المدينة الفاضلة؛ فلم يكتف بتصوير ماهو قائم وموجود من واقع أخلاقي أو مؤسساتي أو بيئي أو اجتماعي بل افترض وجود مدينة في عالم الخيال والأحلام، وكون البشر هم السكان المفترضون لهذه المدينة يُعطي أملًا بإمكانية قيامها في الواقع والحقيقة. ولكن من هم هؤلاء البشر الذين يشكلون عناصر وأفراد هذه المدينة؟ إنهم نوع خاص من البشر خضعوا للمراقبة الذاتية وتهذيب الروح، وقدموا النموذج الأمثل للأخلاق، وتزكية النفس البشرية، ولكنهم بالطبع لم يصلوا إلى حدّ العصمة عن الخطأ لتكون مدينتهم مدينة عصمة وطهارة كاملة بالمطلق. وبطبيعة الحال ولكون هذه المدينة هي مدينة بشرية فمن المفترض وقوع بعض الأخطاء والتجاوزات فيها، وبالتالي وجود حاجة إلى طرق معالجتها وإصلاحها وإصلاح الخلل فيها من خلال مؤسسات المُجتمع الإصلاحية، ومراكز إعادة التأهيل. فكما يحتاج الإنسان العليل لمعالجة أسقامه وأمراضه من خلال المُستشفيات والمراكز الطبية كذلك الإنسان العاصي في المدينة الفاضلة يُنظر إليه بعين الشفقة كالنظرة إلى المريض فيُداوى بطرق اجتماعية يتم من خلالها تصحيح أفكاره وأفعاله ويُمنح الوسائل

---

(١) موقع مكتبة نت، https: //maktaba-amma. com.

التي تعينه على القيام بالتغييرات اللازمة على الصعيد الفردي والاجتماعي. «وعلماء اليونان تطرقوا إلى موضوع التغيير الاجتماعي في فلسفتهم فأعطى سقراط وأفلاطون وأرسطو رؤى في ذلك، ولم تكن نظرياتهم الفلسفية بعيدة عن آرائهم الاجتماعية أو مُضادّة لها؛ فالحكمة في نظر أفلاطون تكمن في البحث عن حقائق الأشياء، وعن الانسجام الذي يوجد فيها، والذي عبّر عنه بالخير والمثل، ويتفق معه سقراط على ذلـك، لذلك اهتم في مدينته الفاضلة بضرورة الارتكاز على الخير والصلاح»[١].

ولم يكن أرسطو بعيدًا عن هذه النظرة، بل اتفق معها وزاد عليها شيئًا ما، «إذ جعل محور فلسفته العلم بالمبادئ الأولى للأشياء والتدرج من علّة إلى أخرى حتى يصل إلى علّة العلل وهو ما أكّدنا عليه في هذا البحث في علاج المشكلة الاجتماعية، فمن المهم جـدا علاج أصل وبواعث الانهيارات الاجتماعية للحفاظ على سلامة وأمن وحياة المجتمعات واستمراريتها»[٢].

ولهذا نرى أنه من المهم بناء المنظومة الفكرية للمجتمع بجميع حيثياته حتى تتمّ معالجة جميع هذه التغييرات والأحداث وفقًا للرؤى السليمة التي تتفق مع بناء المجتمع الإيجابي وإلا لا يمكن أن يحظى المجتمع بأمن وسعادة ما لم يرتكز على المبادئ والقيم الأساسية والثابتة للتقدم والرقي.

---

(١) د. إبراهيم العاتي، **المذاهب الفلسفية**،. الصفحة ٨.

(٢) المصدر السابق، الصفحة ٩.

١-٤-٢- نظرة ابن خلدون (١٣٣٢ م / ١٤٠٦ م)[١]

نلاحظ أن مؤسس علم الاجتماع عبد الرحمن بن خلدون كان بعيدًا عن التفسير الأفلاطوني والأخلاقي للتغيير الاجتماعي، وارتكز فهمه للتغيير الاجتماعي على البُعد التاريخي؛ فقد أشار إلى أن التاريخ والبعد الزماني كفيلان بأن يحدثا تغييرًا لنمط الحياة، وأن مجتمع البداوة ينتهي إلى مجتمع حضري بسبب التقدّم التاريخي، وقال إن من الغلط الخفيّ في التاريخ الذهول عن تبدّل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام، وأشار إلى ما يتركه الملوك من أثر على سلوكيات مجتمعاتهم كأثر عنصر التقليد والمحاكاة، فقال إن عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه، وكما يقال في الأمثال: «الناس على دين الملك»[٢]. وأشار إلى الضرورة الاجتماعية فقال إن الاجتماع الإنساني ضرورة، وقد عبّر الحكماء عن هذا بقولهم:

«(الإنسان مدنيّ بالطبع) أي لا بدّ له من الاجتماع الذي هو المدينة»[٣].

وتعامل ابن خلدون مع موضوع التغيير الاجتماعي من خلال التتبّع الدقيق لعمر الدولة باعتبارها موجهة الفعل السياسي والاجتماعي، نشوءًا وتطورًا، وضعفًا وانهيارًا.

ويؤكد ابن خلدون أن التغيير سمة ثابتة من سُنن العمران البشري، ولازمة أساسية من لوازمه، ولا يحصل تطور الأفراد والمجتمعات والدول

---

(١) موقع الأهرام نت، http: //www. ahram. org.eg.

(٢) عبد الرحمن بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، الطبعة ١، الصفحة ٣٥.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ٤٦.

إلا بها حيث يقول: «إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة، وانتقال من حال إلى حال، وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول»[١]. فابن خلدون أثبت قبل الكثير من العلماء أن التغيير سُنة كونية، ومسلّمة اجتماعية، تعتري بني البشر في شتى أحوالهم، ومختلف شؤونهم.

ويرى ابن خلدون أن المجتمع الإنساني كالفرد يمرّ بمراحل منذ ولادته حتى وفاته، وأن للدول أعمارًا كالأشخاص سواء بسواء، وعمر الدولة في العادة ثلاثة أجيال، والجيل أربعون سنة، فعمر الدولة إذًا مائة وعشرون سنة، وفي هذه الأجيال الثلاثة يمرّ المجتمع بمراحل ثلاث هي:

١ - مرحلة النشأة والتكوين: وهي مرحلة البداوة، ويقتصر الأفراد فيها على الضروري من المعيشة.

٢ - مرحلة النضج والاكتمال: وهي مرحلة الملك، وفيها يتحوّل المجتمع إلى الحضارة.

٣ - مرحلة الهرم والشيخوخة: وهي مرحلة الترف والنعيم أو الحضارة.

١-٤-٣- نظرة كارل ماركس (١٨١٨ م / ١٨٨٣ م)[٢]

أشار ماركس إلى البُعد الاقتصادي وأثره في عملية التغيير الاجتماعي واعتبره العنصر الأساس والمحرك لعملية التغيير، «وتحدّث عن المادية

---

(١) المصدر نفسه، الصفحة ٣٨٣.

(٢) موقع المعرفة نت، https: //www. marefa. org.

التاريخية ثم ربط التغيير بالقاعدة الاقتصادية والعلاقة بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج وما يرافقهما من تغييرات غير متوازنة تؤدي إلى ظهور تناقض ودياليكتيك، وهذا التناقض يؤدي إلى تناقض اجتماعي، ويحدث الصراع الطبقي بين طبقة البروليتاريا والطبقة الإقطاعية المسيطرة على وسائل الإنتاج. وقد برهن الماركسيون على ذلك بحشد من الأمثلة ليثبتوا بها تناقضات الطبيعة وواقع التغيير الاجتماعي»[١].

وتنظر الماركسية إلى الحياة الاجتماعية على أنها دائبة الحركة، وتمثل حركتها شكلًا خاصًّا من أشكال حركة المادة، فهي تحتوي في داخلها على دوافع التغيير. إن الماركسية هي نظرية للتغيير الاجتماعي ومفهوم التغيير يعد مفهومًا محوريًا فيها.

ويتأسس المجتمع على أساس اقتصادي ينحصر في علاقات الإنتاج وأنماط الإنتاج السائدة في المرحلة التاريخية، أي إن الاقتصاد هو الركيزة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع، ويشكل كل عناصر البناء الاجتماعي الأخرى، والتي أطلق عليها ماركس عناصر البناء الفوقي والدولة والأسرة والثقافة.

لقد ميّز ماركس في تاريخ المجتمعات بين خمس مراحل تبدأ بالمرحلة البدائية أو المشاعية البدائية، ومرحلة الإنتاج الآسيوي، والمرحلة الإقطاعية، والمرحلة الرأسمالية، ثم المرحلة الشيوعية. وتتميّز كلّ مرحلة بوجود نمط إنتاجي معين، ووجود طبقتين متعارضتين (فيما عدا المرحلة البدائية والمرحلة الشيوعية حيث يفترض ماركس خلوهما من الطبقات والملكية الخاصة). وينظر ماركس إلى الصراع الطبقي على

---

(١) محمد باقر الصدر، **فلسفتنا**، الطبعة ١٢، الصفحة ٢٥٧.

أنه حالة طبيعية في المجتمعات، بل إنه المحرّك الأساسي للتاريخ، فإذا كان التناقض الاجتماعي بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج هو الذي يحرّك البناء نحو التغيير، فإن الصراع الطبقي ينجز هذه المهمة؛ فالمجتمعات لا تتغيّر إلا بوعي أفرادها، ولذلك فإن مهمة التغيير من مرحلة إلى أخرى تقع دائمًا على كاهل طبقة معينة، فالطبقة البرجوازية هي التي قادت التغيير من الإقطاعي إلى الرأسمالي، ويفترض ماركس أن الطبقة العاملة هي التي ستقود التحوّل إلى عالم الشيوعية.

١-٤-٤- نظرية المفكر الإيطالي فيكو (١٦٦٨-١٧٤٤) الدائرية لتطور المجتمعات

هذه النظرية تتحدث عن ثلاث مراحل للمجتمع، كل مرحلة لها نظامها الخاص الذي يتعلق بعملية التغيير الاجتماعي، وهي كالتالي:

١ – المرحلة الدينية أو الإلهية: وفيها يُرجع الناس كل شيء إلى الآلهة.

٢ – المرحلة البطولية: وفيها يُرجعون كل شيء إلى العظماء والأبطال.

٣ – المرحلة الإنسانية: وفيها أصبحت الجماهير هي المحرّك الحقيقي لكلّ شيء.

ويؤدي منطق هذه النظرية إلى أن الإنسانية لا تستقرّ ولكنها تسير سيرًا دائريًا، فعندما تستقرّ فترة معيّنة في المرحلة الأخيرة فإنها سرعان ما تعود القهقرى إلى المرحلة الأولى، ولكن بشكل مغاير وبصورة أكثر رقيًا، أي إن آخر طور من هذه الأطوار إنما يمهّد للطور الأول ولكن بشكل أرقى، ولذلك أطلق على نظريته قانون النكوص.

١-٤-٥- أبعاد النظريات الثلاث (افلاطون - ابن خلدون - كارل ماركس)

الأبعاد الثلاثة المتقدّمة والمتعلّقة لعملية التغيير الاجتماعي كالبعد الأفلاطوني الأخلاقي، والخلدوني التاريخي، والماركسي الاقتصادي وغيرها، تنظر إلى أسباب التغيير الاجتماعي نظرة مادية الجانب، وتعالج جانبًا من جوانب التغيير، وتغفل عن جوانب أخرى. والعامل الأهم الذي أشاروا إليه في نظرياتهم لا يعدو أن يكون عرضًا ظاهرًا يتعلّق بالجوانب الخارجية والتي لا تعطي تصورًا واضحاً حول التغيير الحقيقي في الإصلاح الاجتماعي.

إن العامل الأساس المؤثر في علمية التغيير الاجتماعي، إضافة لكل ما قيل، يكمن في علم الإنسان وفعله الاختياري وتأثيراتهما غير المرئية، وهذا ما أكد عليه القرآن وذهل عنه الكثيرون قصورًا أو تقصيرًا؛ فقد تهلك القرى لأسباب اقتصادية ظاهرية فيظن البعض أن فضل الإدارة الاقتصادية سبّب بشكل مستقلّ المشاكل الاجتماعية بينما يغفلون عن جذور المشكلة التي ترشح عنها الأزمة.

وقد أشار القرآن في الكثير من الموارد إلى هذا العنصر الغيبي والمرتبط بآثار فعل الإنسان، منها قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾[1]، أي لمّا ظلم أهلها - سواء ظلم النفس أو الغير - فالظلم أو السكوت عنه فعل سيئ يأتي به الإنسان عن علم واختيار وله آثاره المدمرة على الواقع الخارجي سواء المرئي منه أو غير المرئي، فتكون القرى مسرحًا لحدوث التغييرات الاجتماعية الكبرى، لذلك نجدها موردًا لغضب الجبار إما بهلاكها وإلغاء وجودها أو تحلّ بها تغييرات اجتماعية نحو الأسوأ كالتغيير من الغنى إلى الفقر أو من الأمن إلى الخوف أو العكس تمامًا كنتيجة للأفعال الصالحة.

---

(١) سورة **الكهف**، الآية: ٥٩.

وفي السياق ذاته وردت العديد من الآيات الكريمة في القرآن منها: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[1]؛ فبالإيمان الذي هو علم اعتقادي، وبالتقوى التي هي فعل اختياري للإنسان يمكن أن تنفتح على الناس بركات من السماء والأرض، ويرزقون من حيث لا يحتسبون، لكون الأثر الغيبي المرتبط بفعل الإنسان عنصر جوهري في تشكيل اتجاهات التغيير الاجتماعي. ومن المعروف أن أفعال الإنسان تتجاذبها قوى الحق والباطل، فإن كانت أزمّة الأمور والسيطرة في المجتمع لرجال الله الإلهيين فسوف تشهد بروز مجتمع فاضل ومدينة ربانية، وأما إذا آلت الأمور إلى أهل الَضلالة وسيطر الملوك وقادة الكفر الذين إذا دخلوا قرية أفسدوها كانت لهم الدولة وبيدهم مقاليد الأمور فإنهم يوردون أنفسهم وأتباعهم الهلكة وبئس الورد المورود، ولا يبقى بينهم إلا التخاصم، وذلك ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾[2].

فقد اتضح بعد هذا البيان: «أن الفكر والفعل الإنساني هو صاحب الأثر في عملية التغيير الاجتماعي، فكما نستدل على المعلول وعلى الأثر بالمؤثر كذلك نستدل على التغيير الاجتماعي بآثار أفعال البشر، فإن كان تغييرًا إيجابيًا ندرك أن الأفعال والعلوم الموجّهة لها كانت منسجمة مع الخط القرآني والعكس صحيح، وهذه سُنة تكوينية ولن تجد لها تحويلًا»[3].

---

(١) - سورة **الأعراف**، الآية: ٩٦.

(٢) سورة **الأحزاب**، الآيتان: ٦٧-٦٨.

(٣) عبد الرؤوف الشايب، **القرآن والتغيير الاجتماعي (دراسة تحليلية مقارنة)**، الطبعة ١، الصفحة ٤٣.

١-٥- المبحث الخامس:
النظريات الحديثة في التغيير الاجتماعي

بعد الحديث عن النظريات التقليدية في التغيير الاجتماعي، التي قدّمت تصورات مختلفة في التغيير تستند إلى المُتغيّرات المادية أو التاريخية أو الفكرية عن هذه النظريات، انبثقت وظهرت وتطورت الكثير من النظريات عند علماء علم الاجتماع في العصر الحديث، يَجدُر بنا الوقوف عند أهمها وهي كالآتي:

١-٥-١- النظريات البنائية-الوظيفية

ويشير مفهوم البناء إلى العلاقات المستمرة الثابتة بين الوحدات الاجتماعية، بينما يشير مفهوم الوظيفة إلى النتائج أو الآثار المترتبة على النشاط الاجتماعي.

فالبناء يكشف عن الجوانب الهيكلية الثابتة، بينما تشير الوظيفة إلى الجوانب الدينامية داخل البناء الاجتماعي.

١ - الوظيفية الكلاسيكية:

وهي أعمال هربرت سبنسر وإيميل دوركايم وماكس فيبر وباريتو. فالتغيير الاجتماعي يظهر في شكل إضافات في الحجم وتباين في المكونات يصاحبه دائمًا عمليات للتكامل والتوازن.

أ - يتغير المجتمع من وجهة نظر هربرت سبنسر في ضوء نفس القوانين التي يتحول بها عالم المادة التي تتحول من حالة اللاتجانس واللا تحدد إلى حالة من التجانس والتحدد والانتظام. لقد اعتقد سبنسر أن القاعدة يمكن أن تنطبق على تطور الكون، والأرض، والكائنات البيولوجية، والعقل البشري، والمجتمع البشري. فالعالم اللا عضوي (عالم المادة) والعالم العضوي (عالم الكائنات الحية) والعالم فوق العضوي (عالم المجتمع) جميعها تخضع لنفس قوانين الحركة والتطور. وفي ضوء هذه الفرضية، نظر سبنسر إلى المجتمع على أنه كيان كلي يتكون من وحدات متميزة تنتظم وفقًا لترتيبات معيّنة في مكان محدد. ويشبه المجتمع في تكوينه الكائن العضوي، ولذلك فإنه عندما يتغيّر يخضع لنفس منطق تطور الكائنات العضوية؛ فالمجتمع ينمو في حجمه وهو عندما ينمو تتباين مكوناته وتصبح غير متشابهة وهنا يظهر ضرب من التباين البنائي، ولكن هذا التباين لا يُفقد المجتمع تكامله فهو يطور دائمًا أشكالًا جديدة لتكامل أجزائه المتباينة. «وهكذا فإن المجتمعات تبدأ بسيطة، وتتحوّل بالتدريج إلى مجتمعات مُركبة، إلى أن يظهر المجتمع الصناعي الذي يتميّز بتباينه وعدم تجانسه الشديدين. وإذا كان المجتمع البسيط (والذي أطلق عليه سبنسر المجتمع العسكري) يؤسس تكامله على القهر والتعاون الإجباري، فإن المجتمع الصناعي يؤسس تكامله على التعاون الاختياري. والتغيير الاجتماعي يظهر في شكل

إضافات في الحجم وتباين في المكونات يصاحبه دائمًا عمليات للتكامل والتوازن».

ب – قدم إيميل دوركايم نظرية في التغيير الاجتماعي تشبه إلى حدّ كبير نظرية هربرت سبنسر، دون التزام بالمماثلة العضوية أو تشبيه التغيّر في المجتمع بالتغيّرات في عالم المادة أو عالم الكائنات الحية، وانطلق في رؤيته للتغيير من منظور وظيفي يتأسس على فكرتي التباين والتضامن، ويتضح ذلك من العلاقة التي أقامها بين مفهوم تقسيم العمل ومفهوم التضامن الاجتماعي.

فتقسيم العمل تصاحبه ضـرورة مختلفة من التباين الاجتماعي تتمثل في زيادة السكان وزيادة الكثافة الأخلاقية، بل إن هذه التباينات الاجتماعية هي التي تجعل العمل ضرورة، وهو في جوهره تعبير عن هذا التباين ودالّ على حدوثه، فالمجتمعات تميل في تغيرها إلى أن تتباين في مكوناتها، بل إن حدوث أشكال من التباين يؤدي إلى زيادة الكثافة الأخلاقية (تنوع القيم والاتجاهات والميول والمعتقدات) وهذه بدورها تؤدي إلى تقسيم العمل، وهكذا.

غير أن المجتمعات لا تتحول دون ضوابط، فتحولها منضبط بقواعد ومعايير قانونية، وهنا يأتي مفهوم التضامن، فإذا كانت المجتمعات البسيطة (وهي مجتمعات غير متباينة) فهي مجتمعات تحقق تضامنها وتكاملها من خلال القانون القهري (فرض أسلوب واحد في الحياة والتفكير والسلوك) فإن المجتمعات الحديثة (وهي مجتمعات متباينة) تحقق تكاملها وتضمانها من خلال القانون المدني أو التعويضي (الذي يتيح إمكانية تعدد أساليب السلوك وتباينها). «ولقد أطلق دوركايم على النوع الأول من المجتمعات مجتمعات التضامن الآلي، وعلى النوع الثاني

مجتمعات التضامن العضوي، وإن دوركايم هو أول من أقام المماثلة بين المجتمع والحياة العضوية على أساس وظيفي؛ فكما أن حياة الكائن العضوي تعبير عن البناء العضوي ووظائفه، فإن الحياة الاجتماعية تعبير وظيفي عن البناء الاجتماعي».

٢ - نظرية التوازن الدينامي:

تطورت الوظيفية في القرن العشرين لتركز على فكرة التوازن الدينامي في عملية التغيير الاجتماعي. ويعدّ عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز أشهر من طور الأفكار الوظيفية في هذا الاتجاه.

إن المجتمع عند بارسونز هو أحد الأنساق الأساسية للفعل التي حددها في أربعة أنساق: النسق العضوي، ونسق الشخصية، والمجتمع، والثقافة.

والمجتمع بدوره ينقسم من الداخل إلى أربعة أنساق فرعية هي: الاقتصاد والسياسة، والروابط المجتمعية، ونظم التنشئة الاجتماعية، والمجتمع كنسق يعيش في حالة توازن (الكائن العضوي-الشخصية-الثقافة) وهو يتوازن من الداخل حيث يحقق أنساق علاقات منتظمة ومتوازنة.

وعندما يتعرض المجتمع لحالة تغيير، فإنه لا يفقد خاصية توازنه، فهذا التوازن دينامي ومستمر، لذلك فإنه يمكن للمجتمع دائمًا أن يتكيف مع التغييرات الجديدة ويدمجها داخل بنائه. ويمكن أن نميّز نوعين من التغيير الاجتماعي:

أ – التغييرات قصيرة المدى:

وهي التي تظهر داخل المجتمع نتيجة عوامل داخلية (كالاختراعات والأفكار الجديدة) أو عوامل خارجية (كتغيير الصفات الوراثية للسكان، وتغيير أساليب استغلال الطبيعة أو الحروب). إن هذه التغييرات تحدث تأثيرًا على حالة التوازن التي ينتظم فيها المجتمع. إنها تكسر التوازن أو تهدده من جراء ما تخلفه من توترات في بناء العلاقات الداخلية بين مكونات النسق الاجتماعي.

وإذا استمرت هذه التغييرات فقد تؤدي إلى القضاء على المجتمع أو إلى إحداث تغييرات بنائية عامة فيه (كما يحدث في حالة الثورات)، ولكن هذا لا يحدث إلا في ظروف نـادرة، فالمجتمعات لديها قدرة تكيفية داخلية ناتجة من حالة التوازن الدينامي التي يتميّز بها المجتمع، وعندما تحدث التوترات والضغوط المولدة للتغيير داخل المجتمع فإنها تؤثر على حالة التوازن، ولكن المجتمع ما يلبث أن يمتصّ هذه التوترات والضغوط، ويستعيد توازنه ويظل محتفظًا بهذه الحالة من التوازن، حتى تظهر توترات أخرى. وهكذا يوصف التوازن بأنه دينامي، أي مستمر قابل لأن يستوعب كل ما هو جديد، وأن يعيد تكيف النسق معه بحيث تظهر التغييرات في أضيق الحدود. وفي ضوء هذه الرؤية فإن التغييرات قصيرة المدى داخل النسق الاجتماعي تتصف بعدة خصائص:

١ – تغيرات تدريجية لا تؤدي إلى انهيار النسق أو تغيره بشكل جذري.

٢ – ترتبط بعمليتين ملازمتين هما التوازن-اللا توازن وتعتبر العملية الأولى دائمة، أما الثانية فعارضة.

٣ – إن جوهر التغيير هنا هو التباين البنائي الوظيفي، فمزيد من التغيير داخل النسق الاجتماعي يعني تباين مكوناته وتعدد وظائفه.

٤ – إن الاتفاق العام على القيم وأدوات الضبط الاجتماعي هما اللذان يحفظان للنسق الاجتماعي توازنه الدائم وتغيره الوئيد.

ب – التغييرات بعيدة المدى:

وهي تغييرات واسعة النطاق تحدث على فترات متباعدة. ولقد فسر بارسونز هذه التغييرات من خلال مفهوم العموميات التطورية، ويقصد بها التجديد البنائي الذي له قدرة على الاستمرار والبقاء، ويخلق بدوره تجديدات وتطويرات أخرى.

إن هذه العموميات التطورية هي التي خلقت كل التحولات بعيدة المدى في تطور المجتمعات. فظهور نسق الشرعية الثقافية وظهور نسق التدرج الاجتماعي قد أدّى إلى أن تتحول المجتمعات البدائية إلى مجتمعات وسيطة، كما أن ظهور النقود والأسواق، والبيروقراطية، والقانون والديمقراطية هو الذي أدّى إلى تحوّل المجتمعات الوسيطة إلى مجتمعات حديثة. وعندما تظهر العمومية التطورية، فإنها تخلق تباينًا اجتماعيًا واسع النطاق، وتخلق بذلك تحولات بنائية ملموسة، ولكن هذا التباين لا بُدّ من أن تقابله عمليات تكامل تضبط هذا التحوّل وتقوده، إلى أن يصبح التحوّل الذي خلقته العمومية التطورية تحولًا عامًا أو طبيعيًا أو يصبح تحولًا معممًا.

٣ - نظرية التحديث الوظيفية:

إن الاتصال الثقافي بالحضارة الغربية يؤدي إلى نشر الثقافية الحديثة في شكل دوائر تتسع باستمرار إلى أن تشمل قطاعات المجتمع بأسره. فعندما يحدث هذا الاتصال تبدأ الثقافة التقليدية في الخروج من جمودها وتشهد عمليات تباين واسعة النطاق تؤدي إلى تغييرها لكي تقترب من النموذج المثالي القائم في المجتمعات الغربية، ويطلق على هذه العملية عملية التنمية أو التحديث، وهي عملية تتمثل في اكتساب واستيعاب المجتمعات النامية لقيم العمومية والإنجاز والتخصص، وهي القيم التي تتأسس عليها الثقافة الحديثة.

إن التغيير الاجتماعي المرتبط بعمليتي التنمية والتحديث ليس تغييرًا جذريًا، بل هو تغيير تدريجي (خطي وتقدمي) يتم بمقتضاه تحول الأبنية التقليدية إلى أبنية حديثة أي تحولها من أبنية متجانسة، ساكنة، وبسيطة إلى أبنية غير متجانسة ومتحرّكة ومُعقدة، ويفرز التغيير أثناء حدوثه بعض المشكلات كالتناقض بين القديم والجديد، وحدوث «هوة ثقافية» بين تغيير العناصر المادية وتغيير العناصر المعنوية، وتناقض الأدوار. غير كل هذه التوترات والتناقضات تكون طبيعية أثناء عملية الانتقال من التقليد إلى الحداثة، وسوف تختفي بالتدريج مع الاتساع في عملية التغيير على اختلاف بين المجتمعات في درجة استيعاب هذه التناقضات والتغلب عليها؛ فالمجتمعات تختلف فيما بينها في درجة تطويرها لنظم وجماعات وميكانيزمات تساهم في وضع مبادئ التكامل الاجتماعي، وبناء على ذلك فإنها تختلف في درجة القابلية للتكيف الداخلي مع ظروف التغيير، وفي درجة صياغة هذا التغيير في نظم اجتماعية، وكلما كان المجتمع أكثر قدرة على التكيف الداخلي

والمرونة كان أكثر قدرة على التغلب على مشكلات التحول. ومن الواضح أن نظرية التحديث تميل ميلًا وظيفيًا شديدًا، فتفترض وجود تغييرات تدريجية ترتبط بعمليات التباين والتكامل، كما تفترض أن خبرة التغيير في المجتمعات الغربية يمكن أن تتكرر في المجتمعات النامية.

١-٥-٢- النظريات السيكولوجية - الاجتماعية

تركز هذه النظريات على دور الفرد في التغيير الاجتماعي، وعلى دور الأفكار التي يحملها الأفراد في تغيير أنماط الحياة ومسارها. وتتأسس هذه النظرية على فرضية أن التغيير الذي يصيب المجتمع يحدث أساسًا في الأفراد، فهم الذين يُغيرون وهم الذين يتغيرون، ولهذا فإن هناك مكانًا للعوامل النفسية في حركة التغير الاجتماعي.

أ – الدور التغيري للأفكار: نظرية ماكس فيبر:

ظهرت أهمية الأفكار في إحداث التغيير الاجتماعي من خلال دراسة ماكس فيبر عن الأخلاق البروتستنتية وروح الرأسمالية.

يؤكد ماكس فيبر على الدور الذي تلعبه نوعية خاصة من الأفكار في إحداث تغيير اجتماعي معين. لقد ظهرت الأنشطة الرأسمالية في أرجاء مختلفة من الأرض وفي أوقات مختلفة عبر الزمن، ولكن أيًّا منها لم يكن مثل الرأسمالية يعتمد أساسًا على المبادئ العلمية، وعلى نظام قانوني إداري متميز، والكفاءة الفنية والفضيلة والمنافسة الحرة والموازنة المستمرة بين التكلفة والعائد، والعمل الحر الرشيد الذي يتحدد من خلال فضائل وقيم محددة تتمثل في الاقتصاد في الإنفاق وضبط النفس

والابتكار والتجديد. وهذه كلها خصائص نموذجية للرأسمالية الغربية الحديثة التي تختلف في طبيعتها عن الرأسمالية التقليدية.

ب- نظرية الشخصية المحددة: إيفرت هاجن:

ركز هاجن على دور المجددين في إحداث التغيير الاجتماعي. «ولقد نظر إلى المجتمعات التقليدية على أنها مجتمعات ساكنة راكدة تعرف نظمًا جامدة للمكانة الاجتماعية (وجود جماهير من الفلاحين وصفوة حاكمة) تحكمها علاقات تسلّطية غير مبدعة وغير دافعة للتجديد. وينعكس ذلك على الأفراد الذين يعيشون في هذه المجتمعات، حيث يتصفون بعدم القدرة على التجديد، وعدم القدرة على ضبط وتحليل العالم الذي يعيشون فيه. ومثل هذا المجتمع يعدّ مجتمعًا ساكنًا وقد لا يعرف التغيير لعدة قرون. ويفترض هاجن أن ثمة علاقة قوية بين طبيعة البناء الاجتماعي وبين نمط الشخصية، بحيث يمكن القول إن البناء الاجتماعي لن يتغيّر إلا إذا تغيّرت الشخصية. وهكذا يحدث التغيير بشكل تدريجي فينتقل المجتمع من حالة التسلط والتجبر إلى حالة الإبـداع والتطور مـرورًا بعمليات وسيطة ترتبط بتحدي نظم المكانة، والانسحاب منها حسب الحيثيات الممكنة»[١].

ومن هنا تبدأ نظرية هاجن في التغيير الاجتماعي، فذلك التغيير يرتبط بعوامل نفسية، أي يخلق أنماط الشخصية القادرة على التجديد، وتتسم مثل هذه الشخصية بالابتكارية والفضول والانفتاح على الخبرة. إن مثل هذه الشخصية تسعى إلى ابتكار حلول جديدة ولا تقبل ما هو قائم منها، كما أنها تنظر إلى العالم من حولها على أنه عالم يقوم على نظام

(١) علي السيد الشخيبي، مرجع سابق، الصفحة ٣١٩.

معين قابل للفهم، وتكون قادرة على حلّ المشكلات التي تواجهها في العالم. ويفترض هاجن أن التغيير في البناء التقليدي للمجتمعات يبدأ عندما تظهر مجتمعات من الأفراد لها هذه الخصائص تهدد بناء المكانة القائم وتسحب البساط من تحت أقدامه. ومثل هذه الجماعات تظهر بالتدريج، ومن خلال عمليات مستمرة من الانسحاب، ويرتبط ظهورها وتكاثرها بظهور ظروف اجتماعية (ترتبط بالأسرة والتنشئة الاجتماعية). وهكذا يحدث التغيير بشكل تدريجي فينتقل المجتمع من حالة التسلطية، إلى حالة الابتكارية مرورًا بعمليات وسيطة ترتبط بتحدي نظم المكانة القائمة والانسحاب منها.

الفصل الثاني:

التغيير الاجتماعي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق

تمهيد

وفي هذا الفصل سنتحدّث عن النظرية القرآنية للتغيير، ورؤية القرآن للإصلاح الاجتماعي، ثم نقدّم بعض النماذج التطبيقية في القصص القرآني لهذه النظرية، ونختم بالسُّنن الإلهية التي هي نماذج واضحة عن منهجية التغيير في سيرة الأنبياء والمرسلين والصالحين، ونستفيد منها في حركة التغيير الاجتماعي للوصول إلى الغايات المرجوّة.

ونظرية التغيير الاجتماعي تقوم على أساس الحقائق الثابتة من خلال الآيات والبينات التي توضح منهجيّة التغيير وفق السُّنن والقواعد الثابتة في حياة المجتمع البشري. ويتميّز القرآن الكريم في حديثه عن عوامل التغيير الاجتماعي في أنه يضع في اعتباره كل العوامل التي يمكن أن يكون لها تأثير في حركة المجتمعات وتطورها، إلا أنه رتّب هذه العوامل حسب أهميتها: فمنها ما هو أساسي لا يمكن التفسير بدونه ومنها ما هو فرعي يعمل في إطار العوامل الأساسية.

وقدّم القرآن الكريم قانونًا اجتماعيًا للتغيير قوامه ضرورة غرس قيم التغيير المراد طرحها وتفعيلها داخل المجتمع على مستوى القاعدة الاجتماعية ليؤتي ثماره المرجوة منه. ويتمحور قانون التغيير الاجتماعي في القرآن الكريم حول قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾[1]. ونلاحظ أن هذه الآية الكريمة تعطي تأكيدًا جازمًا على أمرين هما:

أولًا: تأكيد قانونية السببية، فلا تغيير إلا بتقديم ثمنه، المتمثّل بتغيير ما في الإنسان من كل ما يتعارض مع قيم التغيير المراد استنباته داخل المجتمع كي يصبح نموذجًا صالحًا يقدّم النفع والخير للمجتمع.

ثانيًا: أن هذا التغيير لا بدّ من أن يكون على مستوى قاعدة المجتمع، بحيث يغدو في النهاية سلوكًا تلقائيًا نتيجة لتجذير قيم ذلك التغيير في داخل المجتمع.

(١) سورة **الرعد**، الآية: ١١.

٢-١-المبحث الأول:
التغيير على ضوء القرآن الكريم

ورد لفظ التغيير في القرآن الكريم في أربعة مواضع، موزَّعة على أربع سور مدنيَّة النزول، بالاشتقاقات المختلفة وهي كالآتي:

أولًا: ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ﴾[١].

ثانيًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾[٢].

ثالثًا: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[٣].

رابعًا: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ﴾[٤].

---

(١) سورة **النساء**، الآية : ١١٩.

(٢) سورة **الرعد**، الآية: ١١.

(٣) سورة **الأنفال**، الآية: ٥٣.

(٤) سورة **محمد**، الآية: ١٥.

ونلاحظ أن التدَبُّر العميق لكلِّ موارِدِ لفْظِ التَّغْييرِ في القُرآن الكريم تأخذنا إلى مجموعة من المعاني يُمكن ترْصيفُها في الوحدات الدلاليَّة التَّالية:

٢-١-١- تغْيير خلْق الله

قال عزّ من قائل: ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ﴾[١]؛ فهذه الآية جاءت في معرض حديثه تعالى عن غَواية وتضليل إبليس - لعنه الله - لعباد الله ودعائِه إيَّاهم إلى طاعته، وتزْيينه لهم الضلالَ والكفرَ حتَّى يُزيلهم عن منهج الطَّريق، ومِن معاريضِه - لعنه الله - أمْرُه للعباد بتغيير خلْق الله، وهذا التغيير يكون معنويًا عبر التضليل الفكري والنفسي والغواية الشيطانية التي تقود الإنسان إلى مسالك الكفر والانحراف وهو أخطر تغيير على البشرية لأنه يكون مخفيًا عن الحس ويضمر فيه مكامن التغيير المعنوي وفق الرؤية القرآنية للآية الكريمة.

وهناك العديد من الأقوال في معاني التَّغْيير في الآية أهمها:

أ. تغْيير دين الله:

وهو أنَّ آية النِّساء تتناصُّ مع قوله تعالى: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾[٢].

وتغْيير دين الله له وجهان:

---

(١) سورة **النساء**، الآية: ١١٩.

(٢) سورة **الروم**، الآية: ٣٠.

الوجه الأوَّل: «أنَّ الحق عزّ وجل فَطَرَ الخلْق على الإسلام يوم أَخْرَجَهم مِن ظهْر آدمَ كالذَّرِّ، وأشهدَهم على أنفسهم أنَّه ربُّهم وآمنوا به، فمَن كفَر فقد غيَّر فطرة الله التي فَطَر النَّاسَ عليْها، وهذا معنى قول الرسول الأكرم محمد ﷺ: «ما مِنْ مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ على الفِطْرةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِه ويُنَصِّرَانِه ويُمَجِّسَانِه»[1]». وهذا الوجه أقرب إلى التفسير القرآني لمعنى التغيير.

الوجه الثاني: «أنَّ المراد مِن تغْيير دينِ الله هو تبْديلُ الحلالِ حرامًا، والحرامِ حلالًا»[2]، وينشأ هذا في الغالب من نظرة قاصرة للدين وأحكامه، وسوء فهم لتشريعات تدفع البعض لتبديل تلك الأحكام متوهمًا أن الشريعة قاصرة عن تلبية الحاجات المعاصرة للناس.

ب. تغْيير الصفاتِ الحسِّيَّة للخلْق:

فقول الحق عز وجل: ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ﴾ هو التَّغيير المتعلِّق بالظَّواهر الحسِّيَّة للخلْق، وفيها العديد من المعاني أبرزها:

• الإخْصاء وبتْر العيون وشقّ الآذان؛ فقد رُوِي عن أنسٍ، وشهْر بن حوشب، وعكْرمة، وأبي صالح: أنَّ معنى تغْيير خلْق اللهِ ها هنا هو: الإخْصاء، وقطْع الأذنين وفقْء العيون؛ ولهذا كان أنسٌ يكْره إخصاء الغنَم، وكانت العربُ إذا بلغتْ إبِلُ أحدِهم ألفًا عوَّروا عينَ فحْلِها [3].

• الوصْل والنمص والوشم، قال الحسَن:. «المراد ما رَوى عبد الله بن مسعود عن النَّبيِّ ﷺ:

---

(١) محمد حسين الطباطبائي، **تفسير الميزآن**، الجزء ١٦، الصفحة ١٨٨.

(٢) فخر الدين الرازي، **تفسير الرازي**، الجزء ١١، الصفحة ٤٩.

(٣) أبو اسحاق الزجاج، **معاني القرآن**، الجزء ٢، الصفحتان ١٩٥-١٩٦.

«لَعَنَ اللهُ الواصِلات والواشِمات»، قال: وذلك لأنَّ المرأة تتوصَّل بهذه الأفعال إلى الزنا»[١].

٢-١-٢- تغْيير نعمة الله

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[٢].

وهنا معنى ظاهِر النِّعمةِ: أنَّه يرادُ بها ما يكُون فيه العِبادُ مِن سَعة الحال والرَّفاهية والعزَّة والتَّمكين والخصب فتتغير هذه الأحوال بإزالة الذَّات، وقد يكون بإزالة الصفات، فقد تكون النعمة أُذْهِبَتْ رأسًا وقد تكون قُلِّلَتْ وأُضْعِفَتْ.

ولا بد من ذكر سبب ذهاب هذه النِّعَم وتغيُّرها ويرجع للأمور التالية:

إنَّهم قابلوا النِّعَم بالكُفر والفسوقِ والعصيانِ، فلا جرَم أنهم استحقُّوا تبْديلَ النِّعَم بالنِّقَم، والمِنَح بالمِحَن[٣].

وزاد ابن عطية (ت ٥٤٢) كعادتِه الآيةَ توضيحًا، فقال: «تغيير ما أُمِروا به مِن طاعةِ الله، تغْييرٌ إمَّا منهم، وإمَّا مِن النَّاظرِ لهم، أو ممَّن هو منهم بسببٍ، كما غيَّر تعالى بالمنهزِمين يوم أحُد بسبب تغْيير الرُّماة ما بأنفسهم»[٤].

---

(١) فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب**، الجزء ١١، الصفحتان ٤٩ – ٥٠.

(٢) سورة **الأنفال**، الآية: ٥٣.

(٣) نظام الدين الحسن القمّي، **غرائب القرآن ورغائب القرآن**، بهامش **جامع البيان** للطبري، الجزء ١٤، الصفحة ١٠.

(٤) محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، الجزء ١٠، الصفحة ٤٥.

وذهب الفخر الرازي (ت. ٦٠٦هـ) : «إلى أنَّه تعالى أَنعَم عليْهم بالعقل والقدرة، وإزالة الموانع وتسهيل السبل، فإذا صرفوا هذه الأحْوال إلى الفسق والكفْر، فقد غيَّروا نعمة الله تعالى على أنفُسِهم»[١].

وقد ذهب الطاهر بن عاشور (ت. ١٣٩٣هـ) إلى مثله فقال: «فتغْييرُ النعمةِ إبدالُها بضدِّها وهو النقمة وسوء الحال؛ أي: تبديل حالةٍ حسَنةٍ بحالةٍ سيئةٍ. والمراد بهذا التَّغْيير: تغيير سَبَبِهِ، وهو الشُّكْر إنّ يُبدِّلوه بالكفْران»[٢].

٢-١-٣- تغيير ما بأنفُس القوم

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٣]. وهذه الآية جاءت بعد أن ذَكَر سبحانه إحاطة علْمِه بالعباد وأنَّ لهم معقِّبات - ملائكة - يحفظونهم؛ فقال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٤]. وظاهر كلام أغلب المفسِّرين يدلُّ أنَّ المراد: لا يُغَيِّر ما هم فيه مِن النِّعَم بإنزال الانتقام.

فتغْيير ما بالأنفُس - القوم - يُـراد به تغْييرُ ما بها مِن الأعمال والأحْـوال والأخـلاق، التي كان عليْها العبادُ وقتَ مُلابَسَتِهم بالنعمة، واتَّصفوا بعد ذلك بما يُنافيها بكفْران نِعَمِ اللهِ تعالى، وغَمْطِ إحسانِه، وإهمالِ أوامِرِه ونواهِيهِ.

---

(١) الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، الجزء ١٣، الصفحة ١٨٧.

(٢) محمد بن الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، الجزء ١٠، الصفحة ٤٥.

(٣) سورة **الرعد**، الآية: ١١.

(٤) سورة **الرعد**، الآية: ١١.

ويقول السيد الطباطبائي في تفسير هذه الآيـة: "'ن العقاب الذي يعاقب به الله سبحانه إنما يعقب نعمة إلهية سابقة بسلبها واستخلافها، ولا تزول نعمة من النعم الإلهية ولا تتبدل نقمة وعقابًا إلا مع تبدّل محله وهو النفوس الإنسانية. فالنعمة التي أنعم بها على قـوم إنما أفيضت عليهم لما استعدوا لها في أنفسهم، ولا يسلبونها ولا تتبدل بهم نقمة وعقابًا إلا لتغييرهم ما بأنفسهم من الاستعداد ومـلاك الإفاضة وتلبسهم باستعداد العقاب. وهذا ضابط كلي في تبدّل النعمة إلـى النقمة والعقاب، وأجمع منه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾، وإن كـان ظـاهـره أظهر انطباقًا على تـبـدّل النعمة إلـى النقمة، وكيف كان فقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[1] من قبيل التعليل بأمر عام وتطبيقه على مورده الخاص أي أخذ مشركي قريش بذنوبهم، وعقابهم بهذا العقاب الشديد، وتبديل نعمة الله عليهم عقابًا شديدًا إنما هو فرع من فروع سُنة جارية إلهية هي أن الله لا يُغيّر نعمة أنعمها على قوم حتى يُغيّروا ما بأنفسهم»[2].

٢-١-٤- أساس التغيير في القرآن الكريم

نجد بين ثنايا القرآن الكريم كثيرًا من الآيات النورانية التي تحدثت عن السُّنن الإلهية والتي قضى الله تعالى بجريانها بين عباده. ومن أشهر تلك السُّنن سُنة الله في التغيير والتي ينتج عن العلم والمعرفة بها تصحيح

---

(١) سورة **الأنفال**، الآية: ٥٣.

(٢) السيد الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، الجزء ٩، الصفحة ١٠١.

المفهوم الخاطئ لدى بعض الناس من أن ما يقع في هذا العالم من حوادث ومجريات إنما يقع صدفة أو خبط عشواء، وإنما يقع ذلك وفق سُنن إلهية ثابتة لا تحيد ولا تميل ولا يخرج عن مقتضاها شيء، حيث بينت هذه الآية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]. وكثيرًا ما يربط العلماء والمفسرون هذه الآية الكريمة بمدلولها الأولي الطاغي على الأفهام، المرتبط بالجانب التربوي التعبدي المحض، في علاقة الإنسان بخالقه ودينه، ولا شكّ أنه الأصل والمدخل الأهم، غير أن النفوس البشرية المخيرة بين السعادة والشقاء الأخروي تتشارك جميعها في سعيها الدنيوي في طبيعة تكوينها وحمولتها الإيجابية أو السلبية التي تتفاعل من خلالها مع محيطها الخارجي المادي وتأثر بالإيجاب أو السلب مع نقط التقائها في المجتمع، فتخاطب الآية الكريمة في هذا السياق كل نفس جاحدة بخالقها مستكبرة، أو ظالمة لنفسها مستسلمة، أو حائرة مترددة، بين إقبال وإدبار. والآية الكريمة نفسها تحيلنا على أنها تشمل كذلك كل نفس منعزلة عن المجتمع لا تخالط الناس ولا تهتم بأمرهم، نفس عاجزة تثقل المجتمع بسلبيتها، قاعدة عن الشأن العام، تعُمّ القوم بفائض تقصيرها وتخاذلها الذي يكون سببًا لهلاك القوم ومصرعهم.

والتغيير يبدأ من النفس سواء بالارتقاء والارتفاع إلى أعلى أو بالانتكاس والهبوط إلى أسفل؛ فإذا وجدت الأسباب فالنتائج تتبعها إذ إنّ حدوث التغيير مترتب على حدوثه من البشر سلبًا وإيجابًا، وهذا ما يتطلب معرفة دقيقة عن التغيير وآثـاره على المستوى النفسي والاجتماعي.

---

(١) سورة **الرعد**، الآية: ١١.

فالقرآن الكريم بيّن لنا طريق الكمال نحو التغيير الإيجابي، وذلك من خلال تناغم القوانين والسُّنن الكونية والإنسانية الخارجية مع قانون الرقابة والانضباط والتهذيب والتطهير الداخلي. فكما أن التشريع والقوانين والسُّنن الإلهية الخارجية لها أهميتها كذلك التهذيب والإصلاح الداخلي غير المرئي له سُننه وأهميته فكلاهما من سُنن الله، ودليل ذلك قول الله عز وجل:

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾[1]. كما أن هناك سُنّة خاصة تساعد على ظهور الاستعداد لدى الإنسان، ألا وهي سُنة الابتلاء والامتحان والتمحيص لبلوغ الكمال البشري؛ فقد قال عزّ من قائل في كتابه:

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾[2]. وما مجيء الأنبياء إلا لإخراج هذا الاستعداد للكمال - وهذا نوع من التغيير الايجابي - والكامن في الإنسان من القوّة إلى الفعل بمفتاح النجاح في الابتلاء فتحوّل الإنسان إلى خليفة الله في أرضه ولا تتمّ هذا الحلقة إلا بإرسال الرسل والأنبياء الذين أوكلوا بتعليم الناس وتهذيبهم، فإصلاح هذين الأصلين والأساسين هو الطريق لبلوغ الكمال المنشود، وبيان ذلك في قول الله عز وجل:

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾. وإلا بقي الإنسان يتخبط في ظلمات الجهل والوهم. وهذه أهمية التزكية الإلهية للبشرية لأنها تُعطي الإنسان المؤمن أهمية في حياته وتبين له

---

(١) سورة **الفتح**، الآية: ٢٣.

(٢) سورة **الملك**، الآية: ٢.

طريق الرشاد إلى الله عز وجل، وهذا ما يجعلنا نحتاج إلى مفهوم التغيير بنظرة قرآنية حتى يتسنّى لنا الوصول إلى الكمال المنشود والذي يُعطي للإنسانية الخير والصلاح.

ولا بدّ من ذكر بعض العوامل التي تساعد على التغيير بحسب نظرة القرآن الكريم في الآيات وهي:

أولًا: العلم والمعرفة وهو الأصل الأول للتغيير:

وذلك أن الإنسان يمكنه أن يتعلّم ويتعرف على العوالم من حوله ويبحث عن المسببات والقوانين والسُّنن التي تبيّن له حقيقة التغيير، وبحسب اصطلاح الحديث تعطيه – رؤية كونية – إلا أن هذه الرؤية ما هي إلا جناح واحد لطائر لا يمكن أن يحلّق إلا بجناحين، فلا يمكن لطائر الكمال الإنساني أن يحلّق بجناح المعرفة والعلم فحسب، فكثيرون يمتلكون معرفة علمية ودقيقة في مجالات العلم ولكنهم لا يلتزمون بها ولا يعلمون بمقتضاها، ولذلك يجب إضافة أمر آخر إلى جانب المعرفة ألا وهو التعبّد والتزكية والتهذيب، أي أن نُعمل الجانب الروحي والمعنوي كي تكتمل رؤية الإنسان في الوصول إلى الغاية والهدف للتغيير.

ثانيًا: العمل وتزكية النفس وهو الأصل الثاني للتغيير:

التهذيب والتزكية هما نتيجة حتمية للمعرفة الحقّة للكون والنفس والتي تُفضي إلى عبودية خالصة لله وتقتضي حُسنًا فعليًا وفاعليًا وهو الجناح الآخر لطائر الكمال الإنساني؛ فبهما ترتقي الأمم والأنفس عن الانحطاط الناتج عن الظلم والجهل، فقول الله عز وجل في كتابه المقدس: ﴿إِنَّهُۥ

كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[١] هو «أن الإنسان إذا لم يصل إلى طريق الرشاد والمعرفة الإلهية يبقى في دائرة الجهل، ولا نجاح إلا في العمل بمقتضاها لتوافقها مع الفطرة البشرية في كل زمان ومكان. أما القواعد الوضعية فآثارها لا تسري في كل زمان، فالقواعد التي توفر الراحة والطمأنينة لإنسان بدائي كان يعيش في كهفه ويصطاد في غابته لا تصلح للتطبيق في عصرنا الراهن، كما لا يصلح السيف في عصر الأسلحة النووية أو الخيل في عصر النفّاثات..»[٢].

وهنا نرى أنه إذا افتقدت الأمّة حدّ النّصاب في هذين الأمرين، وكانت بحاجة إلى معرفة أعمق وتزكية أنجع، تعيّن على المعلمين الربانيين المستخلفين في الأرض القيام بهذه المهمة سـواء أكانوا أساتذة جامعات أم معاهد دينية، وتعيّن على الأمّة اتّباعهم، فإذا وُجد المعلم الرباني والمتعلم على سبيل نجاة استطاعت الأمة بلوغ الكمال وتحوّلت إلى خير الأمم لأن اتباع خليفة الله يعني اتباع نبي الملائكة قبل نبي الناس لكونه حاصلًا على مقام إنبائهم وتعليمهم بعد أن تزود بالعلم اللدنّي والأسمائي، «فهو نبي المعارف وإن لم يكن نبي شريعة للناس»[٣]، وأما إذا افتقد الأساتذة المعرفة الكونية فلا يسعون إلى التزكية ولا يؤمنون بحقيقة الربوبية والعبودية وبأن الدنيا ماهي إلا دار مجاز وابتلاء ومرتبة حقيرة في قبال العوالم الأخروية، وأن الآخرة هي الحياة الحقيقية والأبدية للإنسان وهي الاعتقادات التي تسمى في ثقافتنا بأصول

---

(١) سورة **الأحزاب**، الآية: ٧٢.

(٢) محمد حسين الطباطبائي، **الإسلام ومتطلبات التغيير**، الصفحة ٥٩.

(٣) قيصر التميمي، **بحوث لآية الله سند، الإمامة الإلهية**، الصفحة ٢٢٢.

الدين، فإنهم بالتأكيد لن يستطيعوا انتشال الأمة من مستنقعها بل سوف يزيدونها وبالًا وتخلّفًا في جميع الميادين.

وخُلاصة ذلك أن الذات يمكن تهذيبها وتزكيتها علمًا وعملًا على الصعيد الفردي والاجتماعي، وأن كل التغييرات الاجتماعية أو الطبيعية سببها هو تغيير سلوك النفس لأن التغيير السلوكي هو الذي يغيّر المجتمع والأمة، وينقلها من حال إلى حال آخر، ولذلك نرى تأكيد هذه الأهمية في القرآن الكريم والتي تبين الصورة الكاملة للإنسان المؤمن في تغيير حياته ووصولها إلى المراتب الكمالية للروحية الإنسانية.

فتغيير المجتمعات أمر ممكن، ولو كان ممتنعًا، لما سعى إليه أنبياء الله ورسله، أو دعونا إليه ولأصبح الاقتداء بهم تكليفًا بالمحال وبما لا يُطاق، فهم بالفطرة عرّفونا قانون التغيير الاجتماعي المنطلق من الفرد.

وأما المبدأ الثاني فهو العمل على أن يكون التغيير على مستوى القوم والقاعدة الغالبية فتغيير عدد من الأفراد لا يعدّ تغييرًا اجتماعيًا.

فالإنسان بفكره وسلوكه يستطيع أن يُحوّل حياته الدنيوية ومصيره الأخروي إلى نعيم دائم أو شقاء سرمدي، قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾[1]، فقد أشارت الآية إلى الماء كعلامة للحياة ورفاه العيش، وإلا فالأمر ليس مقتصرًا عليه كما يمكن أن يظنّه البعض من منطوقها بل يشمل مطلق النعم المؤدية إلى رخاء اجتماعي بدليل الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2]، وهو الظاهر أيضًا من الإطلاق في الآية: ﴿وَلَوْ

(١) سورة **الجن**، الآية: ١٦.

(٢) سورة **الأعراف**، الآية: ٩٦.

أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[1]. وكما هو معلوم فإن للقرآن جريًا فما يصدق على الأولين يصدق على الآخرين إذا تحققت الشرائط والأسباب بلا فرق أو خصوصية لزمان أو مكان أو أمّة؛ فالآيات السابقة وإن كانت قد نزلت في أهل الكتاب لكنّها من السُّنن الإلهية العامة التي تنطبق على الجميع في كل زمان ومكان.

(١) سورة **المائدة**، الآية: ٦٦.

٢-٢- المبحث الثاني:
نظرية الإصلاح الاجتماعي في القرآن الكريم

الغرض الأول والأساس للأنبياء والمرسلين في جميع دعواتهم وجهادهم بحسب الرؤية القرآنية هو الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي، فالله سبحانه يقول على لسان نبيّه شعيب عليه السلام: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾[١]، فالإصلاح ركيزة أساسية في العقيدة الإيمانية، ومن هنا أنيطت وأسندت إلى الأمة مسؤولية عظيمة وهي وجوب الأمر بالخير والمعروف، والنهي عن الشرّ والمنكر والضلال في قوله تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[٢]. وقد تفرّع عن هذا التكليف الكفائي لتشريع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - وهو الأمر الذي يُعدّ عصب مقياس التفاضل بين الأمم - وجوب القيام بإصلاح الأفراد والمُجتمعات، فشرّف الله الأمة الإسلامية التي تتبع النهج القرآني بهذه المسؤولية، وهذا الواجب، وعدّها به خير الأمم في الأرض، وأسند إليها وظيفة التغيير الاجتماعي والإصلاح الأخلاقي. وفي المقابل، فقد قبلت الأمة هذه

---

(١) سورة **هود**، الآية: ٨٨.

(٢) سورة **آل عمران**، الآية: ١٠٤.

الوظيفة، وتحملت هذا العبء والتكليف كما تحمله الرسل فصارت في العمل به هي الأمة المرسلة والرسولة، ولم يتسنّ لها أن تصل إلى هذا المقام الشريف والشامخ إلا بعد أن أصلحت حالها وغيّرت مسارها، وقدّمت أنموذجًا أفضل لحمل هذه المسؤولية، وتحمّلت المشاق وما لا يطاق في سبيل إعلاء كلمة الله والقضاء على الفساد والضلال، وسائر أركان الكفر والطغيان، وجاهدت لتحقيق الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي الذي دعا إليه القرآن الكريم فاجتازت جميع الصعوبات والامتحانات الربانية العسيرة بنجاح لتصبح النموذج والأسوة من بين الأمم، وهذه المسؤولية في حمل الرسالة الإسلامية عظيمة ومُقدّسة، وحملها ثقيل لأنها جعلت في مقدمتها التغيير والإصلاح لجميع الجوانب الاجتماعية والثقافية والسياسية وغيرها.

فالإصلاح والتغيير الاجتماعي: «من أقدس وأنبل الوظائف حيث يتشبّه القائمون عليها بأفضل الخلائق وأعظمها، وهذه ميزة جعلها الله في هذه الأمة الإسلامية فرسل الله وأنبياؤه جميعهم هُداة ومصلحون اجتماعيون في المقام الأول، وقد جاؤوا لحل المشكلة التي تمسّ واقعنا ومجتمعنا بالصميم، ولإعطاء أصدق إجابة على السؤال التالي: ما هو النظام الأفضل الذي يصلح للبشرية وتسعد به في حياتها الاجتماعية؟ ومن الواضح أن تحتل هذه المسالة مقامًا خطيرًا لما لها من تأثير في واقع الكيان الاجتماعي»[١].

ويبدو لنا أن الهدف الأساس من بعثة الأنبياء والمرسلين يتمحور في إحداث تلك التغييرات الاجتماعية والثقافية في المجتمعات الإنسانية،

---

(١) محمد باقرالصدر، **المدرسة الإسلامية**، الجزء ١٣ ضمن سلسلة الأعمال الكاملة، الصفحة ١١.

وإنقاذ البشرية وإخراجها من الظلمات والضلال إلى النور والهداية، وإيجاد المجتمع الصالح والحياة الكريمة والعزيزة لجميع البشر بلا مائز، ولذلك فإن الأنبياء عليهم السلام هم وحدهم الذين أجابوا عن ذلك السؤال المُتقدم بصدق وأمانة لأنهم لا ينطقون عن الهوى، وهم رُسل الله على خلقه، وإنما ينقلون من خالق البشر ما فيه صلاح شأنهم، وهو العالم بما يصلح حال البشرية.

وبطبيعة الحال فإن جوابهم يكمن في مبادئهم، فلو التزمت الأمم بالمبادئ والقيم والثوابت التي جاء بها أنبياء الله لعرفوا أن الرسل إنما جاؤوا بالنظام الأمثل للحياة الاجتماعية، ولحققوا باتباعهم مبادئ الرُسل السعادة في الدنيا والآخرة. وأهم تلك المبادئ مبدأ العبودية لله وحده في المنهج والعقيدة والتشريع وما يتفرع من هذا المبدأ من التزامات كثيرة أهمها التحرّر من العبودية لغير الله عزّ وجل في العقيدة والتشريع والحكم والقضاء، والرفض المطلق لحكم الطاغوت وتوجيهاته، بل والثورة على كل أشكال الأنظمة المستبدّة والظالمة القائمة في كل زمان ومكان.

وهنا يُمكننا القول إنه لا يمكن للتجارب الاجتماعية الإنسانية غير المتصلة بوحي السماء أن تدلنا بيقين إلى النظام الأمثل، والأصلح، كما لا يمكن أن نتعامل معها كتعاملنا مع التجارب الطبيعية والوضعية، والتي ما هي في واقع الأمر إلا اكتشافات عملية لقوانين وسُنن إلهية قرآنية، ويمكن للإنسان أن يرتقي في إدراكها إلى ذروة الكمال على مرّ الزمن من خلال تتبع سيرة الأنبياء والمرسلين.

ونلاحظ أنه يمكن للإنسان من خلال البحث في المجال الاجتماعي أن يكشف عن الكثير من القوانين والأنظمة التي لها تأثير كبير على الأوضاع لو بذل جُهودًا كبيرة لتغيير النفس داخليًا والمجتمع خارجيًا،

وعالج مسألة التغيير الاجتماعي كما ينبغي وفق الرؤية القرآنية السليمة التي تجمع بين عالمي الغيب والشهادة بين عالم المادة وعالم الروح، وسعى للمعرفة والعلم وجعل نُصب عينيه القيمة القائلة إنّ فوق كل ذي علمٍ عليم، وفوق كلّ ذي قوةٍ قوي، وفوق كلّ ذي صالحٍ أصلح، وسخّر النعم التي أغدقها الله عليه لمعرفة التغيير الاجتماعي، وبالتالي تكون النتيجة تغيير الواقع بما يتناسب ومصالح البشرية وسعادتها فينتهي به الأمر في التعامل مع القوانين الاجتماعية كتعامله مع التجارب الطبيعية وهنا يصل إلى غايته وهدفه.

ولعلّ في تعبير القرآن الكريم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[1] تأكيدًا لهذا الدور المناط بعهدة الأمة الإسلامية، وتلك الغاية في إنقاذ البشرية وتحقيق الخير والسعادة لها، كما أن الواجب المُلقى على عاتقها هو القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترسيخ المبادئ الإيمانية، وتطبيق المنهج القرآني السليم. ولا معروف أسمى وأفضل من إنقاذ الشعوب من براثن هيمنة الظلم والاستكبار، كما لا منكر أبشع وأقبح من التبعية للمستكبرين وخدمتهم وجعلهم هم قادة هذه الأمة. وأبرز نموذج يُمكننا أن نطرحه في الإصلاح الاجتماعي هي ثورة الإمام الحسين عليه السلام في التاريخ البشري، وذلك لما أحدثته من تموّج وتغيير شامل يندر وجوده في العالم كله من جهة، ولا يمكن أن يعطي ثماره إلا إذا أُريق دم زكي كدم الحسين من جهة أخرى، فكانت ثورة على الذات والنفس وإصلاحًا للمجتمع، وما الانتفاضة الحرّة ضد سيطرة المستكبرين والمستبدّين في عالمنا اليوم إلا نتاج لبعض آثار تلك الثورة والحركة

(١) سورة **آل عمران**، الآية: ١١٠.

التصحيحية لربيب المدرسة النبوية إذ حدّد الإمام الحسين عليه السلام أهدافها في إعلانه العاشورائي بقوله: «إني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مُفسدًا ولا ظالمًا وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي»[1]، ولذلك لم يجد الحسين وأهل بيته وأصحابه غضاضة في بذل حياتهم لأجل حياة الأمة واستقامتها وصلاحها ما دامت الأمة لن تصطلح ولن تحيا إلا إذا اهتزت بإراقة دم زكي كدم الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته.

والسؤال الذي يفرض نفسه في طريق تلمّس النظرية القرآنية في هذا المجال هو: ما هي رؤية الإصلاح في القرآن الكريم؟

ونلاحظ أن الكثير من الآيات القرآنية جاءت لتؤكد على أن الصالح ما كان موافقًا مع فطرة الإنسان ومنسجمًا مع وجدانه وضميره وعقله، والفاسد ما كان تمامًا على عكس ذلك حيث يقول الله عز وجل: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾[2]، فكل ما كان مخالفًا لهذه الفطرة فهو بعينه انحراف وفساد، ومن هنا تركز الآيـات القرآنية على الإصلاح الاجتماعي بجميع أبعاده ومشتقاته وعلى جميع الأصعدة الفردية والاجتماعية، وفي مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية.

ولنُبين أبعاد هذه الحقيقة القرآنية في الإصلاح والتغييرلا بدّ من التطرق إلى جميع المجالات والأصعدة التي تحدث عنها القرآن الكريم في نطاق الهداية والإصلاح، فعلى صعيد الإصلاح الفردي تحدث القرآن عن ذلك بكل تفصيل لأن هدف الرسالات الإلهية هو إصلاح الإنسان

(١) العلامة المجلسي، **بحار الأنوار**، الجزء ٤٤، الصفحة ٣٢٩.

(٢) سورة **الروم**، الآية: ٣٠.

وتربية هذا المخلوق الذي شملته العناية الإلهية منذُ خلقته، ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1]، فليس غريبًا أن يبدأ الإصلاح بخصوص الإنسان كفرد وهذه ميزة الرسالات الإلهية عن بقية المناهج البشرية، فالإنسان له قيمة أساسية بنظر السماء ومن أجله خلق الله الكون وسخّر له الشمس والقمر وسخر له كل شيء.

وعلى عكس المناهج البشرية الوضعية منها وخاصة الرأسمالية والتي تسعى جاهدة لاستغلال الإنسان لأغراضها الدنيئة بجعله وسيلة لتقدّمها المادي ولتطورها الآلي والتكنولوجي، فإن القرآن بمنهجه السماوي أعطى الإنسان بحدّ ذاته قيمة معنوية عالية، وجعله الله خليفته في الأرض، وعلى نطاق الإصلاح الفردي جاهد القرآن الكريم على تحرير أفكاره وعقائده من خرافات الجاهلية وبراثن الوثنية، ومن عبادة الأصنام والأشخاص إلى عبادة الله الواحد القهار، فقد قال الله عزّ وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2]. ومن أجل أن يعيش الإنسان في طمأنينة وسعادة روحية ونفسية أعطاه القرآن نظامًا عباديًا يتألف من الصلاة والصيام، وللارتباط بخالق الكون بواسطة الدعاء والتفرغ ليملأ الجانب الروحي بشحنات من الأنـوار القُدسية ولتكون بمثابة غذاء معنوي في كل يوم خمس مرات على الأقل. وحتى لا يكون سلوك الإنسان كبقية الحيوانات والأنعام فقد وجّه القرآن الكريم

---

(١) سورة **الاسراء**، الآية: ٧٠.

(٢) سورة **النحل**، الآية: ٣٦.

مجموعة من الأحكام والقوانين ليصلح سلوكه وفق الإطار الإنساني الكامل، يقول الحق سبحانه:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[1]. ومثلما لم يغفل القرآن عن الجانب الروحي والمعنوي في الإنسان فهو وبهذا المنهج على نطاق الإصلاح لم يغفل عن الجانب الجسدي المادي ليوجه الناس إلى أكل الطيبات واجتناب الخبائث، حيث قال عزّ من قائل: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١١٤ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[2].

ونلاحظ في عملية الإصلاح المراحل الزمنية الانتقالية في المجتمع والتي تعتبر سُنة إلهية في الحياة، فما من مجتمع إلا وهو يتغيّر حيث إن الأفراد يمرون بمراحل مختلفة من أعمارهم فهم ينتقلون من ضعف إلى قوّة، ثم إلى ضعف وشيبة، وهذا يحصل حتى بالنسبة للمجتمع بشكل عام في تركيبته حيث نرى أن المجتمعات تنتقل من ضعف إلى قوّة ثم إلى ضعف ثم تهرم وتشيخ. ومن الطبيعي أن كل مرحلة زمنية واجتماعية تترك آثارها إيجابًا وسلبًا على الناس في الجانب الأخلاقي والاجتماعي والثقافي والسياسي، وهذا ما يجعلنا نفكر بشكل دقيق لفهم هذه الحركة التغييرية، وكيف يمكن أن نستفيد منها في الإصلاح الاجتماعي للأمة الإسلامية، وتقديم نموذج قرآني لجميع الشعوب في الامتثال للأوامر الإلهية والمنهج السليم في الفكر والرؤية.

---

(١) سورة **النحل**، الآية: ٩٠.

(٢) سورة **النحل**، الآيتان: ١١٤-١١٥.

وأهم الغايات الأساسية في تقديم النموذج القرآني للأمة، والتي تبنّاها القرآن الكريم في نزوله، هي التربية والتهذيب والتزكية لا التثقيف والتعليم فحسب، ولذا نجد أن الأسلوب القرآني يخضع في جميع مراحله إلى هذا الهدف ويركز عليه بشكل أساسي حتى تكون الرؤية القرآنية واضحة حول منهجية الإصلاح الإلهي للبشرية، وإن قوّة وعظمة أيّ أمة تكمن في متانة الروابط الاجتماعية بين أبنائها وسلامة العلاقات القائمة بينهم على قاعدة الأخوة الصادقة والمعاملات المخلصة. وقد اهتم الإسلام بهذه القضية اهتمامًا بالغًا وتعرّض القرآن الكريم إلى هذا الجانب في علاقة الناس ببعضهم بعضًا، واعتبر القرآن الإصلاح الاجتماعي ضمانة لاستقرار المجتمعات، وعدم تعرضها للدمار. ويشير القرآن الكريم إلى ذلك حيث يقول سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[1]. ودعا القرآن إلى تبنّي الإصلاح الاجتماعي كقاعدة رئيسية ومركزية بين الناس حيث يقول الله عز وجل:

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2]. ودعا القرآن الكريم إلى عدم التفريط برابطة الأخوة بين المؤمنين داعيًا إلى حلّ الخلاف وفساد العلاقات من خلال الإصلاح حيث يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3]. ورفع القرآن الإصلاح درجة عالية ليلفت نظر المسلمين إلى أهميته حين يقول الله عزّ وجلّ: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ

(١) سورة **هود**، الآية: ١١٧.
(٢) سورة **الأنفال**، الآية: ١.
(٣) سورة **الحجرات**، الآية: ١٠.

بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[١]. ويقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام في حديث مروي بهذا الشأن:. «صدقة يحبها الله إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا»[٢]، وفي آية أخرى يؤكد القرآن الكريم الدعوة لعدم التهرب من القيام بالإصلاح الاجتماعي تحت أية مبررات حيث يقول الله عزّ وجل:

﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣]. ويحثّ القرآن الكريم على الابتعاد عن النزاع والصراعات فيقول الله عزّ وجل:

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٤].

وقد تطرّق القرآن لعدّة سُبل ووسائل للاستعانة بها في طريق الإصلاح من أجل ضمان تحقيق الأهداف والغايات الإلهية، وأهمها:

أولًا: الحكمة والموعظة الحسنة

فقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى:

---

(١) سورة **النساء**، الآية: ١١٤.

(٢) محمد بن يعقوب الكليني، **أصول الكافي**، الجزء ٢، الصفحة ٢٠٩.

(٣) سورة **البقرة**، الآية: ٢٢٤.

(٤) سورة **الأنفال**، الآية: ٤٦.

﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[١].

فهذه الآية تشير إلى أهمية الدعوة نحو الإصلاح وتحقيق شروطها. وقد أولى القرآن الدعوة إلى الاصلاح بالحكمة والموعظة أهمية خاصّة وبالغة، ووضع لها ضوابط وقيودًا دقيقة لأنّ الأمر يتعلّق بالمنهج الإلهي الذي يجب أن يقدَّم في أعظم حالاته، وبطريقة يتسلل معها الخطاب الرباني إلى العقل والقلب دون أن يحسّ المتلقي بثقل الخطاب أو غلظته، فالدعوة الناجحة المنسجمة مع مبادئ وقيم الإسلام تتطلب دعاة ربانيين يفهمون روح الإسلام وروح القرآن وعلاقته بالواقع، وكثيرًا ما كان المصلحون عبئًا على دينهم وإسلامهم، ولا يمكن للدعوة إلى الله في نظرية الإصلاح أن تتكامل أو تحقق المُراد الحضاري إذا كان المصلح إلى الله غير مستوعبٍ لقيم القرآن الكريم.

ثانيًا: الصبر والتحمّل

ولأن عملية الإصلاح الاجتماعي تحتاج إلى نفَس طويل وصبر وتحمل كبيرين أوصت آيات القرآن الكريم بذلك حيث يقول ربنا عزّ وجل:

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[٢]، فهذه الآية الكريمة تبيّن لنا أهمية الصبر والاستعانة بالله في دعوة الإصلاح المجتمعي، وإن من أبرز وأهم صفات المُصلح الاجتماعي أن يتحلّى بالصبر حتى يصل إلى النتائج

(١) سورة **النحل**، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة **الاعراف**، الآية: ١٢٨.

الإيجابية في عملية الإصلاح، ويقدّم النموذج القرآني الراقي في إصلاح الأمّة والهداية إلى سبيل الرشاد.

وإذا كان الإنسان المؤمن يريد أن تكون عاقبته خيرًا في الدنيا والآخرة فلا بُد له من التحمّل والصبر والاستعانة بالله في جميع شؤونه حتى يصل إلى غايته مهما كانت الظروف والصعوبات في حياته.

ثالثًا: الأسوة الحسنة - القدوة

مفهوم الأسوة الحسنة والذي أكد على أهميته المنهج القرآني له أثر كبير في تحقيق عملية الإصلاح على كل صعيد. وقد أشار القرآن الكريم إلى أعظم قدوة وهو الرسول الأكرم ﷺ في قول الحق عز وجل:

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

كما أشار القرآن إلى نبي الله إبراهيم A. وأسلوبه في التعامل مع الآخرين بقوله عزّ وجل:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[2].

---

(١) سورة **الأحزاب**، الآية: ٢١.

(٢) سورة **الممتحنة**، الآية: ٤.

فحاجة الناس إلى قدوة نابعة من غريزة تكمن في نفوسهم ولذلك اتخذ القرآن الكريم الأسوة الحسنة وسيلة لترقية المجتمعات المسلمة في سلّم الكمال السلوكي. وفي هذا بيان لأهمية القدوة في حياة الإنسان المؤمن، ومدى تأثيرها على تصرفاته وسلوكياته، ومسار حياته بصفة عامة. ويوضح لنا الله في كتابه العزيز أن خير قدوة للإنسان المسلم يجب أن تتمثل في الأولياء والصالحين الذين هم أهل لهذه المسؤولية؛ فالقدوة الحسنة تُعِين على الإصلاح والتغيير المجتمعي، وتحقيق الأهداف المنشودة، وعلى النقيض القدوةُ السيئة التي قد تهوِي بمن يقتدي بها في ظلمات لا يرى فيها الإنسان يديه من شدتها.

ونحن اليوم في أمسّ الحاجة إلى القدوة الصالحة التي تتمثّل بالقيم والمبادئ القرآنية السليمة، والمثل الأعلى، بسبب الضعف الذي أصاب حياة المسلمين من خلال غلبة الأهواء وإيثار المصالح الخاصّة، وقلّة القادة المخلصين والعلماء العاملين والدعاة الصادقين. لذلك فإن حاجة المسلمين في مختلف بلدانهم تتطلب وجود القيادات والقدوات التي تكون نموذجًا حيًا بحيث يرى الناس فيهم كل معاني الخير والصلاح قولًا وفعلًا، فينجذبون إليهم ويتأثرون بهم، لأن التأثر بالأفعال أبلغ بكثير من التأثر بالكلام وحده، فقد جاء على لسان شعيب عليه السلام قوله تعالى:

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾[1]. وتشتدّ الحاجة إلى الأسوة الحسنة في هذه الفترة العصيبة لنحقق من أنفسنا النموذج التطبيقي السليم لمنهج الحق سبحانه، لكي يحقق الله لنا النصر والتمكين من أعدائنا، ولذا يقول عز من قائل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن

(١) سورة **هود**، الآية: ٨٨.

تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[١]. فإذا أردنا أن يحفظ الله لنا إسلامنا وديننا القويم الذي أرتضاه لنا ويستتب الأمن والسلام في مجتمعنا ونكسر شوكة أعدائنا فَلْنُقِم هذا الدين في حياتنا وسلوكنا علمًا وعملًا.

إذًا، نحتاج إلى نموذج قرآني من أجل تكوين الرؤية الصحيحة في منهجية الإصلاح الاجتماعي وتكون واضحة لجميع الشعوب، وأن تمتثل للمنهاج الإلهي وفق المنظور القرآني كمن يصحح جميع الاختلالات، ويعالج المشاكل الاجتماعية والثقافية للمجتمع. وهنا أهمية الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي لأنه ركيزة أساسية في الفكر الإسلامي الذي دعا إلى الحكمة والبصيرة السليمة.

والخطاب القرآني يدعو دائمًا إلى الإصلاح والتجديد من خلال معالجة الأخطاء الاجتماعية والفكرية والثقافية، لذلك تراه يطرح تجارب الأنبياء والمرسلين والصالحين ليكونوا نموذجًا يُحتذى به في الحركة الحضارية نحو قيم الحق والتقدّم والخلاص، فيحوّل الإنسان نظرته المسترخية البلهاء الكسولة نحو الكون إلى نظرة حضارية واعية، رابطًا هذه النظرة بعمل يكشف من خلاله مجاهل الكون؛ كي تخدمه في حركته الإنسانية، فدعا القرآن الكريم المجتمع للانطلاق نحو قفزة حضارية، وأسس لذلك الإصلاح والتجديد من خلال خطوات عملية، وفي الوقت نفسه لفت الانتباه إلى المفاتيح التي تحقق ذلك، وقدّم للإنسان جميع الإمكانات والمقومات التي تحقق له غايته وتصل إلى طريق الهداية، وجعل هذا الطريق هو مفتاح الصلاح.

---

(١) سورة **محمد**، الآية: ٧.

مفاتيح الإصلاح

والقرآن الكريم يهدي الإنسان إلى مفاتيح الإصلاح حتى لا يشقى فيها؛ وهي مفاتيح صالحة لكل زمان ومكان، وعندما نتدبرها سنجدها مفاتيح علمية، ترفض التعويل على الخوارق والمعجزات والتواكل، وتدعو لإعمال العقل في البحث والملاحظة.

أول تلك المفاتيح كان قانون السببية، وهو كشف قرآني؛ جاء ليحفّز الهمم ويحطّم ثقافة الخرافة؛ ليتأسس المجتمع على أسس علمية عقلية سليمة، تربط الأسباب بالمسببات. ولقد حطم القرآن (نظرية المصادفة)، وأكد على أنّ كل ما يحدث في الكون لا بدّ له من سبب أدّى إليه؛ وبذلك دعا العقل إلى ربط الأسباب بالمسببات؛ وحثّه على اكتشافها، فامتلأت آي القرآن بذلك القانون، فكان أحيانًا يأتي بباء السببية ليعلل الأشياء:

﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾[١]، وأحيانًا يأتي باللام المعلّلة: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[٢] . ثم ينقلك القرآن إلى مفتاح آخر؛ فبعد طرحه لقانون السببية، بوصفه فاعلًا لا يتخلّف أبدًا في الموجودات الكونية كلّها، يأخذنا من خلاله إلى السُّنن الاجتماعية التي أكّد كثيرًا أنها تتحكم بانهيار ونهوض المجتمعات، ولا تقبل محاباة، ولا تفرق بين مجتمع مؤمن وغير مؤمن: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾[٣]. ويطرح القرآن الكريم المفتاح

---

(١) سورة **الحاقة**، الآية: ٢٤.

(٢) سورة **ابراهيم**، الآية: ١.

(٣) سورة **النساء**، الآية: ١٢٣.

الإنساني التشاركي، ليحدث التلاقح الحضاري، رافضًا ثقافة التصارع الحضاري. فقد قال عز من قائل:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[١].

والله سبحانه في كتابه المجيد أكد لنا أنّ تلك سُنن فاعلة في المجتمعات غير قابلة للاختراق بقوله عزّ وجلّ: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[٢] ، ليصل بك إلى المنحة الأعظم للإنسان، وهي التسخير الكوني له بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣]. وهكذا فإن الذين يرون الإسلام من خلال نظرتهم القاصرة تطبيقًا للشريعة فحسب، ويرفضون سُنة التدرج، أولئك أهملوا المنهج القرآني في الإصلاح؛ ليُقهروا الآخرين على فهمهم، وهم مسؤولون عن إخراج الناس من دين الله أفواجًا. إن فهم هؤلاء للإسلام ضيّق كثيرًا على الواسع القرآني وحوّل الرسالة القرآنية من رسالة عالمية أخلاقية من حق البشرية كلها إلى رسالة خاصة بالجغرافيا العربية، متصارعة مع الجغرافيات الأخرى، وهذا ما لا يقبل به القرآن؛ فالله سبحانه وتعالى ربُّ العالمين، وليس ربّ العرب وحدهم، وإله الناس كلهم، وليس إلهًا للمسلمين فقط، ورحمته وسعتْ كل شيء. وإن الله عزّ وجل فتح طريقه للعالمين وللبشرية جمعاء، وأعطى مفاتيح الخير لجميع المجتمعات أن

---

(١) سورة **الحجرات**، الآية: ١٣.

(٢) سورة **الأحزاب**، الآية: ٦٢.

(٣) سورة **الجاثية**، الآية: ١٣.

تمتثل للرؤية القرآنية التي تُقدّم الأفضل في التطبيق والعمل في الحياة الاجتماعية.

إن المنهج القرآني في الإصلاح وسُننه قد تمّ إهماله من قبل جيل التقليد الذي وجد في تقديس التراث والماضي والعادات والأعراف بديلًا عن القرآن؛ فجعله مُنحطًا على التلاوة في المحاريب وقبور الموتى لتصدق فيه صرخة الرسول ﷺ في القرآن الكريم في قول الحق عز وجل:. ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[1].

(١) سورة **الفرقان**، الآية: ٣٠.

٢-٣- المبحث الثالث:
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم

يُعدّ مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الركن الثالث في مثلث الجهاز الاصطلاحي القرآني الأساسي لنظرية التغيير الاجتماعي بعد (التغيير) و (الإصـلاح). وفي هذا المبحث سنقف عند هذا الركن الثالث، ونحاول أن نستنطق آيات الكتاب لنبيّن الرؤية القرآنية حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتتكامل مع معالم الصورة الكلية لنظرية التغيير الاجتماعي.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مبدأ الإصلاح الاجتماعي هو خطّ الإسلام في المجتمع ونصرة المؤمنين بالتوازي مع إضعاف جبهة النفاق، بما يؤدِّيه من وظيفة تتوحّد فيها طاقات أبناء الأُمّة الإسلامية وتذوب معها الأنانيات الشخصية والذاتية. وهذا يعطي قوّة لمجتمع المؤمنين وللنظام الإسلامي. فعن تقوية جبهة الإيمان ورد عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال «فمن أمر بالمعروف شدَّ ظهور المؤمنين»[١]. وعن تأثير النهي عن المنكر في هزيمة وإضعاف وإحباط عمل وخطط المنافقين والكافرين ورد عنه عليه السلام قوله: «مَن نهى عن المنكر أرغم

(١) **نهج البلاغة**، الحكمة: ٣١.

أنوف المنافقين»[١]. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعملان على تحرّر الأفراد، وكذلك المجتمع الإسلامي، من عبودية الأهواء إلى فضاء حرّية الإرادة. وبالتالي فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعملان على تقوية وتثبيت البُنى التحتية للأفراد، فهما يعتبران عملية صيانة وحماية للجبهة الداخلية للأُمّة والفرد، وعليه فمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مؤشر حياة الأفراد والأُمم ودورها تحويل الأفراد والمجتمع من محل لفعل الآخرين إلى فاعلين مؤثرين، وبالتالي إحياؤهم إلى الخير والعمل الصالح للأمة الإسلامية. ولأهمية هذا الإصلاح في المجتمع، وجَّهَ الله تبارك وتعالى رسالةً إلى الْمُرَبِّين والمصلحين إلى ضرورة تنبيه الأمة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي دورهم في الإصلاح الاجتماعي، وجاءت هذه الوصية على لسان لقمان الحكيم، في قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «مَن ترك إنكار المنكر بقلبه ويده ولسانه فهو ميّت بين الأحياء»[٣]. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشكّلان عاملًا أساسيًا في الإصلاح الاجتماعي، وفي الحفاظ على شخصية الأُمّة وتماسك هذه الشخصية وقوّتها ومؤثريتها وفاعليتها. وإنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يشكّلان فقط عاملًا في الحفاظ على شخصية الأُمّـة، بل يشكّلان إضافة إلى ذلك العنصر الأساسي في وحدة المجتمع والأُمّة الإسلامية؛ فوحدة الخلفية الثقافية والاجتماعية

---

(١) **نهج البلاغة**، الحكمة: ٣١.

(٢) سورة **لقمان**، الآية: ١٧.

(٣) الشيخ الطوسي، **تهذيب الأحكام**، الجزء ٥، الصفحة ١٨١.

والفكرية والعقائدية تشكّل أساسًا حوله يبتني الاجتماع بين أبناء الأُمّة. وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دور في الحفاظ على تماسك هذا البنيان، ولأنّ الوحدة تحتاج إلى أكثر من وحدة الخلفية الثقافية والعقائدية بل تحتاج إلى تعزيز الروابط الإنسانية. وقد أشار تعالى إلى هذا الأمر بالقول: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[١]. فهذه الآية الكريمة إشارة إلى نوع العلاقة التي تشدّ أواصر مجتمع المؤمنين وأسماها الولاية ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾.

٢-٣-١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في اللغة والاستخدام القرآني

جاء في كتب اللغة أن المعروف: «اسمٌ لكلِّ فِعْلٍ يُعْرَفَ حُسْنُه بالعَقْل أَو الشَّرْع، وهو خِلافُ المنكَر»[٢]، وقيل: «ما يستحسن من الأفعال، وكلّ ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه»[٣]. والمُنكر: «كل ما قبّحه الشرع وحرّمه وكرّهه»[٤]، والمعروف: «هو اسم لكلِّ فعل يُعْرَف بالعقل أو الشرع حسنه، والمنكر: ما ينكر بهما»[٥]، أيّ كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه أو تتوقف في استقباحه واستحسانه، فتحكم بقبحه الشريعة. وجاء في مجمع البيان أنّ المعروف: الطاعة، والمنكر: المعصية. وكل ما أمر اللّه ورسوله به فهو معروف، وما نهى اللّه ورسوله عنه فهو منكر.

---

(١) سورة **التوبة**، الآية: ٧١.

(٢) إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، الجزء ٢، الصفحتان ٥٩٥-٥٩٦.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، الجزء ٩، الصفحة ٢٨٦.

(٤) المصدر نفسه، الجزء ٥، الصفحة ٢٣٢.

(٥) الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، الصفحة ٣٣١.

وقد ذكرت مفردة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم بعدة مواضع منها:

أولًا: قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[١]، فالأمر للوجوب، أي يلزم أن يكون منكم جماعة يتولون هذا العمل، فإن لم تفعلوا فعليكم الإثم جميعًا.

ثانيًا: وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾[٢]، فجعل صفة الأمّة التي هي خير أمّة أخرجت للناس الأمر والنهي، وقدّمه على الإيمان.

ثالثًا: وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[٣]، فبدأ بهذه الصفة للمؤمنين وقدّمها على الصلاة، وذلك لأهمية وعظمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحفاظ على الأمة الإسلامية من الانحراف.

رابعًا: قوله تعالى ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[٤]، بمعنى أن أأْمر بالمعروف، وانْه عن المنكر بلطفٍ ولينٍ وحكمة بحسب جهدك، وتحمَّل ما يصيبك من الأذى مقابل أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر،

---

(١) سورة **آل عمران**، الآية: ١٠٣.
(٢) سورة **آل عمران**، الآية: ١١٠.
(٣) سورة **التوبة**، الآية: ٧١.
(٤) سورة **لقمان**، الآية: ١٧.

واعلم أن هذه الوصايا مما أمر الله به من الأمور التي ينبغي الحرص عليها.

خامسًا: قوله تعالى: ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾[١]، وهذه في وصف النبي ﷺ في أمته، وأن يهديه طريق الخير والصلاح في حياتهم.

سادسًا: قوله تعالى ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٢].

سابعًا: قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[٣].

ثامنًا: قوله تعالى ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[٤].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة مُقدّسة أكّدها الله تعالى في محكم كتابه، وقدّمها للأمة الإسلامية كمبدأ من مبادئ القيم القرآنية التي ترتكز على المنهجية السليمة في الحفاظ على الأمّة من الخلل والانحراف. والملاحظ أنّ الله تعالى في هذه الآية بقوله: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾[٥] قدّم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله

---

(١) سورة **الاعراف**، الآية: ١٥٧.

(٢) سورة **التوبة**، الآية: ١١٢.

(٣) سورة **الحج**، الآية: ٤١.

(٤) - سورة **لقمان**، الآية: ١٧.

(٥) سورة **آل عمران**، الآية: ١١٠.

تعالى؛ لأهمية هذه الشعيرة، ولكون المتصف بها هو الشخص المهيّأ فعلًا للإيمان الحقيقي بالله تعالى، فما كانت هذه الأمة خير أمّة إلاّ باتصافها بهذه الصفة التي تعدّل ما اعوجّ من أحوال المجتمع من خلال التنبيه إليه وتعيينه وإصلاحه، ولذا فمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعطي حصانة للمجتمع، وتطبيق هذا المبدأ يتطلب الإيمان بالله قولًا وفعلًا والتزامًا بالأوامر والنواهي الإلهية.

وفي قوله سبحانه: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1]، قد جعل سبحانه صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تالية لصفة تلاوة كتاب الله، والسجود له، والإيمان بالله واليوم الآخر في وصف أهل الكتاب؛ لكي يُستبعد ما علق في الأذهـان عن أهل الكتاب من اليهود من صفات الغدر، والخيانة، ونكث الإيمان، وتحريف الكتاب التي وردت في مواضع من كتاب الله العزيز، وليثبت أن المقصودين هنا هم خلّص العبّاد من أهل الكتاب، ومن الثابتين على الإيمان بالله من الذين أخلصوا النية لله تعالى.

وقد ورد في سورة الحج في صفة المؤمنين الأوائـل الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ وأخرجوا من ديارهم بغير حقّ إلاّ أن قالوا ربُّنا الله، قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ﴾[2]. وهنا يقول السيد الطباطبائي: «إن من صفتهم أنهم إن تمكنوا في الأرض وأعطوا الحرية في اختيار

---

(١) سورة **آل عمران**، الآيتان: ١١٣ - ١١٤.

(٢) سورة **الحج**، الآية: ٤١.

ما يستحبونه من نحو الحياة عقدوا مجتمعًا صالحًا تقام فيه الصلاة من بين الجهات العبادية، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر..»[١]. وأما موارد هذه الشعيرة – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - فهي لا تختص بمورد من الموارد، ولا مجال من المجالات، بل هي شاملة لجميع القيم والمبادئ الإسلامية فهي شاملة للتصورات والمبادئ التي تقوم على أساسها العقيدة الإسلامية، وشاملة للموازين والقيم التي تحكم العلاقات الإنسانية، وشاملة للشرائع والقوانين، وللأوضاع والتقاليد، وبعبارة أُخرى هي دعوة إلى الإسلام عقيدةً ومنهجًا وسلوكًا، بتحويل الشعور الباطني إلى حركة سلوكية واقعية، وتحويل هذه الحركة إلى عادة ثابتة متفاعلة ومتصلة مع الأوامر والإرشادات الإسلامية، وحتى تكون هناك قوانين ثابتة لابدّ من تطبيق مبادئ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق الرؤية القرآنية السليمة حتى تكون النتائج إيجابية وفقًا للمنهجية الإلهية في الحفاظ على المُجتمعات من الفساد.

و«الأمـر بالمعروف» و«النهي عن المنكر» هما - في الحقيقة - بمثابة غطاء وقائي اجتماعي لحماية الجماعة وصيانتها، لأن فقدان «الأمر بالمعروف» و«النهي عن المنكر» يفسح المجال للعوامل المعادية للوحدة الاجتماعية أن تنخرها من الداخل، وتأتي على كلّ جذورها كما تفعل الأرضة، وأن تمزّق وحدة الأُمّة وتفرّق جمعها، ولهذا فلا بدّ من مراقبة مستمرة ورعاية دائمة لهذه الوحدة، ولا يتمّ ذلك إلا بهاتين القاعدتين. وهذه الآية تتضمن دستورًا أكيدًا للأمة الإسلامية أن تقوم بهاتين الفريضتين دائمًا، وأن تكون أمّة آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر أبدًا لأن فلاحها رهن بذلك.

---

(١) محمد حسين الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، الجزء ١٤، الصفحة ٣٨٦.

وجاء في وصية الإمام علي عليه السلام لولديه الحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم على هامته الشريفه قوله: «لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولّى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم»[١]. فالمجتمع الذي لا يتحرّك ولا ينهض بمسؤوليته، ويترك تكليف الدفاع عن الحق والقانون يجب أن يتوقع مثل هذه النتيجة التي وردت في كلام الإمام علي عليه السلام ، أي أن يحكمها شرار الخلق ممن لا يبالي بأي قانون إلهي أو وضعي. ويلاحظ أن بعض التعابير القرآنية والحديثية تلفت الانتباه بحيث إن العبارة تسلّط الضوء على أكثر من عنوان وتبين سُنّة إلهية، وقانونًا ثابتًا في المجتمع مما يجعلنا نلاحظ أن هذه نتائج واضحة وآثار مترتبة عند عدم القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن هذا المبدأ القرآني يحافظ على حقوق الشعوب من الظُلم.

والأبعاد المهمة في مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي الدعوة إلى الخير والإحسان بالقول والعمل حتى يستعدّ المجتمع لاحتضان الخير وتلقينه إلى أفراده، وإن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قادر على التغيير في المجتمع ومنع ظهور الفساد إلى العلن، وإغلاق الطريق الذي يؤدي إلى الفساد الاجتماعي لأن السماح بانتشار الفجور في المجتمع والتجاهر بالفسق من شأنه أن يشكل ضعفًا أمام عامة الناس.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمثلان للمجتمع وجهَي التغذية والرعاية، فالأمر بأولهما يُغذي المجتمع بغذاء العدالة والمحبة والخير،

---

(١) صبحي الصالح، **نهج البلاغة**، رقم٤٧.

والنهي عن ثانيهما يؤمن حمايته من الظلم والعدوان والشر، ويدفع عنه الفساد فيضمن له بذلك حسن المسير والاستمرار. لذا فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعتبران الركيزتين الأساس اللتين يرتكز عليهما استمرار هذا المجتمع وبقاؤه، «وهما الدعامتان اللتان عليهما تقوم سعادة البشرية في مجتمع يمثل مدينة الخير والمحبة، المدينة الفاضلة، ولا أعني مدينة أفلاطون إنما مدينة الله كما شاءها وأرادها لعباده واختصّ بها خليفته على هذه الأرض بعد أن حدد له دوره وواجباته ورسم له طريق خيره وسعادته، فقوله سبحانه في كتابه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1] بيّن الله سبحانه أن الدعوة إلى الخير والتي هي أمر بالمعروف تتشكل مع النهي عن المنكر والذي هو ردع للشر أساس الفلاح فيهما يفلح العاملون ويكونون خير أمّة أخرجت للناس»[2]. ولذلك لا بدّ من تطبيق هذه الشعيرة القرآنية في المجتمع، ويكون هناك مجتمع صالح يؤمن بالقيم والثوابت الإلهية التي تجعله في خير وسعادة.

وتتفاوت مسؤولية الأفراد وأبناء الأمّة، فبعض الفئات فرض عليهم واجب الأمر والنهي أشدّ من غيرهم؛ كالفقهاء والعلماء والربانيين والمجاهدين والقوّامين لله، الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم، وبالذات الذين مكّنهم الله في الأرض. والأمر والنهي دليل ولاية الله سبحانه التي جعلها بين المؤمنين، ووسيلة رحمته، فمن حق المؤمن على أخيه أن يأمره بالمعروف وأن ينهاه عن المنكر، ومن واجب المؤمن أن يستجيب لأخيه إذا أمره ونهاه. والظاهر من الأمر والنهي التعبير عنهما

(١) سورة آل **عمران**، الأية: ١٠٤.

(٢) عبد الحسين دستغيب، **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، الصفحة ٩.

بالقول؛ لسانًا أو قلمًا، أو بتغيير الملامح، أو بفعل يظهر الأمر والنهي كالإشارة باليد، أو ترك مجالسة فاعل المنكر وما أشبه.

٢-٣-٢- حكمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأولى: إقامة حُجة الله على خلقه وحتى لا يكون هناك حُجة بعد الرسل، كما جاء في قوله تعالى:

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾(١).

الثانية: خروج الآمر من عهدة التكليف بالأمر بالمعروف، كما قال تعالى في صالحي القوم الذين اعتدى بعضهم في السبت، ﴿قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ﴾ (٣)، فدل على أنه لو لم يخرج من العهدة، لكان ملومًا، فعند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكون الإنسان ملومًا في حياته ويخرج من عهدة التكليف.

الثالثة: رجاء النفع المأمول، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون في غايته النفع العام للمؤمنين، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (٤).

---

(١) سورة النساء، **الآية**: ١٦٥.

(٢) سورة **الاعراف**، الآية: ١٦٤.

(٣) سورة **الذاريات**، الآية: ٥٤.

(٤) سورة **الذاريات**، الآية: ٥٥.

٢-٣-٣- آثار ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع

أ - الفساد الديني والعقائدي

إن غياب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى ظهور الخرافات والأوهام وتتزعزع عقائد الناس ويضعف إيمانهم بالله تعالى وباليوم الآخر، وتتضاءل صلتهم بالله تعالى ويقل الوازع الديني في قلوبهم ويكثر الجهل بالدين ويندرس العلم وتتزين المعصية في صدور الناس لعدم وجود من يقبّح الفعل وينكره أمام العصاة، بل قد يصبح الحق باطلًا والباطل حقًا والمعروف منكرًا والمنكر معروفًا، ويتخذ الناس رؤساء جهالًا يفتونهم بحسب هواهم وأمزجتهم فيعيش الناس في حالة من الضلال والعمى والحيرة وتظهر عليهم مظاهر الضياع والتخبط، ويقعون في شباك الشبهات التي يبثها أعداء الله ويغرقون أمام الشهوات التي يسعى لنشرها أهل الفجور ويطبع على القلوب التي تتقبل هذه الفتن والمحن.

فقد جاء عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «أول ما تُغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بألسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم، فإذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله»[١]، وهذه من أعظم العقوبات أن يُطبع على القلب فلا يُميّز بين المعروف والمنكر بل يصبح تبعًا لهواه، فكثرة الرؤية للمنكرات قد تقوم مقام ارتكابها في سلب القلب نور التمييز والإنكار؛ لأن المنكرات إذا كثر على القلب ورودها، وتكرر في العين شهودها، ذهبت عظمتها من القلوب شيئًا فشيئًا، إلى أن يراها الإنسان فلا تخطر بباله أنها منكرات، ولا يميز بفكره أنها معاصٍ؛ لِما أحدث تكرارها من تآلف القلب لها.

---

(١) محمد بن محمد الطوسي، **إحياء علوم الدين**، الجزء ٢، الصفحة ٣١١.

ب- الفساد الاجتماعي

نبّه القرآن الكريم من خطورة ظاهرة الفساد الاجتماعي والتَّمادي فيها على حساب الإنسان والحياة، وحثَّ على طلب الفضيلة والخير، بما يحقّق الإصلاح والتّوازن المطلوب لإعمار الأرض، وتحقيق وجود الكائن الإنساني المُستخلف والمسؤول عن أمانة استخلافه. والفساد هو الخروج بالشّيء عن حدِّ اعتداله، وهو ضدّ الصلاح، ويقال: أصلح الشيء بعد إفساده، والإفساد: أي جعل الأشياء فاسدةً، والفساد أصله تحوّل منفعة الشَّيء النَّافع إلى مضرّة به أو بغيره، ويطلق الفقهاء لفظ الفساد في المعاملات بمعنى البطلان، كما يُستعمل بمعنى الخروج عن الاستقامة.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾، «أن الإنسان الّذي يعيش الصِّراع بين العقل والغريزة في شخصيَّته، ويختزن عناصر النزاع والخلاف، والرّغبة في التّدمير، والأنانيّة في التملّك والتسلّط في ذاته، ما يؤدِّي إلى الإفساد المادّيّ والمعنويّ، وإلى سفك الدّماء، فتعيش الأرض من خلال هذه التَّعقيدات والاهتزازات في جوٍّ من الحروب المفسدة والمدمِّرة للمدر والبشر معًا، ما يبعدها عن السَّلام الموحي بالخير والمحبَّة والصّفاء، والمساعد على الحقّ في روحانيَّة الإيمان وحركيَّة التَّقوى والقرب منك، فيحلّ محلّ ذلك الحقد والعداوة والبغضاء والتّنازع والتّقاطع، وينفتح الواقع على الباطل في ضراوة الشّرّ وقسوة الجريمة وقذارة الشّعور وسقوط العقل «[1].

ولقد أراد الله تعالى للنَّاس أن يسيروا في خطّ الصّلاح والإصلاح، كتأكيد على انفتاحهم الحيّ والفاعل مع خطّ الفطرة والتّوحيد والإخلاص.

---

(١) محمد حسين فضل الله، **من وحي القرآن**، الجزء ١، الصفحة٢١٥.

فالإفساد هو عدوان صارخ على الحياة بكلّ ما تزخر به من تنوّع وطاقات ومجالات، يقول تعالى: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾[١]، وفي هذا: «بيان إفساد الفكر والعمل والعلاقات في المجالات الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والعسكريّة، فقد أعدّها الله إعدادًا صالحًا في ما يريد لها من حركة وحياة، وأراد للنّاس من خلال وحي رسله أن يتابعوا خطوات الصّلاح، ولا يستسلموا لكلّ عوامل الفساد والإفساد، لأنّ ذلك يمثّل عدوانًا على الحياة، وانحرافًا عن خطّ الله، وتلك هي مهمّة الإنسان في إدارة طاقاته الّتي وهبه الله إيّاها، أن تكون كلّ فعاليّاتها للصّلاح والإصلاح، وذلك هو معنى أن تكون أمانة لله عنده، فلا يحرّكها إلا بما يرضي الله في بناء الحياة لا في هدمها»[٢].

وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «يؤدي إلى انتشار الظلم واستفحاله بين أفراد المجتمع فتؤكل الأموال بالباطل ويُستهان بالحقوق وتضيع الأمانات وتكثر الخيانات وتنتهك الأعراض وتتدابر الوجوه وتتنافر القلوب وينتشر الحقد والحسد..»[٣]، فتضعف العلاقات الاجتماعية وتتفكك الروابط بينهم فيتطاول القوي على الضعيف ويظهر العدوان والاضطهاد والاستبداد والاستغلال لعدم وجود الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فتكثر المعاصي التي من عواقبها الخلاف والشقاق بين المسلمين والتنافر بين قلوبهم، وهذا ما نراه ونلمسه اليوم في كثير من المجتمعات التي انعدم فيها الإخاء والتعاون والتآزر والتكاتف والتناصر فهُدد الناس في أرواحهم وأعراضهم وأموالهم ونفوسهم حتى أصبحوا

---

(١) سورة **الاعراف**، الآية: ٥٦.

(٢) محمد حسين فضل الله، مصدر سابق، الجزء ١٠، الصفحة ١٤٦.

(٣) مازن الفريح، **الرائد دروس في التربية والدعوة**، الجزء ٣، الصفحة ١٣١.

يعيشون حياة الضنك والبؤس والشقاء بسبب بعدهم عن منهج الله تعالى القائل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[١].

ج- الفساد الأخلاقي

إن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى انتشار الرذائل وتقلّص الفضائل فتتسع جوانب الشر وتظهر الفواحش علنًا ويعم الانحلال الأخلاقي ويحقر أصحاب الفضل والصلاح وتضعف شوكتهم فيصعب عليهم عند ذلك مقاومة المنكرات لكثرتها ويتفكك كيان الأسرة التي هي نقطة البدء في إصلاح الجيل الناشئ وتنعدم المروءة بين أفراد المجتمع فلا ينظرون إلى المنكر أنه منكر ويغترّ الناس بالمعصية وتتزين في قلوبهم لعدم إنكار أهل الدين والعلم لها فيظن بعض الجاهلين أنها ليست بمعصية، كما جاء في تفسير السعدي: «السكوت على معصية العاصين، ربما تزينت المعصية في صدور الناس، واقتدى بعضهم ببعض، فالإنسان مولع بالاقتداء بأضرابه وبني جنسه»[٢].

فعند ذلك تُنبذ في المجتمع الأخلاق الحسنة، وتُفقد القيم والمبادئ ويعيش المجتمع بأخلاق غير أخلاق القرآن، ويتربى الناس على أخلاق مستوردة ممن لا أخلاق لهم ولا دين.

د- الفساد السياسي

من آثار ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجال السياسي وصول المنحرفين والمفسدين إلى المراكز الحسّاسة في السلطة السياسية

---

(١) سورة **طه**، الآية: ١٢٤.

(٢) عبد الرحمن السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، الجزء ١، الصفحة ٢٤٠.

فيسوس المسلمين أهلُ الشر والفساد في الأرض فيحكمون بغير شرع الله تعالى، وتُعطّل الحدود الشرعية، ويستبدّ الحاكم، ويوقع رعيته بالمشقة والعنت، وتسوء العلاقة بينه وبين رعيته، ويُوطد لمبدأ الاستسلام والانجرار وراء القوانين الوضعية التي تتصادم مع أحكام الشريعة الإسلامية.

يقول سيد قطب في تفسير ظلال القرآن: «والجماعة التي تسمح لفريق منها بالظلم في صورة من صوره - وأظلم الظلم نبذ شريعة الله ومنهجه للحياة - ولا تقف في وجه الظالمين، ولا تأخذ الطريق على المفسدين جماعة تستحق أن تؤخذ بجريرة الظالمين المفسدين، فالإسلام منهج تكافلي إيجابي لا يسمح أن يقعد القاعدون عن الظلم والفساد والمنكر يشيع - فضلًا على أن يروا دين الله لا يتبع؛ بل أن يروا ألوهية الله تنكر وتقوم ألوهية العبيد مقامها! - وهم ساكتون ثم هم بعد ذلك يرجون أن يخرجهم الله من الفتنة لأنهم هم في ذاتهم صالحون طيبون»[١].

وفي الحديث فإن التخلّي عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى ظهور أنواع كثيرة من المنكرات منها الغشّ في البيع والشراء، ونقص المكيال والميزان الذي يكون عقوبته جور السلطان، كما جاء في قول الرسول الأكرم ﷺ: «يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهنّ، وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين، وشدة المؤونة

(١) السيد قطب، **في ظلال القرآن**، الجزء ٣، الصفحة ٣٨٦.

وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلّط الله عليهم عدوًّا من غيرهم فأخذوا بعض ما في بأيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيّروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»[١].

هـ- الفساد الاقتصادي والمعيشي

ومن آثار ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تسلط الأشرار على زمام الأمور في هذا الجانب فتنشأ عن ذلك السياسات الاقتصادية الخاطئة التي تقوم على الإفقار والتجويع بأخذ القروض الكبيرة التي تنهك كاهل البلد ولتسديدها يتم فرض الضرائب الباهظة على السلع الأساسية التي لا يستغني عنها أي فرد في المجتمع، فتوقع العباد بالمشقة، واللهث ليل نهار وراء لقمة العيش التي لا تكاد تسدّ الرمق في بعض الأسر التي وقعت ضحية لهذا النوع من الفساد، وعند ذلك يفقد التوازن في اقتصاد الأمة بسبب عبث السفهاء بالأموال العامة، وصرفها في غير مصارفها بل واحتكار الاستثمار في فئة قليلة من الناس. ويؤدي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كذلك إلى محاربة الشركات والجهات التي تريد النهوض باقتصاد الأمة ويُضَيّق على المحتسبين من أهل الاختصاص في هذا الجانب، وتنعدم الرقابة الشرعية على البنوك التي تريد أن تتعامل بالربا وهي لا تعلم أنها تفتح على نفسها حربًا مع الله القائل في كتابه الكريم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم

(١) أخرجه ابن ماجه في **سننه**، الجزء ٢، الصفحة ١٣٣٢، الرقم ٤٠١٩؛ انظر، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، الجزء ١، الحديث رقم ١٠٦.

مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾[1].

و- الفساد الصحي والنفسي

من آثار ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الفساد الصحي والنفسي في حياة المجتمع الإسلامي؛ فعلى سبيل المثال لا تقوم المستشفيات والمراكز الصحية بأداء واجبها بالشكل المطلوب، ويصبح هدفها الأول هو جمع الأمـوال من المرضى، ويفرط أهل الاختصاص في هذا الشأن بواجبهم أمام خالقهم، ويروج المفسدون للأدوية الفاسدة، وتحتكر بعض العقارات الطبية لغرض بيعها بمبالغ باهظة ويتطبّب من ليس بطبيب، وينتحل هذه المهنة من ليس أهلًا لها، وتفتح المراكز العلاجية دون رقابة من أهل الاختصاص، ويسمح للجهات الأجنبية بفتح مراكز مشبوهة تحت مسمى (العلاج بالمساج) الـذي هو في الحقيقة دعـوة إلى الرذيلة والفاحشة، كما هو حاصل في بعض الدول الإسلامية. ومن جانب آخر فإنه بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستفحل الشر والرذيلة وتظهر الفاحشة ويجاهر أهل المعاصي بمعاصيهم وفجورهم وعند ذلك تظهر الأمراض والأوبئة عقوبة من الله عزّ وجل.

وكم هي الأمراض والأوباء والأوجاع التي ظهرت في عصرنا مما لم يعرفه أسلافنا الذين مضوا هذه الأمـراض الخطيرة كالزهري والسيلان والهيربس والإيدز وغير ذلك كثير بسب انتشار الفواحش وظهور الانحلال

(١) سورة البقرة، **الآيتان**: ٢٧٨ - ٢٧٩.

الأخلاقي في المجتمعات ويرجع السبب الأصلي في ذلك إلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ز- الفساد الإعلامي

كما أن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دورًا كبيرًا في إيجاد الإعلام الهادف، فعلى العكس من ذلك يكون من عواقب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ظهور الإعلام الفاسد الذي يدمّر ولا يعمّر، ويهدم ولا يبني، ويفسد ولا يصلح، ويفرّق ولا يوفّق، هذا الإعـلام الذي يزيف الحقائق، ويقلب الوقائع بحسب أهواء وأمزجة أهل الفجور والشر ليكون معول هدم في الأفراد والمجتمعات، ويسعى لتحقيق الأهداف الخبيثة التي رسمها أعداء الأمة، ويأتي بالكذبة التي تبلغ الآفاق في لحظات. وهذا النوع من الإعلام هو ما نراه ونلمسه اليوم من وسائل إعلامية متعددة صوبَت سهامها الخبيثة لهجمة شرسة على هذه الأمة من أجل هدم أخلاقها وسلخها من عقيدتها وتغيير ثوابتها، هذا الإعلام الفاسد الذي يبث الشبهات حول الإسلام وينال من علماء الأمة ويحقر من شأنهم ويزعزع العلاقة بين أفراد المجتمع، ويفكك كيان الأسر ويجمع أنواع الشر من جميع أقطار الأرض ليمطرهم بتلك المناظر المخزية والصور العارية والمسلسلات الفاضحة بل ويعترض على أوامر الله وأوامر رسوله ﷺ. فالسكوت عن قول كلمة الحق والتخلي عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا المجال هو الذي جَرَّأ أهل الفجور على التطاول على كتاب الله تعالى والتطاول على رسوله ﷺ وتصدّر أهل الأهواء للإفتاء في مسائل الدين، والتقوُّل على الله بغير علم. فكيف يمكن لجيل أن ينهض أو يرتقي وقد أصبح أسيرًا لهذا النوع من الإعلام الفاسد الذي أفسد جميع مجالات الحياة؟

وبعد أن عرفنا أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حياة الأمّة وفضيلته في شريعتنا والآثار المترتبة على القيام به والعواقب التي تجنيها الأمّة من تخليها عن ذلك علنًا نكون قد عرفنا شيئًا من حكمة الشارع من هذه الفريضة العظيمة؛ فالدين هو إما أمر وإما نهي، فالأمر الذي بعث الله به رسوله ﷺ هو الأمر بالمعروف، والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر، وهي المهمة التي ابتعث الله لها جميع الأنبياء للقيام بها على أكمل وجه، فكان لا بدّ لأَتْباع الأنبياء أن يسيروا على هذا الطريق ليبرهنوا على صدق إيمانهم واستجابتهم لخالقهم حتى ينالوا الخيرية التي وُصفت بها هذه الأمة.

وهنا نلاحظ أن نتائج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تؤدي إلى التغيير الاجتماعي في الأمة، وتصل إلى الغاية التي يسعى إليها المجتمع من نشر الخير والإحسان، وأن نرتقى إلى المجتمع الأكمل. فمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو مبدأ قرآني، وهو يعطي القيمة الإيجابية للمجتمع، ويقدّم التصوّر الواضح للنموذج القرآني الأمثل. ولا بدّ من التأكيد أن من أهم وأبرز آثار ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر زوال وصف الخيرية عن الأمة لأنهم لم يستحقوا الثناء والمدح إلا لتحققهم بهذا الفعل، فإذا انتفى عنهم القيام بهذه الفريضة ينتفي عنهم الوصف بالخيرية، لأن انتفاء اللازم مستلزم لانتفاء الملزوم. يقول القرطبي في تفسيره في قول الله عزّ وجل: ﴿تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾: «مدحٌ لهذه الأمة ما أقاموا ذلك، واتصفوا به فإذا تركوا التغيير وتواطأوا على المنكر، زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم، وكان ذلك سببًا لهلاكهم»[1].

(١) أبوعبد الله القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، الجزء ٤، الصفحة ١٧٣.

٢-٤- المبحث الرابع:
التغيير الاجتماعي في القصص القرآنية

بعد دراسة المُفردات الأساسية والاصطلاحات الكلية لنظرية التغيير الاجتماعي في القرآن الكريم في ما يتعلّق بالتغيير والإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعد اكتمال الإطار النظري تقريبًا لهذه النظرية القرآنية نسعى في هذا المبحث والذي يليه لرصد السياقات التطبيقية لهذه النظرية في مستويين اثنين:

الأول: القصص القرآني.

الثاني: السُّنن التاريخية والحضارية في القرآن.

وفي هذا المبحث سنتناول المستوى الأول، وفي المبحث اللاحق نعالج الموضوع على مستوى السُّنن التاريخية والاجتماعية في القرآن الكريم.

القصة لغةً: «مأخوذة من الجذر الثلاثي (ق صَ صَ) الذي انتظمت اشتقاقاته في عدة معان. وأصل القصّ عند العرب تتبّع الأثر، قال ابن سيده: قصَّ آثارهم يقصُّها وتقصّصها تتبّعها بالليل، وقيل: هو تتبع الأثر

أي وقت كان»[١]، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾[٣]. ويراد بالقصّة الخبر، ورواية الأمر والحديث، قال ابن منظور: «والقصّة الخبر، وقصَّ عليَّ خبره يقُصُّهُ أورده، والقَصَص - بفتح القاف - الخبر المقصوص، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقِصص – بكسر القاف- جمع القصّة التي تكتب، وتقصَّصَ الخبر، تتبَّعه، والقصّة الأمر والحديث، واقتصصتُ الحديث رَوَيتُه على وجهه، وقصَّ عليه الخبر قصصًا، والقاصّ هو الذي يأتي بالقصة على وجهها[٤]، كأنه يتتبع معانيها وألفاظها».

وقيل: القصّة لغة من كلمة «قَصَّ - يقُصُّ - قصّة، وجمعها قصَصٌ ومعناها الحديث»[٥].

القصّة اصطلاحًا: ذكر الـرازي في تفسيره القصّة أنها: «مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة»[٦]. لكن ليس كل ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الحق فهو قصّة، فهناك الخطب الدينية، والمواعظ، والأحاديث والروايات، وكل كلام آخر يهدف للهدى والرشاد.

---

(١) **المحكم والمحيط الأعظم**: الجزء ٦، الصفحة ١٠١.

(٢) سورة **القصص**، الآية: ١١.

(٣) سورة **الكهف**، الآية: ٦٤.

(٤) ابن منظور، **لسان العرب**، الصفحة ٧٣.

(٥) لو**يس** معلوف، **المنجد في اللغة والأعلام**، الصفحة ٦٠١.

(٦) الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، الجزء ٨، الصفحة ٧٤...

والقصّة في القرآن الكريم جـاءت لتساهم في عملية التغيير الاجتماعي بجوانبه وحيثياته كافة، وبهذا الصدد نجدها تكاد تستوعب في مضمونها وهدفها جميع الأغراض الرئيسة التي جاء من أجلها القرآن الكريم الذي دعا إلى الهداية والرشاد بأساليبَ شتّى، فتارةً بالوعد والوعيد، وتارة أخرى بالإقناع العقلي وثالثة بوخز الضمير والوجدان، ورابعةً بتوجيه الفطرة إلى حقيقتها، وخامسة بالإعجاز بشتى ألوانه، وأحيانًا كثيرة بأسلوب القصص الذي هو أقرب الوسائل التربوية إلى فطرة الإنسان، وأكثر العوامل النفسية تأثيرًا فيه، وذلك لما في هذا الأسلوب من المحاكاة لحالة الإنسان نفسه فتراه يعيش بكل كيانه في أحداث القصة وكأنه أحد أفرادها فيَرَى من خلالها ما في نفسه من أحاسيس وما في خَلَده من أحاديث، وما يجري حوله من أحداث وحوار، كل ذلك من خلال تجاوبه مع القصّة، فالقصّة، لا سيّما إن كانت بأسلوب شيِّق وبيان رائق، لها من التأثير والجاذبية ما لا تبلغه أيّة وسيلة أخرى من الوسائل الدعوية أو التعليمية أو التربوية، فكيف إذا كانت بأسلوب ربانيٍّ معجز، وخطاب قرآني له من الواقعية والصدق ودقة التصوير ومِن السِمَاتِ ما ليس لغيره؟

والأمثال القرآنية تشكّل إرشـادات مُهمة في عملية التغيير، وهي صورة نموذجية قدّمها القرآن الكريم من أجل الاستفادة منها في الإصلاح على المستويين الفردي والاجتماعي؛ فهذه الأمثال تصبح سارية للفرد والمجتمع، ويستفاد منها في منظومة التغيير التي هي ركيزة أساسية للإنسان من أجل الوصول إلى الغاية المنشودة في حياته. وقد لخص الإمام «الزركشي» الغرضَ من ضربِ الأمثال في القرآن الكريم فقال: «ضَرْبُ اللهِ الأمثالَ في القرآنِ يُستفاد منه أمور كثيرة: التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وترتيب المراد للعقل، وتصويره

في صورةِ المحسوس؛ بحيث يكون نسبتُه للفعل كنسبةِ المحسوس إلى الحس، وتأتي أمثالُ القرآنِ مشتملة على بيانِ تفاوتِ الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثوابِ والعقاب، وعلى تفخيمِ الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر أو إبطال أمر»[١].

«فالأمثالُ مرآة النفسِ، والأنوار أنوار الصِّفَات مرْآة الْقلب، وإنَّ الله - تعالى- جعل على الأفئدةِ أسماعًا وأبصارًا، فما أدركت أسماعُ الرؤوس وأبصارها أيقن به القلب واستقرت النفس، واتسعت في علم ذلك»[٢]. وإذا استقرأنا الأمثالَ القرآنية وجدنا أنها قد صيغت من طبائعِ النفوس البشرية الراسخة، ومن النواميسِ الكونية التي لا تتغيّر، والمظاهر الطبيعية الثابتة التي تحيطُ بالنَّاسِ في مختلف العصور والبيئات؛ ذلك أنَّ القرآن باقٍ إلى ما شاء الله، وكتابٌ هذا شأنه حريٌّ أن تكون أمثاله محكمة كسائرِه، وأن تقومَ على الحقائق الثابتة وحدها.

وللأمثالِ أهميتُها اللغوية والبلاغية والأدبية؛ ولهذا أدت دورًا بارزًا في تعميقِ اللغة العربية، وحفظها، ونموها، واتساعها، وشمولها، وتبلورها. وقد فطن النحاةُ إلى ذلك فجاءت مؤلفاتُهم زاخرة بالأمثالِ لما لها من قوةٍ وتأكيد. وبما أنَّ الأمثال اشتملت على الكنايات، والمجازاتِ والاستعارات، والتشبيهاتِ والطِّباق، والجناس والتَّوْرية، وغيرِ ذلك من النِّكاتِ البلاغية - فقد استفادت منها البلاغةُ، واستمدت منها النضوجَ والعطاء، ولا شكَّ أنَّ الأدبَ العربي قد استفاد من الأمثالِ القرآنية؛ فقد أمدته بتراكيبَ لفظيةٍ بديعة.

---

(١) بدر الدين بن محمد الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، الجزء١، الصفحة٤٨٦.

(٢) محمد بن علي الملقب بالحكيم الترمذي، **الأمثال من الكتابِ والسنة**، الصفحة ٣.

٢-٤-١- أهمية القصص القرآنيّة

والمطّلع في صفحات القرآن الكريم وبيّناته يرى أنه قد اهتم بالناحية القصصية اهتمامًا بالغًا. ولو أحصينا عدد الآيات التي تضمنت مواقف من قصص المؤمنين وقصص الكافرين، أو إشارات إلى تلك القصص، لوجدناها تستغرق مساحة كبيرة وجانبًا عظيمًا من القرآن الكريم، وليس ذلك بغريب؛ لأن القصّة، منذ القدم، مهوى القلوب وبغية الأسماع، إنها تستولي على مشاعر الإنسان وإحساسه وخياله، وتسبح به في عوالم شتى من التصورات والأفكار، ويتخذ له منها عظة وعبرة وحكمة، فإن كانت عن قوم صدقوا فنجحوا، تشبّه بهم ونهج نهجهم، وإن كانت عن قوم طغوا فلقوا جزاءهم الوفاق، خاف وحذر، وخشي أن يصيبه ما أصابهم، ومن وراء ذلك التأثر تقف نفوس كثيرة عن الحرام، وتتباعد عن الفساد، وتتمسك بالفضائل ومكارم الأخلاق التي ينبغي للمجتمع أن يتحلى بها وأن تكون الصفات القرآنية هي الجوهرية في التعامل الإنساني حتى يحظى باللطف الإلهي في جميع جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية وغيرها.

٢-٤-٢- مميزات القصص القرآني

أ- ومن جهة أخرى تتماهى طبيعة القصّة وخاصّة قصص التاريخ والنبوات والمجتمعات السابقة مع الغاية المركزية للقرآن الكريم ككتاب هداية:

فالله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[1]؛ فهو بحديثه عن الأقوام السابقة والحضارات البائدة يرشدنا إلى الطريق الصحيح، ويهدينا لمعرفة مخاطر الانحراف عن درب الهدى، ومسالك

(١) سورة **الاسراء**، الآية: ٩.

النجاة في الدنيا والآخرة، ومن جهة ثالثة فإن قصص الأنبياء التي خصص لها حيزٌ من القصص القرآني يمثل الرصيد النبوي في التاريخ، والذي يجب على المصلحين والعاملين في سبيل التغيير والنهوض بالأمة أن يستوعبوا حركته في الزمن، وتجلياته في التاريخ، فكل الأنبياء جاؤوا لمجتمعات تعاني من خلل ما على المستوى الأخلاقي أو الاقتصادي أو السياسي أو الفكري العقائدي وسعوا في تغيير المجتمع، فالله سبحانه يقول: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[1].

ومن مميزات القصّة في القرآن الكريم أنها تجمع في آنٍ واحد بين قصص الصالحين وقصص الطالحين، وتبين نتيجة الأولين وعاقبة الآخرين حتى نستلهم العبر والحكمة من ذلك ونكون على بينة من أمرنا، فهي حينما تقصّ علينا مثلًا قصة رسول من الرسل أو نبي من الأنبياء، أو داعٍ من الدعاة، وكيف لاقى العنت والإرهاق والمشقة في بادئ الأمر، ثم جاء أخيرًا نصر الله فأيده ورعاه، وأعزه وهداه، تسرع فتقابل هذه الصورة بصورة الذين شقوا، والذين غرتهم الحياة الدنيا وغرهم بالله الغرور، فطغوا وبغوا، وأخذتهم العزة بالإثم، ثم لم يكن إلا زمن قليل، وجاءهم بعده عقاب الله الذي لا يرد، فكان عاقبة أمرهم خسارا وبوارًا. وهنا علينا أن نستفيد من هذه القصص القرآنية في أسلوب التغيير الاجتماعي لأن الأسلوب والخطاب القصصي يلعب دورًا كبيرًا في التأثير والإقناع وتقديم النموذج الأمثل للحياة الاجتماعية المثالية.

والقصّة القرآنية اعتادت على هذه المقابلة وتلك المقارنة، لتجعل القارئ والباحث دائمًا بين عاملي التحذير والتبشير، والوعد والوعيد،

---

(١) سورة **فاطر**، الآية: ٢٤.

والخوف والرجاء، وبذلك تعتدل حاله وتتوسط أموره، فلا يكون منه إفراط أو تفريط، هنا أو هناك، وهذه من الحكمة الإلهية في أسلوب القصص حتى تكون مؤثرة بشكل دقيق للإنسان حين يقرأ القرآن ويتدبّر آياته وبيناته.

ب- يقوم القصص القرآني على عرض الأحداث والوقائع في تسلسلها المنطقي معبرًا عن مسؤولية الأفراد والمجتمعات في المصير الذي انتهوا إليه مُعقبًا في الغالب بقوانين وسُنن عامة تحكم مسيرة المجتمعات، وحركة الشعوب، وهذا ما سنفصله في المبحث اللاحق.

ج- إن القصص القرآنيّة تختلف عن غيرها من القصص في ناحية أساسية هي ناحية الهدف والغرض الذي جاء من أجله، ذلك أن القرآن الكريم لم يتناول القصّة لأنها عمل (فني) مستقل في موضوعه وطريقة التعبير فيه، كما أنه لم يأت بالقصّة من أجل التحدث عن أخبار الماضين وتسجيل حياتهم وشؤونها كما يفعل المؤرخون، وإنما كان غرض القصّة في القرآن الكريم مساهمة في الأساليب العديدة التي سلكها لتحقيق أهدافه وأغراضه الدينية التي جاء الكتاب الكريم من أجلها، بل يمكن أن نقول: إن القصّة هي من أهم هذه الأساليب، فالقرآن الكريم رسالة دينية قبل كل شيء تهدف بصورة أساسية إلى عملية التغيير الاجتماعي بجوانبها المختلفة، هذه العملية التي وجدنا بعض مظاهرها وآثارها في طريقة نزول القرآن التدريجي، وفي طريقة عرض المفاهيم المختلفة، وفي ربط نزول القرآن بالأحداث والوقائع والأسئلة، «وفي أسلوب القرآن في القصر والإيجاز، أو المزج بين الصور والمشاهد المتعددة، الأمر الذي أدّى إلى نشوء كثير من الدراسات القرآنية، عرفنا منها الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والمكي والمدني وغيرها. لذا فلا بدّ لنا - حين نريد

أن ندرس القصة القرآنية - أن نضع أمامنا هذا الهدف القرآني العام لنتعرف من خلاله على الأسلوب الذي اتبعه القرآن الكريم في عرضه القصة القرآنية مساهمة منه في تحقيق هذا الهدف»[١].

د- القصّة القرآنية تحيي القلوب وتهذب النفوس وفيها إحياء ذكر الأنبياء والمرسلين والصالحين وآثارهم وبيان تخفيف الله تعالى لهذه الشريعة الإسلامية الأصيلة مقارنة بالأديان والأمم السابقة، فقد رفع الله تعالى عن هذه الأمة الأثقال والأغلال التي كانت على الأمم الماضية وللوقوف على حقيقة القصص القرآني والاستفادة منها وتوظيفها في مجال التغيير الاجتماعي، والمعرفة الصحيحة لطرق التعامل مع القصص القرآني في مجال الدعوة والإرشاد.

هـ- القصص القرآني: «لا يتجمّد في حدود الأشخاص والأحداث والوقائع الاجتماعية في زمان ما، ولذا ترى تدبيرًا عجيبًا معجزًا في توزيع المشاهد القصصية توزيعًا محكمًا بين الحدث والشخصية. فالأشخاص في القرآن أيًّا كانوا ليسوا مقصودين لذاتهم من حيث هم أشخاص تاريخيون يراد إبراز معالمهم وكشف أحوالهم، وإنما يكونون نماذج بشرية في مجال الحياة الخيّرة والشريرة في صراعها مع الخير والشر. وينظر إليهما باعتبار الدور الذي تؤديه كشاهد من شواهد الإنسانية في قوتها أو ضعفها وفي استقامتها أو أغراضها في أهدافها أو ضلالها»[٢].

---

(١) محمد باقر الحكيم، **علوم القرآن**، الصفحة ٣٥٤.

(٢) فضل حسن عباس، **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**، الصفحة ٤٠.

٢-٤-٣- نماذج من القصص القرآنيّة حول التغيير الاجتماعي

أولًا: العبد الصالح والنبي موسى عليه السلام سُخّرا لحفظ المجتمع الإنساني:

وفي هذه القراءة للأبعاد التغييرية في قصة موسى والخضر عليهما السلام نريد أن نؤكد أن هذه القصص القرآنية تزخر بهذه الدلالات العميقة والتنبيهات الدقيقة في التغيير والإصلاح، والتي قد نغفل عنها إذا قرأنا هذه القصص قراءة عابرة أو وفق المنظور السائد.

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[١]. وفي سياق هذه الآية: «لا شأن لنا في عدد المساكين ولا في خصوصية الزمان والمكان، فما نريده من هذه القصّة القرآنية هو أخذ العبرة والحكمة بعيدًا عن الخوض في التفصيلات والحيثيات التي قد يؤدي الانشغال بها إلى الإضرار بالمراد الأصلي من قصص القرآن، ويبعدنا عن روح البينات؛ فالتفكر والتعمق في المعاني هو المطلوب والمراد لما للقرآن الكريم من بطون مهمة تبعدنا عن سفاسف الأمور»[٢].

فالله سبحانه حفظ سفينة المساكين من ذلك الملك الظالم والمفسد الـذي كان يأخذ السفن غصبًا مستغلًا نفوذه وإمكانياته للانقضاض على أملاك المحرومين والمساكين فاغتصب السُفن العابرة في المياة الإقليمية الخاضعة لسلطانه، وهذا هو ديدن الملوك والجبابرة في كل زمان ومكان ظلم وطغيان وجور وكفر، ولا يرون إلا مصالحهم النفسية الضيّقة، وكلما دخلوا قرية أفسدوها وظلموها وجعلوا أعزة أهلها أذلة

---

(١) سورة **الكهف**، الآية: ٧٩.

(٢) جوادي الآملي، **أسرار الصلاة**، الصفحة ٧٢.

إلا من رحم الله وقليل ما هم في هذه الدنيا، لأن الظلم أصبح متفشّيًا بصورة كبيرة عند الملوك والرؤساء وطغيانهم في كل مكان.

ومن أجل الحفاظ على سفينة المساكين من السلطان الظالم ذكر السياق القرآني أمرين رئيسيين هما:

أولًا: حالة المظلومية والمغلوبية على أمرهم، ولذلك عُرفوا بها دون سواها، بما في ذلك أن حالة الاستضعاف كانت تشملهم جميعًا، ولم يستطيعوا أن يتغلّبوا على الملك الجائر وإنقاذهم منه.

ثانيًا: الوضع الإيماني والذي هو أثر معنوي في حياتهم الاجتماعية، ولذلك كانت العناية الإلهية تشمل هـؤلاء الناس بسبب توحيدهم وإيمانهم القوي بالله عز وجل وأن الله عدل في حكمه.

ولذلك وجبت الإشارة هنا للتفريق بين العمل الصالح النافع وبين العمل الفاسد الضار، فإن رحمة الله جعلت إمكانية بلوغ أثر العمل الصالح الصادر عن الآباء لعموم الأبناء البالغ منهم دون الأثر الفاسد الذي يدخل تحت قاعدة قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1]، وذلك رحمةٌ منه تعالى. وهنا نلاحظ الرحمة الإلهية للأمّة كيف أن الله سبحانه جعل رحمته للعالمين وبابه مفتوحًا للسائلين.

وهنا أيضًا في السياق نلاحظ أن القدر المتيقن من هؤلاء المساكين لم يكونوا من العُصاة والظالمين وإلا فما الفرق بينهم وبين الملك الطاغية المتجبر الذي كان يأخذ كل سفينة غصبًا؟ وهل يمكن أن يرعى الله مال ظالم من ظالم دون ميزة أو خصوصية؟ بل الظاهر من سياق

---

(١) سورة **فاطر**، الآية: ١٨.

الآيات اللاحقة أن الحفظ قد نالهم بسبب الاستضعاف والإيمان معًا، وعدم التلبس بالمعاصي التي تسلب التوفيق لمثل هذه الرحمة الإلهية، فإن لم يكن كل هؤلاء المساكين أو آباؤهم مؤمنين فبلا شك كان أغلبهم مؤمنين، ولسبب هذا الإيمان من جهة والاستضعاف وعدم القدرة على الدفاع عن النفس من جهة أخرى حفظ الله سفينتهم من بين كافّة السفن من غصب الملك وذلك لصلاح أعمالهم أو أعمال آبائهم، وهذه من حكمة الله للبشرية أن الله سبحانه يحفظ المجتمع حين يكمن فيه الإيمان والصلاح ولا يفرّط فيه مهما كانت الظروف، وهذا نموذج قرآني صالح لكل زمان ومكان للمجتمع الذي يتحصّن بالإيمان والصلاح إنّ الله يكون معه في السّراء والضرّاء.

ثانيًا: العبد الصالح والنبي موسى عليه السلام ورعاية الأيتام:

هـذه القصّة القرآنية ستوضح لنا كيف حفظ الله سبحانه المال للمستضعفين والمساكين. وأحداث هذه القصّة ستدور حول حفظ كنز خاص من أن تناله أيدي الظالمين بسوء؛ فلقد كان هذا الكنز لغلامين يتيمين في المدينة، وقد امتدح الله أباهما في القرآن الكريم بصفة كريمة وهي الصلاح في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾[1]، ولم يتعرض القرآن الكريم لحال الأم ونسبتها إلى الإيمان من عدمه بل اكتفى بذكر إيمان الأب وغضّ الطرف عن حال الأم..

وهنا نلاحظ أنه قد يستظهر من ذلك أنها لم تكن على مستوى صلاح الأب وإلا لذكر القرآن الكريم صلاحها ولم يبخسها حقها ولأنصفها كما فعل مع الأب حين ذكر صلاحه أو كما فعل مع أبوَي الغلام في القصّة

(١) سورة **الكهف**، الآية: ٨٢.

السابقة، وخصوصًا أن ذكر الصلاح هنا أمرٌ جوهري لأنه علّة لمعلول وليس ضربًا من ضروب نافلة القول أو جزءًا تكميليًا وترفًا قصصيًا، ولا سيما إذا تيقّنا وعلمنا أن هذا الإيمان والصلاح هو سبب حفظ مال الغلام، وعلّة لحفظ الإرث من التلف والعبث.

وهذه القصّة نستفيد منها أن الله سبحانه وتعالى أراد للناس أن لا يستوحشوا من طريق الحق لقلّة سالكيه، ويستمروا في إيمانهم وعملهم الصالح المؤثر في التغيير الاجتماعي، ولا يكون عدم صلاح أحد الزوجين سببًا وداعيًا لتقاعس الآخر أو عذرًا لتخليه عن العمل الصالح، والتمسك بالحق الذي يمكن أن ينعكس بآثاره عليه وعلى ذريته ومجتمعه؛ فحتى لو كان الشريك في إنجاب هذه الذرية غير صالح أو مُفسدًا فإن حتمية انتقال الأثر الإيجابي والنافع إلى الأبناء أمرٌ قائم من طرف واحد؛ فزوجة غير صالحة كزوجة نوح أو لوط أو زوج مفسد كفرعون لا يمكنهم حجب الأثر الطيب الذي يمكن أن ينتقل للأبناء بسبب إيمان الطرف الآخر للعلاقة الزوجية، فلا خصوصية لجنس الذكورة أو الأنوثة في انتقال أثر إيمان الآباء بل الثابت أن الأثر ينتقل من المؤمن فيهما، وهذا وغيره يُفهم من القرآن الكريم ومن الـدلالات الواضحة التي تأتي في سياق الآيات القرآنية.

وحين قراءة القرآن الكريم: «علينا أن نلتفت إلى جهة الاهتداء إلى عالم الغيب وطريق الطمأنينة في الدنيا والآخرة وبناء المجتمع الصالح»[1]. نعم، لقد ذُكر الرجل في المقام كأحد المصاديق وليس على سبيل الحصر أو التعيين، وأوضحت الآيات أمرين أساسيين:

---

(١) روح الله الموسوي الخميني، **الآداب المعنوية للصلاة**، الصفحة ٣٣٣.

الأول: أصل إمكانية انتقال الآثار.

الثاني: إنها إذا انتقلت الآثار الإيمانية فإنها تعمّ بخيرها الذرية بأجمعها دون تعيين أو اختيار بغض النظر عن عددهم أو جنسهم الذكوري أو الأنثوي، وبالتالي يسري الأثر إلى المجتمع الإنساني فتكون هناك نتائج إيجابية وثمار نافعة تعمّ الأمة بالخير والصلاح والهداية.

٢-٥- المبحث الخامس:
السُّنن الإلهية للتغيير الاجتماعي

بيّنّا أن النظرية القرآنية في التغيير الاجتماعي تكون في مستويين: الأول: البناء المفهومي في أركانه الثلاثة، والسياقات التطبيقية للتغيير والإصلاح في الواقع والتاريخ، وفي المستوى الثاني اكشتفنا بالمعالجة في بُعدين هما: القصص القرآنية من جهة، والسُّنن من جهة أخرى، وفي هذا المبحث الأخير سنُعالج موضوع السُّنن القرآنية، وخاصّة سُنّة التغيير.

٢-٥-١- المعنى اللغوي للسنُّة

وهي الطبيعة والمنهج والطريقة حسنةً كانت أو قبيحةً، فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «أيّما عبدٍ من عباد الله سنّ سُنّة هدى كان له أجر مثل أجر من عمل بذلك من غير أن ينقص من أجورهم شيء، وأيما عبدٍ من عباد الله سنّ سُنّة ضلالة كان عليه مثل وزر من فعل ذلك من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[١]. وسُنّة النبي: «تعني طريقته التي كان يتحرّاها. وسُنة الله تعالى قد تُقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته»[٢].

---

(١) محمد باقر المجلسي، **بحار الأنوار**، الجزء ٧١، الصفحة ٢٥٨.

(٢) الراغب الاصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، الصفحة ٤٢٩.

والسُنّة هي «كل قول أو فعل أو تقرير صدر من المعصوم. والسُّنة عند الفقهاء هي ما دون الواجب وفوق المندوب، وهي عكس البدعة»[١]. وسُنة الله تعني طريقته وحكمته، فقد قال عزّ من قائل: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾[٢]. وهكذا «فإن سُنن الله في القرآن الكريم لا تتغيّر ولا تتحوّل فحقائقها ثابتة بشكل أبدي حتى لو تبدّلت صُورها»[٣] . ولذا فإن السُنة معناها الأصلي هو الطريقة والمنهج، وهذا ما مال إليه كثير من العلماء والفقهاء.

٢-٥-٢- المعنى الاصطلاحي للسُّنن

هي القانون الإلهي المُطرد، وأحكام الله الثابتة وغير القابلة للتبدّل ونواميسه التي لا تختلف ولا تتخلّف، ويتمكن المُسلمون بها من استشراف خط سير الحياة وقراءة المستقبل فيعملون وفق مقتضياتها لتغيير الواقع الاجتماعي، وذلك لأن جميع الظواهر على الساحة التاريخية والقرآنية لها ضوابط وقوانين تحكمها وفقًا لنظامها

٢-٥-٣- خصائص السُّنن الإلهية

أ – الثبات :أي لا تتبدّل ولا تتغيّر، فالله سبحانه يقول: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا﴾[٤].

---

(١) محمد صنقور، **المعجم الأصولي**، الجزء ٢، الصفحة ١٧٩.

(٢) سورة **الفتح**، الآية: ٢٣.

(٣) الراغب الاصفهاني، المصدر نفسه، الصفحة ٢٤٥.

(٤) سورة **فاطر**، الآية: ٤٣.

فهي عبارة عن قوانين وقواعد أشبه ما تكون بالمعادلات الرياضية، قد خلقها الحق سبحانه لتنظّم وتحكم حركة الكون والحياة والأحياء، وتحكم حركة التاريخ، وتنظم ناموسية التغيير، وتتحكم بالدورات الحضارية، موضحة عوامل السقوط وعوامل النهوض الحضاري. ومبدأ الثبات يعطي رؤية دقيقة في المعادلات الإلهية للسُنن ويرشد الشعوب إلى طريقة سير الأمم السابقة في نظامها وحركتها.

«والأمـور لا تمضي في الناس جُزافًا، والحياة لا تجري في الأرض عبثًا، فهناك نواميس ثابتة تتحقق لا تتبدل ولا تتحول، والقرآن يقرر هذه الحقيقة، ويعلمها للناس، كي لا ينظروا للأحداث فرادى، ولا يعيشوا الحياة غافلين عن سننها الأصلية، محصورين في فترة قصيرة من الزمان، وحيز محدود من المكان، ويرفع تصورهم لارتباطات الحياة، وسُنن الوجود، فيوجههم دائمًا إلى ثبات السُّنن واطراد النواميس»[١].

ب – العموم: أي أنها تشمل كل البشر والخلائق دون استثناء وبلا مُحاباة. قال عزّ من قائل: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[٢]. فهي حاكمة على جميع الأفراد، والأمم والمجتمعات، فإذا وقفنا عند قانون من قوانين الله تعالى كقانون النصر نعلم أن له ضوابط ومعالم تنسحب على الجميع دون مجاملة ولا محاباة.

والباحث في حياة الرسول الأكرم ﷺ وسيرته يجد هذا المعنى واضحًا، فعندما أخذ المؤمنون سُنة الله في النصر مثلًا آتاهم النصرُ أُكُله

(١) السيد قطب، **في ظلال القرآن** ، الجزء ٥، الصفحة ٢٩٤٩.

(٢) سورة **النساء**، الآية: ١٢٣.

وأعطى ثمره، وعندما خالفوا الأوامر والنواهي الإلهية لم تنخرم لهم السُنة ولم تتبدل، بل حكمت عليهم وجرّتهم إلى الويلات والمُهلكات.

"ذلك أن السُّنن عامة تنطبق على البشر جميعًا، وليست خاصة بطائفة دون طائفة ولا لجيل دون جيل، والذي يؤكد عمومية الموضوع أن الله يقول للرسول الأكرم ﷺ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[1]...

ونلاحظ أن هذه الرؤية القرآنية هي التي تجعل المسلم قادرًا على الاعتبار الذي يلح عليه القرآن، فأمامنا تجارب القرون الماضية والأمم السابقة، تجارب كثيرة تظهر فيها سُنن الأقوام التي يخضع لها المسلمون أيضًا كأي قوم من الأقوام. وهذا النظر القرآني يجرد الإنسان من ملابساته ويرجعه إلى أصله المجرد الذي يخضع للسُنن.

فالذي يفهم السُّنن الإلهية وعمومها يملك القدرة على التعامل مع هذه السُنن، ويحسن الاستعداد لنتائجها.

ج – الاطراد: أي التكرار أينما وجدت الظروف المناسبة مكانًا وزمانًا وأشخاصًا وأفكارًا ،قال سبحانه وتعالى:. ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[2].

جاء القرآن يبين للناس أن مشيئة الله تعالى في خلقه إنما تنفذ على سُنن حكيمة وطرائق قويمة، فمن سار على سُنته في الحرب مثلًا ظفر بمشيئة الله وإن كان مُلحدًا، ومن تنكبها خسر وإن كان صدّيقًا، والمؤمنون الصادقون أجدر الناس بمعرفة سُنن الله تعالى في الأمم،

---

(١) سورة **الأحقاف**، الآية: ٩.

(٢) سورة **آل عمران**، الآية: ١٣٧.

وأحق الناس بالسير على طريقها بين الأمم، لذلك صرح الله لنا في بدء الآيات التي تبين سُننه أن له سُننًا عامة جرى عليها نظام الأمم من قبل، وأن ما وقع لهم مما يقصّ حكمته عليهم هو مُطابق لتلك السُّنن التي لا تتحوّل ولا تتبدّل.

فجريان الأمـور على السُّنن المطردة: «حُجة على جميع الناس مؤمنهم وكافرهم، تقيّهم وفاجرهم، وهي تدحض ما وقع للمشركين والمنافقين من الشبهة على الإسلام إذ قالوا: لو كان محمد ﷺ رسولًا من عند الله لما نيل منه، فكأنه يقول لهم: إن سُنن الله حاكمة على رسله وأنبيائه كما هي حاكمة على سائر خلقه»[١].

٢-٥-٤- السُّنن الإلهية في التغيير الاجتماعي

إن القرآن الكريم لم يكتف بسرد تجارب الأنبياء والمصلحين في التغيير والإصلاح، ولم يتوقف عند حدود الدعوة إلى السير في آثار الأقوام بل أكد على أن هذا التاريخ والمسيرة النبوية والإصلاحية تحكمها قوانين ثابتة.

١- سُنّة التغيير:

وهي من أهم وأبرز السُّنن الإلهية الثابتة والجارية على كل الشعوب في كل زمان ومكان، ولذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾[٢]، فما لم يتغيّر الإنسان بما هو إنسان

(١) محمد أبو مريم الجريتلي، مقال «في السنن الإلهية وأثرها في فهم الواقع»، موقع:
https: //www. alukah. net/publications_competitions/0/37004/.

(٢) سورة **الرعد**، الآية: ١١.

فإنه لن يتمكّن من تغيير الواقع الاجتماعي خارجيًا، ولو حاول عبثًا إحداث تغييرات شكلية على صعيد النفس والمجتمع فلن يكون هناك نتائج ايجابية ومثمرة، ولن يصل إلى أمر يعتدّ به ما لم يعمد إلى منابع الفساد في نفسه وحياته فيسدها. ومن الواضح على ضوء المفاهيم القرآنية: «أن المحتوى الداخلي للإنسان هو الأساس في حركة التاريخ لكونها حركة غائية لا سببية فقط»[١]. وهذه السُنة القرآنية تعتبر ركيزة أساسية للتغيير الاجتماعي وتغيير الواقع الذي يعيشه الإنسان إلى الأفضل والأكمل.

ونرى أن التغيير في حياة المجتمعات مرتبط والتغيير الواقعي في قلوبهم ونواياهم وسلوكهم وأعمالهم. والتغيير الذي يقود إلى البناء ويكون وسيلة للتمكين إنما يعني إحداث ثورة داخل كيان الإنسان أولًا لصالح نفسه ولصالح مجتمعه من حوله، وتتحقق هذه الثورة أولًا داخل النفس ثم تتجه إلى إحداث التغيير في المجتمع. فالتغيير أصلًا يبدأ من النفس، وكما أن التغيير في إطار المجتمع يكون بثورة تكتسح المخالفات والرواسب الفاسدة، كذلك التغيير في داخل إطار النفس البشرية يكون بثورة تكتسح من النفس كل عوامل الفساد وأسباب التردي والهبوط ودواعي الانحراف والضلالة، «وهذه الثورة التغييرية هي الثورة الرائدة حقًا، وهي المنطلق الطبيعي للإصلاح الخارجي، وإذا صلحت النفوس من داخلها ثارت على الفساد من خارجها، أما عندما يكون التغيير من الخارج فقط دون التفات إلى أعماق النفوس فإنه تغيير لا يتجاوز حدود المظاهر والشكليات، لا قيمة له ولا ثمرة، فلا بد وأن يتوجه التغيير أولًا إلى ما في داخل الأنفس من عقائد فاسدة ومفاهيم مغلوطة وأفكار ميتة

(١) محمد باقر الصدر، **السنن التاريخية في القرآن**، الصفحة ١٠٥.

وأخلاق مذمومة وصفات مرذولة يصححها ويغيّرها إلى عقائد صحيحة ومفاهيم صحيحة وأفكار حيّة وأخلاق محمودة وصفات طيبة، ويجب أن يتهيأ الأفراد في الأمة الإسلامية إلى حياة العلم والجهاد، حياة الإنتاج والعمل لا حياة البطالة والكسل، حياة الجدّ لا حياة الهزل، حياة اعتدال لا حياة ترفه، حياة عَرقٍ لا دعة، حياة إصرار لا استرخاء، والعمل على التغيير لا ينافي الاستسلام لقضاء الله وقدره»[١].

ولكنّ الله تعالى لم يأمر الناس أن يستسلموا لهذا القدر بمعنى عدم العمل على تغيير الواقع الاجتماعي السيئ الذي نزل بهم، إنما أمرهم بالتسليم لقدر الله، بمعنى الرضا بما وقع بالفعل، لأنه قدر محتوم لا يمكن تلافيه، أما أن يكون المقصود التوقف وعدم تغييره أو محاولة تغييره فأمر آخر لم يأمر الله به، ولا حث عليه، ولا علاقة له بالرضا بما وقع على أنه قدر محتوم من عند الله. إن الهزيمة وقعت بالمسلمين في غزوة أحد بسبب من عند أنفسهم، فالله سبحانه يقول:

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٢]. فلم يستسلموا للهزيمة ويقعدوا على أنها أمر واقع دون محاولة تغيير الموقف السيئ الذي وجدوا أنفسهم فيه، بل تصرّف الرسول الأكرم ﷺ تصرفًا حكيمًا حيث جمع المسلمين بجراحاتهم للقاء العدو مرّة أخرى والهزيمة لم تنته آثارها من الأجساد ولا من النفوس، وسجل الله تعالى موقفهم هذا في

---

(١) عبد الله الحاشدي، «السُنن الإلهية وأثرها في تغيير الأمة»، مقال في موقع نت https: //syrianoor. net/article/16406.

(٢) سورة **آل عمران**، الآيتان: ١٦٥-١٦٦.

القرآن الكريم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[١]..

٢- سُنّة التدرُّج:

القرآن الكريم يهدفُ إلى تربية رجالٍ مؤمنين بالله عز وجل من خلال سُنة التدرُّج التي لها أهمية في عملية التغيير الاجتماعي لإعداد جيل رباني. ومن شأن ذلك أن تكون هناك مصاعبُ وأزمات على الطريق، ولا بد حينذاك أن تُبذَل وتُقدَّم التضحيات، ولهذا كان الأمر بالصبر وتحمّل مشاقِّ الطريق، وتثبيت قلوب المؤمنين، بالحديث عن مصير المكذِّبين والمعانِدين من قبلهم، وبوعد الله تعالى بنصر عبادِه المؤمنين، حتى إذا استقر الإيمانُ في القلوب، جاء دور التشريعات والتكاليف خطوةً خطوةً، ومرحلةً مرحلةً؛ ليُطِيقها الناس وتقبلها نفوسهم. وكان ذلك في المرحلة الثانية من الدعوة بعد الهجرة، وبداية عهد الانطلاق والانتشار، ومواجهة التحديات والعقبات، وقد أجراها الله تكوينًا في خلق الكون، فقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[٢]. وفي خلق الإنسان قال عزّ وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ﴾[٣]، وسنّها في التشريع فقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[٤]. فالآمر بالمعروف والنّاهي عن المنكر يبدأ بالهدف القريب

(١) سورة **آل عمران**، الآية: ١٧٢.
(٢) سورة **الأعراف**، الآية: ٥٤.
(٣) سورة **غافر**، الآية: ٦٧.
(٤) سورة **طه**، الآية: ٤٤.

قبل البعيد وبالأسهل قبل الأصعب، وبالخطط الجزئية ثم الكلية وببناء الفرد فالمجتمع. ومعظم التشريعات جاءت بتدرج وعلى مراحل كإعلان حُرمة الخمر، ووجوب الصلاة والصيام، والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهكذا نلاحظ أن منهجية التدرج تكون عبر سلسلة من الخطوات التي تصل إلى الهدف والغاية.

إذًا، فهذه القاعدة الكلية و«السُنة الإلهية» في رعاية التدرج، ينبغي أن تتّبع في سياسة الناس، وعندما يراد تطبيق نظام الإسلام في الحياة، واستئناف حياة إسلامية متكاملة، فإذا أردنا أن نقيم (مجتمعًا إسلاميًا قرآنيًا) فلا نتوهم أن ذلك يتحقق بجرة قلم، وإنما يتحقق ذلك بطريقة التدرج، أعني بالإعداد والتهيئة الفكرية والنفسية، والأخلاق الاجتماعية، وهو نفس المنهاج الذي سلكه النبي ﷺ، لتغيير الجاهلية إلى حياة إسلامية، فقد ظل ثلاثة عشر عامًا في مكة، كانت مهمته فيها تنحصر في تربية الجيل المؤمن الذي يستطيع فيما بعد أن يحمل عبء الدعوة، وتكاليف الجهاد، لحمايتها ونشرها في الآفاق، ولهذا لم تكن المرحلة المكية مرحلة تشريع وتقنين، بل مرحلة تربية وتكوين، وكان القرآن نفسه فيها يعنى – قبل كل شيء- بتصحيح العقيدة وتثبيتها، ومدّ أشعتها في النفس والحياة، أخلاقًا وأعمالًا صالحة، قبل أن يعنى بالقوانين التشريعية، وكما رأينا التدرج في الأمور الشرعية السابقة هناك تدرج كذلك في قطع دابر الكافرين المستكبرين الجاحدين بآيات الله تعالى من إمهال إلى استدراج إلى تدمير وهلاك؛ قال الحق جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، وقال أيضًا عزّ من

(١) سورة **الأعراف**، الآية: ١٨٢.

قائل: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١].

٣- سُنّة التدافع:

والتي لها صفة العموم والشّمول، والثبات والدوام، والاطراد والاستمرار، وهي مرتبطةٌ بفعل الإنسان وأثره في الحياة، وهي تمارسُ دورًا مصلحيًّا ورقابيًّا على مكوّنات المعادلة الاجتماعية، وتحمل مضمونًا وغايةً خيريّةً للإنسانية، والتي يُحفظ بها صلاحُ العمران البشري، ويُزال بها الفسادُ عن الأرض، ويُحافَظُ بها على الحيوية في الكون، وتُدْفع بها الطاقاتُ نحو التنافس، وقد قال تعالى عن هذه السُّنّة:.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[٢].

وكما أنّها تحافظ على الدّنيا من الانحراف في هذه الآية، فإنّها تحافظ على الدّين والقيم الإنسانية من الانهيار في آيةٍ أخرى، في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[٣]. ومع أنّ لفظة (التدافع) تحمل معنى المفاعلة والحِراك بقوّة، إلاّ أنها أبلغ من لفظة (الصّراع) أو (التصادم)، التي تحمل مضمونًا عنيفًا استئصاليًّا وعدَميًّا، فهي لفظةٌ عميقةٌ وموحِيةٌ بالتحفيز والتفاعل والتنافس والتنوّع والتعدّدية، بل وحتى بالتعاون والتكامل، وهي لا تحمل – بالضّرورة – معنى التدافع العنفي المادّي بالقتال، بل تحمل كلّ

---

(١) سورة **القلم**، الآية: ٤٤.

(٢) سورة **البقرة**، الآية: ٢١٥.

(٣) سورة **الحج**، الآية: ٤٠.

أنواع المقابلة والمعارضة بين مختلف الثنائيات الفكرية أو الثقافية أو السّياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، من أجل الصّلاح والإصلاح، وقد تنقل الخصم من موقع العدوّ الهائج إلى درجة الوليِّ الحميم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[1]، فهي تهدف «بالمعنى القرآني» إلى تصحيح الاختلالات بين المختلفين، والوصول بهم إلى التوازن والعدل والصّلاح، بمضمون الحمولة الدلالية للتدافع التفاعلي الإيجابي بينهم، بما يساهم في إعادة بناء فاعلية الإنسان في الاتجاه الصّحيح.

ولذلك فإنّ هذا التدافع يستوعب كلّ مراحله ويستغرق كلّ أنواعه حسب فقه الواقع وضرورات المرحلة، مثل: الحوار والجدال والمناظرة والمنافسة والمواجهة والمغالبة والصّراع والقتال، وهو إرادةٌ ربّانيةٌ وسُنّةٌ إلهيةٌ ماضيةٌ في البشرية، ولذلك أضافها الله تعالى إليه بقوله في الآيتين: (دفع الله)، وهي ثابتةٌ ومطردةٌ في العلاقات البينية المتمايزة بين الحضارات أو الثقافات أو المجتمعات أو الجماعات أو الأفراد، من أجل تحقيق الفاعلية الاجتماعية والفعل الحضاري. وهذه السُّنّة هي نتيجةٌ حتميةٌ لاختلاف البشر وتنوّع إراداتهم وتنازع رغباتهم وتصادم طموحاتهم، وهي شرطٌ أساسيٌّ للتجديد والتطوير والتغيير. والتدافع -وفق التصوّر الإسلامي- لا يعني الهيمنة المادية والعسكرية لإبادة الآخر، ولا التبعية والذوبان المطلق فيه، بل هي امتلاكُ القوّة الذاتية، وفاعلية المنظومة القيمية، والمقاومة الثقافية والحضارية، والـرّدع العسكري والمادي، ليبقى هذا التدافع بين أهل (الخير والشر)، وبين أهل (الحق والباطل)، وبين أهل (الصلاح والفساد) مستمرًا ودائمًا في

(١) سورة **فصلت**، الآية: ٣٣.

مسيرة البشرية، وفق إرادة الله في خلقه، كما قال:. ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[1]، وهو ما يعني أنّ (التعدّدية) تهزم (الآحادية)، وأنّ (الدّورات التاريخية) تهزم مقولة (نهاية التاريخ)، وأنّ التثاقف الحضاري يهزم هيمنة الحضارة الواحدة، وأنّ العالم متعدّد الأقطاب ينهي الأحادية القطبية في النّهاية.

والتدافع يكون بين الحضارات، كما يكون بين الـدّول، كما يكون داخل الدّولة الواحدة بين السّلطة والمعارضة، كما يكون داخل الحزب أو الجماعة الواحدة.

وسنةّ التدافع لا تقلّ أهمية عن سُنة التغيير، فقد قال الله سبحانه في محكم كتابه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[2]. فوجود الحق يعني خطرًا على الباطل ودفعًا له، ووجود الخير يعني نفيًا وزوالًا للشر، ولا يكون ذلك إلا بإحياء شعيرتي الجهاد الأكبر والأصغر بنوعيهما الدفاعي والهجومي، ففي الكثير من الأحيان خير وسيلة للدفاع الهجوم وذلك لتفكيك حصار المسالك الهدامة لمدارس الشرك والفساد.

٤- سّنة المدد الغيبي ونُصرة المستضعفين:

يقول الله عز وجل: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ

(١) سورة **هود**، الآية: ١١٨.

(٢) سورة **البقرة**، الآية: ٢٥١.

وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[١]. «فالثورة والنضال في وجه الطُغاة والمُجرمين وأنظمتهم المُستبدّة ومؤسساتهم الجاهلية المتسلطة على رقاب الناس لا تنجح من دون مدد غيبي لنُصرة المستضعفين الأقل عدة وأحيانًا عددًا، وذلك بعد الأخذ بالأسباب، وبطاعة الإمام المفترض والمنصوص عليه أو من ينوب عنه في جميع الشؤون الاختيارية»[٢]، وحينها يكون المُستضعف موردًا للمدد الغيبي والانتصار على أعداء الله والإنسانية وهذا ما يكون فيه المدد الغيبي إنّ الله يقدم لهم الامكانيات على تحقيق النصر والتمكين.

٥- سُنّة المجتمعات الفاضلة:

المُجتمعات الفاضلة والنبيلة التي تشيع فيها سُنن العدالة والحق تتيسّر حياة أهلها بشكل طبيعي كحب الخير والعمل به، والحثّ عليه والعمل الصالح، ولا سيما إذا أقامت شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واتخذوا من الوسطية سبيلًا، فالله سبحانه يقول: ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ﴾[٣]. وأما لو انغمست في الرذيلة وشاع فيها روح البغضاء والكراهية، والفساد والقتل والإجرام تنغصت حياتها، وكانت معيشتها ضنكًا وتوالت عليها الفتن والمصائب. وبالتدبر في آيات القرآن الكريم يمكن التعرف على العديد من السُّنن الإلهية المُتعلقة بالمجتمعات الفاضلة والنبيلة؛ فإلى جانب كون القرآن كتاب هداية إلا أنه في الوقت ذاته يعتبر الكتاب الأول للبشرية، والإنسان

(١) سورة **آل عمران**، الآيات: ١٢-١٢٥.

(٢) محسن الآراكي، **نظرية النص على الإمامة في القرآن**، الصفحة ٥٢.

(٣) سورة **الأعراف**، الآية: ٥٨.

الفطري ذلك الإنسان الذي جاء الأنبياء ليعرفوه بنفسه ويرشدوه إلى طريق هدايته وسعادته. وما أحوجنا إلى الإنسان الكامل في منهجية التغيير الاجتماعي لأنه نموذج واقعي وفيه تتكوّن الصورة الواضحة للعدالة الاجتماعية للشعوب.

وبما أن السُّنن الإلهية قوانين ثابتة لا تختلف ولا تتخلّف فإن هذا يعني أنه بالكشف عنها يُمكن استشراف الكثير من آفاق التغيير الاجتماعي في الحياة البشرية؛ فالتماثل في العلل يقتضي التماثل في المعلولات، ومن هنا جاءت أهمية معرفة السُّنن الإلهية في عملية التغيير الاجتماعي لأن بمعرفتها يمكن توجيه عملية التغيير الاجتماعي للواجهة التي فيها صلاح المجتمع وتقديم النفع العام للشعوب.

وبالنظر في أحوال الأمم السابقة والتعرف على أسباب ازدهارها أو سُقوطها والكشف عن نوع التشابك بين السُّنن الطبيعية القهرية منها أو المشروطة من جهة وبين السُّنن الاجتماعية من جهة أخرى نجد أن الفعل البشري هو الذي يُشكل حالة محورية في تسخير جميع تلك السُّنن أو الاستفادة منها، كما يمكن للإنسان تنظيم حياته وفق مقتضياتها وخلق الظواهر الاجتماعية التي تنجم عن تجمّع الناس وتفاعلهم ودخولهم في شبكة من العلاقات المتبادلة ليصبح الفعل البشري هو سيد الموقف في رسم الظواهر الاجتماعية، والتي بموجبها تتشكّل حركة التاريخ زمانًا ومكانًا ومقدمات ونتائج للوصول إلى الغاية.

وما نراه اليوم: «من تحديات وعوائق ومحن تعصف بالمجتمع الإنساني لا سيما الإسلامي والعربي ما هي إلا أفعال بشرية ناتجة عن هيمنة قوى الظلم والطاغوت والأنظمة الديكتاتورية والحكام الظلمة، وما مارسه ويمارسه هؤلاء من تهميش وحرب إبادة ضدّ الشعوب المُستضعفة

للحدّ من مبادراتها ومشاركاتها في عملية التغيير الاجتماعي وفي عملية الاصلاح، وذلك أن صادروا كافّة حُقوقها وحرياتها كحقها في حرية التعبير عن الرأي، لذلك ثارت هذه الشعوب وانقلبت على هذه الأنظمة الطاغوتية ولكن وللأسف رغم أن الإسلام هو دين هذه الشعوب الثائرة إلا أنها لم تجرؤ في المُطالبة بتحكيمه والخضوع له لخوفها من المستعمر الكافر والظالم بل طالبت بحكم مدني لتدفع الضرر الأكبر الناتج عن هذه الحكومات بالضرر الأقل الناتج من الأنظمة المدنية فقد توصلت هذه الشعوب على أن الديمقراطية حل يمكن أن يوازن بين الحرية من جهة والعدالة الاجتماعية من جهة أخرى..»[١].

فمن السُّنن الإلهية الثابتة التي لا تُبدّل ولا تُحوّل والجارية في جميع الأزمنة والأمكنة سُنّة سقوط المستكبرين والظالمين وانتصار المستضعفين وأهل الحق، وهذه العدالة الإلهية ثابتة لجميع المجتمعات.

فالله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٢]. ولا تتحقق هذه السُنة إلا بالعمل بالشروط الموضوعية للانتصار كالصبر والثبات والإيمان.

ولله سبحانه سُنن في النصر والتمكين، وسُنن في التغيير والاستبدال، وفي الغفلة عنها تفريط في الأخذ بأسباب النجاة وإعراض عن هدي الأنبياء عليهم السلام في الدعوة إلى الله عزّ وجل، هؤلاء الأنبياء الذين هم أعرف الناس بالله سبحانه، وبأسمائه وصفاته، وبالتالي فهم أعرف بسُننه

(١) المصدر نفسه، الصفحة ٥١.

(٢) سورة **القصص**، الآيتان: ٥-٦.

سبحانه وعاداته وأيامه، وهم ألزم الناس لها وللسير على ضوئها، وما حلّت الهزيمة محل النصر والضعف محل القوة والعزة محل الذل إلا بسبب الإعراض عن معرفة سُنن الله عز وجل، وما فيه من الهدي والنور. وهنا كان علينا أن ندرك أهمية المعرفة الإلهية التي تُرشدنا إلى طريق الحق والصواب.

ولكن النظر إلى هذه السُّنن يهب المؤمن الاطمئنان إلى وعد الله تعالى بنصر المؤمنين الصادقين، وبالتدمير على الكافرين الظالمين، فلا ييأس المؤمن، لأن عنده رسوخًا في إيمانه ويقينًا أنّ الله لا يضيع أجر الصالحين.

فمعرفة هذه السُّنن تجعل المؤمن يرى حركة هذه السُّنن في الأمم الظالمة وهي تتهاوى دولة بعد أخرى، ويومًا بعد آخر، وتحق عليها السُنن، فيؤمن أنّ الله تعالى سُننه لا تتخلّف ولا تتبدّل ولا تحابي ولا تجامل فيطمئن قلبه لوعد الله. وقد قصّ الله علينا في كتابه أخبار أمم كثيرة، ممن استفادوا من هذه السُنن، آمنوا بها وعرفوها وراقبوها ورصدوها، واغتنموا الانتفاع بها، فوهبهم الله تعالى النصر، والتمكين، والقوّة، والسعادة في الدنيا وفي الآخرة، كما قصّ علينا قصص أمم أخرى جهلت هذه السُنن، أو عرفتها ولكنها لم تعمل بموجبها، فحقت عليها كلمة العذاب والهلاك، فلم ينقذهم بعد ذلك ما كانوا فيه من قوة ونصر حينما بدأت عوامل الانحراف وعوامل الضعف تعمل فيهم عملها.

وموافقة السُّنن الإلهية مما يمنح المسلم شعورًا بالعزة، لأن بعض الناس إذا رأوا قوّة العدو ورأوا ضعف المسلمين، ربما داخلهم نوع من اليأس، حتى ربما يميل بعضهم إلى العزلة، لأنه رأى أمرًا لم يكن يخطر

له على بال، لكن تفطنه إلى السُّنن الإلهية يجعله يطمئن لوعد الله أنّ العاقبة للمتقين.

٦- سُنّة عمومية العقاب:

الصلاح والفساد الظاهران في المجتمع والطبيعة يكونان نتيجة لما كسبت أيدي الناس، فهم وسائط الفيض الإلهي تمامًا كوساطة الماء في إيجاد البرودة والارتواء، والنار سبب للحرارة أو الظمأ، فالفعل الإلهي لا يخلو من حالتين:. «إما أن يتحقق بلا واسطة أو بواسطة، وفي الأول يسمى بالأمر كما صرّح بذلك جملة من الفلاسفة والثاني بالخلق»[١]، إشارة لما جاء في الآية الكريمة بقوله الله عز وجل:

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٢]. وإذا ترتبت مفاسد اجتماعية معيّنة بسبب فساد المجتمع فلا يعني ذلك حِرمان المؤمن من بركات السماء والأرض إذا كان عاملًا بتكاليفه ووظائفه الشرعية، كما لا يعني أنه سيهلك بالمطلق مع من هلك من أفراد المُجتمع الفاسد. نعم قد يكون الإنسان غير مرتكب للمعاصي بالمفهوم الظاهري، ولكنه متهاون في القيام بواجباته ومسؤولياته الشرعية، فحينها قد يشمله العقاب الدنيوي مع من ظلم، فإذا تهاون مثلًا بالقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون موردًا لسخط الله كما جاء في القرآن الكريم بقوله تعالى:

---

(١) الشيخ أحمد الماحوزي، **حقيقة الأسماء الحسنى**، الصفحة ٧٧.

(٢) سورة **الأعراف**، الآية: ٥٤.

﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[1].

وفي هذه الآية دلالة على أن آثار الفتن والمحن سوف لا تختصُّ بالظالمين فقط، وإنما ستشمل كافّة الناس حين يتهاونون عن أداء الواجبات والأوامر الإلهية التي كلّفهم الله بها وجعلها واجبة على كافة أفراد المجتمع.

(١) سورة **الأنفال**، الآية: ٢٥.

الفصل الثالث:

المشروع التغييري لحركة أنصار الله في اليمن

تمهيد

هذا الفصل خُصِّص لدراسة نموذج معاصر في التغيير الاجتماعي نرصده عند حركة أنصار الله في اليمن. ولا بُدّ من توضيح مُحدّدات التجربة في البيئة اليمنية، وبيان أركان هذه التجربة على مختلف المستويات، وكيف استطاعت حركة أنصار الله من خلال القيم والمبادئ الدينية والفكرية التي تستند إلى القرآن الكريم أن تغيّر بشكل كبير المجتمع اليمني ثقافيًا واجتماعيًا وسياسيًا.

في البداية لا بُدّ من لمحة تاريخية وفكرية عن اليمن، وعن حركة أنصار الله، حتى يتسنّى للدارسين المعرفة الكاملة بجذور هذه الحركة، وكيف قدّمت تجربتها الفكرية وطبّقتها على جميع الفئات والشرائح في المحافظات اليمنية ككل، وخاصّة المناطق الشمالية؛ مُرتكز المذهب الزيدي القائم على مبدأ التحرّر من الظلم والاضطهاد، وبناء العدالة الاجتماعية لكل الشعوب والمجتمعات. ولذا سيكون هذا الفصل بمثابة نموذج تطبيقي وعملي للتغيير الاجتماعي، وستكمل به حلقات المسار البحثي لهذه الرسالة، كوننا قدّمنا أولًا البُعد النظري للتغيير الاجتماعي من خلال التعريفات، والمفاهيم، والنظريات الاجتماعية للمفكرين والباحثين، ثم بيّنّاها بشكل دقيق على المستوى القرآني والإسلامي،

وكيف ينظر القرآن الكريم إلى التغيير الاجتماعي للإصلاح في خط الإسـلام، والحفاظ على القيم الإيمانية للأمة الإسلامية، وانتهينا إلى هذا المبحث التطبيقي لنقدّم نموذجًا عمليًا واقعيًا للتغيير. ومما يُعزّز من أهمية هذا النموذج الظروف الاستثنائية التي تحصل في اليمن من الناحية السياسية والعسكرية والثقافية، وبروز هذه الحركة بشكل كبير ومؤثر على المستوى الإقليمي والدولي.

٣-١- المبحث الأول:
مُحدّدات تجربة أنصار الله في البيئة اليمنية

قد عُرف اليمن منذُ القدم بالعربية السعيدة (ARABIA FELIX) وقد اشتقّ اسمها من (اليُمن) وهو الرخاء والبركة، ويمتدّ على رقعة جغرافية واسعة تقع جنوب الجزيرة العربية. كانت تُقدّر مساحة الجمهورية اليمنية بحوالي ٥٢٧,٩٧٠ كيلومترًا مربعًا وذلـك حتى العام ٢٠٠٠م، ثمّ اتسعت الدولة اليمنية لتصبح مساحتها حوالي ٥٥٥,٠٠٠ كيلومترٍ مربعٍ، ويصل عدد السكان إلى ما يقارب ٢٦,٦٨٧,٠٠٠ نسمةٍ وذلك حسب التعداد السكاني لعام ٢٠١٥م، وبهذا تكون الكثافة السكانية لليمن ٤٨١٧ نسمة لكلّ كيلومترٍ مربع.

ولليمن تاريخ عريق حيث كان موطنًا لأقدم الحضارات في العالم، ومن أهمّ هذه الحضارات حضارة سبأ، مملكة معين، حضارة حضرموت، مملكة حمير، مملكة أوسان. وهناك ممالك أخرى قامت في اليمن لا يعرف عنها الكثر مثل: مملكة هرم، مملكة كمنة، مملكة السوداء، مملكة أنابة، مملكة نشأن وغيرها.

ومنها خرجت أهم الحضارات واستوطنت دولًا مثل العراق وبلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا، وهي الهجرات الإنسانية القديمة، كما هاجر

اليمنيون بعد انهيار سدّ مأرب لدول الجوار، ويقال إنّ اليمن هي أرض سام بن نوح، حيث كانت موطنًا لبعضٍ من أقدم الحضارات في العالم.

دخلها الإسلام في العام الثامن للهجرة، وحكمها الكثير من الملوك ومنهم الرسوليون[١]، وحكمها الأئمة الزيديون[٢] لمدّة حوالي ألف عام تقطّعت بتدخلات منها الخلافة العثمانية حيث حكمها العثمانيون

---

(١) بنو رسول، سلالة مسلمة حكمت بلاد اليمن في الفترة (٦٢٦ – ٨٥٨ هـ / ١٢٢٩ – ١٤٥٤ م)، وقد امتدّت حدود هذه المملكة إلى عُمان حاليًا في الشرق، وإلى السواحل الغربية للبحر الأحمر-الموازية لليمن- غربًا، ومكة شمالًا وبحر العرب وخليج عدن جنوبًا. مؤسس الدولة الرسولية هو عمر بن رسول وأعلن استقلالها عن الأيوبيين في مصر، وأعلن نفسه ملكًا مستقلًا بتلقبه بلقب «الملك المنصور»، وتمكن من توحيد البلاد من جديد وبقيت تعز عاصمته، وكان عمر بن رسول طموحًا وسياسيًا بارعًا وبدأ ببناء قاعدة دعم شعبية في تعز ساعدته كثيرًا في بناء الدولة الرسولية على أساس صلب، فسيطر على زبيد أولًا ثم توجه شمالاً نحو المرتفعات الشمالية ثم إلى الحجاز فامتدّ ملكه من ظفار وحتى مكة. قُتل عمر بن رسول على يد ابن اخيه عام ١٢٤٩ إلا أن الملك المظفر يوسف الأول تمكن من هزيمة ابن عمه، وقمع محاولة الزيدية لزعزعة ملكه فتلقب بالمظفر لذلك، وعندما سقطت بغداد عام ١٢٥٨ أمام هولاكو خان، تلقب الملك المظفر يوسف الأول بلقب الخليفة، ونقل العاصمة من صنعاء إلى تعز لقربها من عدن، وكسا المظفر الكعبة المشرفة من داخلها وخارجها بعد انقطاع ورودها من بغداد بسبب دخول المغول إليها، وبقيت كسوته الداخلية حتى سنة ٧٦١ هـ / ١٣٥٩م.. المصدر، المركز الوطني للمعلومات، صنعاء، موقع http: //www. yemen-nic. info.

(٢) أول من أدخل المذهب الزيدي إلى اليمن الإمام يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي، المعروف بالهادي، في نهاية القرن الثالث الهجري، وقد استطاع الهادي أن يقيم دولة له في صعدة شمالي اليمن، فكان المؤسس الأول للدولة الزيدية، وكان عالمًا فقيهًا مجتهدًا، ومعه دخل المذهب الاعتزالي الذي أصبح لصيقًا بالزيدية إلى اليمن، وهو من أحفاد الحسن بن علي، ولد بالمدينة ورحل إلى اليمن سنة ٢٨٠هـ فوجدها أرضًا صالحة لبذر آرائه الفقهية، استقرّ في صعدة وأخذ منهم البيعة على إقامة حكم الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والطاعة في المعروف، وبدأ الإمام الهادي حركته الإصلاحية بلمّ الشمل والقضاء على الفرقة والاختلاف، حتى استطاع أن يحكم معظم أنحاء اليمن وجزءًا من الحجاز. خاض الزيدية خلال تاريخهم حروبًا عديدة مع القرامطة الباطنية، واستمر حكم اليمن بيد أولاد الهادي وذريته حتى قيام الثورة اليمنية سنة ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م)، وهي أطول فترة حكم في التاريخ لآل البيت حيث دام أحد عشر قرنًا.. المصدر، المركز الوطني للمعلومات، صنعاء، http: //www. yemen-nic. info.

بطريقة غير مباشرة، واستمرت دعوة الأئمة الزيديين للحرب ضدّهم. وقد تمكّن الإمام المتوكل[١] من إجلاء العثمانيين من اليمن الشمالي، ومدّ سلطانه إلى جميع بقاع اليمن من مكة شمالًا إلى عُمان جنوبًا. وبهذا تكون اليمن أول دولة عربية تعلن استقلالها في ذلك الوقت، واستمرت هذه الدولة موحدة أكثر من مئة عام لتواجه الحملة العثمانية من الخارج والأطماع الاستقلالية في الداخل مما أدّى إلى انحصارها في الإقليم الشمالي الغربي حيث المعقل الرئيسي والتاريخي للمذهب الزيدي.

وتعدّدت الحملات العثمانية حتى انتهت بنهاية الدولة العثمانية نفسها وتسليمها الحكم في شمال اليمن إلى الإمام يحي بن حميد الدين الذي أصبح الرجل الأقوى في شمال ووسط اليمن باستثناء المناطق الجنوبية والشرقية والتي إما كانت واقعة تحت الاحتلال الفعلي أو تحت الحماية البريطانية.

وقد «عُـرف اليمن في أطـوار التاريخ قديمه ووسيطه وحديثه ومعاصره في حلقات متصلة وانسجام متكامل، وكان له في التاريخ القديم حضورٌ مميزٌ استحق ذكرًا في كتاب الله العزيز، وتدوينًا في المصادر الجغرافية منذُ القديم وحتى الآن، وفي تاريخ الإسلام والمسلمين كان لليمن وأهل اليمن إسهامات بـارزة في نواحي الحياة الثقافية

(١) يحيى محمد حميد الدين محمد المتوكل، ولد في يونيو ١٨٦٩ وتوفي في فبراير ١٩٤٨. هو إمام اليمن من عام ١٩٠٤م وحتى عام ١٩٤٨ وهو مؤسس المملكة المتوكلية اليمنية. أجبر الإمام يحيى الأتراك على الاعتراف به إمامًا مستقلًا على شمال اليمن في العام ١٩١١ بعد حروب متواصلة ضد العثمانيين منذ ١٨٧٢. وبعد الحرب العالمية الأولى تخلصت المناطق الشمالية لليمن من التأثير التركي نهائيًا وتعرض حكم الإمام لعدة تحديات أبرزها ثورة الدستور والتي قُتل على إثرها. وقد حكم الإمام في فترة كانت المنطقة العربية تمر بـ«ثورات فكرية».

والاجتماعية والعسكرية والإداريــة، وفي التغيير وبناء رؤية الإصلاح الاجتماعي والحكم السياسي والاجتماعي.

واليوم يُعرف اليمن رسميًا باسم (الجمهورية اليمنية)، يحدّها من الشمال المملكة العربية السعودية، ومن الجنوب البحر العربي وخليج عدن، ومن الشرق سلطنة عُمان، ومن الغرب البحر الأحمر»[١]..

ونلاحظ من خلال التتبّع التاريخي للمذاهب الإسلامية في اليمن أن هناك مكونين رئيسين في تاريخ اليمن وهما المذهب الزيدي الهادوي نسبة إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام (ت ١٢٢هـ)، والمذهب الشافعي نسبة إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ).

«وقد تمكّن الأئمة الزيدية من السيطرة والحكم على اليمن منذُ القرن الثالث الهجري، وجعل المذهب الرسمي للحكم فيها هو المذهب الزيدي الهادوي – نسبة إلى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي (ت ٢٩٨هـ)- حقبة تزيد عن ألف عام»[٢]. وهنا نلاحظ أن هذه الفترة والتي كانت تحكم برؤية المذهب الزيدي القائم على الخروج على الظالم، وبناء العدالة الاجتماعية، وتحقيق المبادئ التي تحقق الرؤية الإلهية للمجتمع كان لها الأثر الكبير في تاريخ اليمن، وتاريخ الحركات الإسلامية والسياسية والاجتماعية التي كان مرجعها إلى هذا الفكر، وإلى هذه الرؤية الإصلاحية المنسجمة مع المصلحة العليا للمسلمين ومبادئ العدالة الاجتماعية.

---

(١) موقع المركز الوطني للمعلومات، صنعاء، http: //www. yemen-nic. info/yemen/history/.

(٢) محمد بن اسماعيل العمراني، **الزيدية باليمن**، الصفحة ٨.

وبعد قدوم الإمام الهادي عام ٢٨٤هـ إلى اليمن للمرة الثانية غدا من حينها مؤسس الدولة الزيدية الأولى في اليمن حيث برزت فكرة اشتراط الرؤية والمبادئ التي تعطي النموذج الإسلامي الأهلية في الحكم السياسي لليمن.

بعد بيان المحدّد الأول في النموذج التغييري اليمني، والمتمثّل في عرض موجز لتاريخ اليمن؛ تصل النوبة للمحدّد الثاني والبحث في تاريخ الحركة: من حيث النشأة والقيادة وتطور التجربة وسياقات التأسيس.

٣-١-١- نشأة الحركة

تُعرف حركة أنصار الله في اليمن بأنها حركة ثقافة قرآنية تمثّل تيارًا إصلاحيًا تغييرًا من محبي أهل البيت عليهم السلام، ولها رؤية إسلامية، ومنظومة فكرية، ومنهجية خاصّة في إطارها التنظيمي والقيمي. أسّسها السيد حسين بدر الدين الحوثي عام ١٩٩٢م في مدينة صعدة شمال اليمن، ومرّت الحركة بمخاضات متعدّدة توّجت بمحطة رئيسية تعرف بالصرخة وتتمثّل بشعار:

«الله أكبر» «الموت لأمريكا» «الموت لاسرائيل» «اللعنة على اليهود» «النصر للاسلام».

في بداية الأمر ظهرت الحركة كحركة دعوية وبعدها تحوّلت إلى حركة مطلبية تجمع بين المجتمع والسياسة. وسعى أنصار الله إلى المشاركة في الحكم داخل الدولة اليمنية، باعتبار أنهم أصحاب حقوق يطالبون بالتغيير والإصلاح الاجتماعي. وقد تمّ تهميشهم من قبَل السلطة لكثيرٍ من الأسباب والاعتبارات الخارجية التي كانت السلطة تخضع لها بشكل كامل حول القرارات والتطورات السياسية لليمن والمنطقة.

وتُعدّ حركة أنصار الله اليمنية حديثة النشأة مقارنة بالحركات الإسلامية الأخـرى، وقد نشأت في ظـروف صعبة وتحديات سياسية واجتماعية كبيرة في المنطقة، وكان لها صدى كبير حول تحركاتها وشعارها الذي كان يرفع مُعاداةً للقوى الاستعمارية والاستكبارية في العالم.

وتأثرت حركة أنصار الله سياسيًا واجتماعيًا بحركات المقاومة ومحورها في المنطقة: كحركات المقاومة والفصائل الفلسطينية، وكحزب الله في لبنان، والجمهورية الإسلامية في إيران، ويتضح ذلك من خلال أدبياتهم، فهم يتبنّون اجتماعيًا وسياسيًا الرؤى والمبادئ التي تحمل روح المقاومة والاستقلال في الفكر، وهذا يُترجمه الشعار الأساسي لديهم الذي يهتفون به بعد صلاة الجمعة، وكذلك معظم الأناشيد، والأدبيات التي تعطي تصورًا عن روحية المقاومة وعن الحياة الكريمة التي تحفظ للمسلمين عزّتهم.

تصاعد تأثير الحركة خاصّة بعد العام ٢٠٠٩م - بعد انتهاء الحرب السادسة على أنصار الله في صعدة[١] - وأصبح لها دور كبير في التغيير

(١) نظرًا للمشروع القرآني الاستنهاضي الذي تبنّته حركة أنصار الله في اليمن، وخطورة المشروع على الوهابية، وعلى قوى الاستكبار والاستعمار؛ قام النظام اليمني في عهد علي عبد الله صالح المدعوم من السعودية والولايات المتحدة الامريكية بشنّ الحروب الستة على أنصار الله في صعدة وهي: الحرب الأولى، اشتعل فتيل الحرب الأولى في يونيو ٢٠٠٤ م بين نظام على عبد الله صالح وأنصار الله وتوقفت المعارك في ١٠ سبتمبر ٢٠٠٤، واشتعلت الحرب الثانية في مارس واستمرت حتى مايو ٢٠٠٥م، **و**الحرب الثالثة اشتعلت من نوفمبر ٢٠٠٥ حتى يناير ٢٠٠٦، والحرب الرابعة استمرت من يناير حتى يونيو من ذات العام ٢٠٠٧م، والحرب الخامسة اشتعلت في ٢٩ أبريل ٢٠٠٨م واستمرت حتى يوليو من ذات العام، والحرب السادسة كانت من أغسطس ٢٠٠٩ حتى فبراير ٢٠١٠م، وكانت النتائج سلبية على أبناء محافظة صعدة والمحافظات المجاورة، ورغم كل ذلك لم **يس**تطيع النظام أن ينتصر فيها مما أدّى إلى انتشار الحركة ومظلوميتها في كل المحافظات اليمنية.

المجتمعي نظرًا للتطورات الأخيرة التي حدثت، والتي سمحت بهامش من الحرية في الرأي والمعتقد، والنشاطات الإسلامية، وتتركز شعبيتهم في المحافظات الشمالية، وخاصّة صعدة والجوف وحجة وعمران وصنعاء والمحويت وذمار. ولأنصار الله نشاط ثقافي، واجتماعي واسع يتمثل في النشاطات الدينية، والاجتماعية، والاحتفالات والمهرجانات في المناسبات الثقافية والوطنية في اليمن.

فالمسيرة القرآنية التي هي وصف لحركة أنصار الله هي التسمية الشاملة لهذا المشروع القرآني، وهو التوصيف الذي يعرّف بها تعريفًا كاملًا، فعندما نعبّر عن طبيعة المشروع القرآني الذي تتحرّك في ركابه الحركة وعلى أساسه لا بُدّ من ذكر أدبياته ورؤيته حتى يتسنّى للباحث معرفة جذور هذه الحركة، وهذه تقوم على ركائز أساسية وهي:»الأمّة والقيادة والمشروع»[١].

تحرّك أنصار الله كان من منطلق القيم الإيمانية والدينية التي كانوا يحملونها وكانوا متشبّعين بها، وفي مقدّمتها الإصلاح والإباء والعزّة، وهي من أهم القيم الإيمانية، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٢]، وهم كانوا أعزاء عندما تحرّك المستكبرون والظالمون باستكبار وطغيان وإجرام ليدوسوا كرامة هذه الأمّة فكان المنهج التغييري والإصلاحي للمجتمع هو الأساس والركيزة الأولى لحركة أنصار الله والدفاع عن المستضعفين وإقامة العدالة الاجتماعية لكل أبناء الشعب اليمني.

---

(١) يحيى قاسم عوّاضة، **أنصار الله القيادة والمشروع**، الصفحة ١٣.

(٢) سورة **المنافقون**، الآية: ٨.

وأنصار الله ليست فكرة مجردة يسهل القبض عليها في حدٍّ جامع مانع على تعبير المناطقة، ولا هي نزعة علموية يمكن قراءتها من خلال الأدب النظري لها فقط؛ وإنما ذات طبيعة حركية عملانية، وبالتالي ليست نسقًا جامدًا ومغلقًا، ولا مقذوفًا فضائيًا نشأ معزولًا عن السياق العام المحلي والعالمي، وإنما مسار من التشكلات تولّدت جنينًا من المحاضرات التي كان يلقيها السيد حسين بدر الدين الحوثي[١] على مُريديه في قاعات (مدرسة الإمام الهادي) في منطقة (مران) التابعة لمحافظة (صعدة)، وفيها البُنية المعرفية والفكرية الكامنة لهذه الظاهرة الاجتماعية والثقافية الآخذة في التمدّد والاتساع جغرافيًا وشعبيًا وذاتيًا.

مسار تشكل جماعة أنصار الله مرّ بسلسلة من الأفعال المتصلة والتحولات الدراماتيكية، والتطورات المتسارعة، والقفزات الفجائية، والتحديات الأمنية والسياسية والاجتماعية التي أسهمت في بلورة هويتها، وتشكيل لحمتها العضوية، وتطوير خطابها وفي إحداث تحولات بنيوية على مستوى الفعل والبناء، وإعادة ترتيب الأولويات المرحلية والاستراتيجية.

---

(١) نبذة عن حياة السيد حسين الحوثي: هو حسين بدر الدين أمير الدين الحوثي من أبناء الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي. ولد بتاريخ شهر شعبان ١٣٧٩هـ. الموافق ١٩٦٠م بمدينة الرويس بني بحر بمحافظة صعدة. التحق بكلية الشريعة والقانون بجامعة صنعاء وتخرج منها بدرجة إجازة، ثم التحق بجامعة في السودان لأكمال دراسات الماجستير في علوم القرآن. المناصب التي تولاها في الحكومة في الانتخابات البرلمانية عام ١٩٩٣م: فاز بمقعد في البرلمان اليمني ممثلًا للدائرة (٢٩٤) في محافظة صعده كمرشح لحزب الحق (اليمن) الذي أسسه مع مجموعة من المثقفين والمهتمين بالمذهب الزيدي. في عام ١٩٩٧م لم يرشح نفسه مرة أخرى وترشح شقيقه يحيى بدر الدين الحوثي وفاز بالمقعد عن حزب المؤتمر الشعبي العام، أما هو فقد تفرغ لحركة المسيرة القرآنية وتكوين نواتها ونشر فكر الثقافة القرانية وتأسيس مدارسه في محافظة صعدة. المصدر: عبد الوهاب الوشلي، **قراءة في الفكر السياسي لحركة أنصار الله**، الصفحة ٥٢٩.

يؤرخ العام ٢٠٠٠م للبدايات الأولى لتولّد جماعة أنصار الله في انطلاقتها بعد أن قطع السيد حسين الحوثي دراسته العليا في السودان، وقرّر الاستقرار بمقرّ إقامته في منطقة مران، وفي نيته التفرغ لمشروعه الديني، والذي يُمثّل الخلاصة التي انتهى إليها بعد حياة غنية بالتجارب الفكرية والسياسية، والمراجعة النقدية المكثفة لها.

من الوهلة الأولـى بدا عليه أنه من طبيعة مغايرة للفعاليات والنشاطات الزيدية التقليدية والإحيائية، وغير متصالح مع الأشكال السائدة من التدين التقليدي، ويختلف مع منتدى الشباب (تأسس في ١٩٩١م)، من حيث الأهداف والوسائل والرؤية، لذا كان يتوقع أن يثير مشروعه الجديد بعض ردود أفعال مخاصمة من المرجعيات التقليدية الزيدية والإحيائيين الزيديين ومجموعة الشباب المؤمن.

٣-١-٢- القيادة وتطور الجماعة

جماعة أنصار الله «جماعة منظمة، يقوم تضامنها الداخلي، ووحدتها العضوية على وحدة القيادة والمشروع» تأسست بالأصل كحالة فكرية ودينية منذُ العام ٢٠٠٠ على يدّ السيد حسين الحوثي، وكان يطلق على مؤيديها وصف (جماعة الشعار) نسبة إلى تبنّيهم (الشعار) كأداة ووسيلة رئيسة لنشر أفكارهم ورؤاهم الفكرية والدينية، مع غياب تامّ لأي رؤية أو برنامج سياسي محدد»[١].

اتساقًا مع رأي السيد حسين الحوثي في أن النشاط الإسلامي لا يجب أن يسيّج بأسوار قومية أو جغرافية أو تنظيمية، فإن جماعة أنصار

---

(١) عبد الكريم الخيواني، «الحركة الحوثية فاعل غير رسمي في اليمن»، مقال في موقع:
.html .٢٠١١٧٢٢١٢٥٣٦٧٥٠٧٩١/٢٠١١/http: //studies. alpazeera. net/ar/reports

الله «لم تنشأ تنظيمًا بلوائح وأنظمة داخلية وبنيات هرمية بيروقراطية، وإنما أراده السيد الحوثي فعلًا دعويًا وتيارًا شعبيًا واسعًا، فيه الدعوة إلى الله ومحاولة استصلاح المجتمع، وإعادة ربطه بأصوله وهويته من خلال الفعل النضالي الاجتماعي، والفكري، والسياسي الذي لا يرتبط ببرنامج سياسي أو بجماعة سياسية أو مذهبية مغلقة، بل بكل المؤمنين»[١].

التضامن الداخلي للجماعة إضافة للمشروع أو الخطاب يعتمد على القيادة المركزية التي مثلها السيد حسين الحوثي في البداية، ثم من بعده السيد عبد الملك الحوثي[٢] الذي نجح في سدّ الفراغ القيادي الذي تركه الغياب المبكر للمؤسس الأول على الصعيدين النظري والتطبيقي، وأبان عن حنكة سياسية وقدرات قيادية عالية، استطاع أن يجتاز بأنصار الله أهم التحديات والمنعطفات الصعبة، وقاد الانتصارات الباهرة، وأحرز السمعة الجاذبة والتوسع الشعبي، حيث يتناغم في شخصيته المفكر الديني والمناضل السياسي والثوري مع قدرات فائقة في مخاطبة

---

(١) حسين الحوثي، محاضرة مديح القرآن، الدرس الثاني، ٢٠٠٢م.

(٢) السيد عبد الملك بن بدر الدين الحوثي ولد في العام ١٩٧٩، وهو قائد حركة أنصار الله في اليمن. تولى قيادة الحركة في العام ٢٠٠٦ م بعد أخيه السيد حسين بدر الدين الحوثي. ولد السيد عبد الملك الحوثي في محافظة صعدة في عائلة متدينة، فجده أمير الدين الحوثي وأخ جده الحسن بن الحسين الحوثي من رجال الدين المعروفين في صعدة، وكان والده أحد كبار المرجعيات الدينية الزيدية الذي تتلمذ على يده العشرات من رجال الدين، فكان السيد عبد الملك يتنقل منذ صغره مع أهله ووالده الذي كان يتنقل في وسط أرياف وقرى محافظة صعدة لتدريس العلوم الفقهية، ولحل قضايا النزاعات بين الناس. درس على يد والده الكتابة والعلوم الدينية وفق «المذهب الزيدي» في حلقات تدريس منذُ سن مبكرة، وقيل إن والده خصص له منهجًا تدريسيًا خاصًا عندما بلغ الثالثة عشرة، فكان والده يقول عنه «طارقة» (أي «علامة») وأنه قطع شوطًا متقدمًا في التحصيل الدراسي، وقد تأثر بأخيه السيد حسين الحوثي كثيرًا حتى صار فيما بعد بمثابة الأب الروحي له وقدوة له، وكان يرافق أخاه السيد حسين الذي كان أنذاك عضوًا في البرلمان اليمني عن حزب الحق، حسبما ذكر «عابد المهذري» في مقالة صحفية له.. https: //ar. wikipedia. org

الجماهير والاتصال بهم من خلال التأويل النضالي للنص الديني، والتركيز على المضمون الاجتماعي للدين المنحاز لمصالح الجمهور، وتوظيف النظام الرمزي للدين وتثوير طاقته الروحية كسلاح فعال لمخاطبة الوجدان الشعبي، وتنمية الوعي وتحريك الجماهير واستعذاب التضحية لتحقيق التغيير المنشود وتقديم النموذج الإصلاحي وتحقيق العدالة الاجتماعية لكل أبناء الشعب اليمني، والذي يُترجم واقعية هذه القيم والمبادئ في فكر أنصار الله.

ومنطق تطور جماعة أنصار الله تحصيلٌ لجدلية الخطاب والواقع، جدلية الأمة (كرابطة روحية تضامنية) والدولة (كرابطة سياسية وقانونية) وجدلية الإسلامي والوطني، فالخطاب هو المحدّد النظري لهوية الحركة، غير أن ظروف وشروط الواقع وبناه ومؤسساته تتدخل في إعادة تشكيل وتطوير البنى الداخلية التنظيمية، وتحديد أولويات الخطاب، وحتى التعديل والتطوير لهوية الخطاب. وبحكم توسع نفوذها وتنامي شعبيتها الجماهيرية وزيادة فعاليتها وصولًا إلى الاشتراك في السلطة، والتحوّل إلى جزء من توازناتها، فإنه وضع أنصار الله أمام تحدّي المواءمة مع استحقاقات الخصوصية الوطنية، وتعقيدات الواقع السياسي وتوازناته، وعلاقته بالفاعلين الإقليميين والدوليين ونحو ذلك، مما يشكل قيدًا صارمًا على تطلعاتها، وموجبات الثقافة القرآنية المعرفة لهويتها الاستراتيجية على المستوى المحلي والإقليمي.

وفي «صيف ٢٠٠٤م، وبسبب ظروف المواجهة التي امتصت معظم اهتماماتهم، تشكلت بُنية تنظيمه ذات طابع عسكري احترفت فيه من ناحية التنظيم ومن ناحية الإنجاز، كما أسهمت في اتساع القاعدة الجماهيرية وتعاظُم نفوذهم السياسي، وصاروا مكونًا اجتماعيًا مؤثرًا

وفاعلًا في المشهد السياسي، وتيارًا سياسيًا يجتذب إليه طيفًا واسعًا من المحازبين والمناصرين، ومع ثورة فبراير ٢٠١١م – والتي تماهت مع ما يسمى بالربيع العربي كان لليمن حصّة في هذا المسار السياسي للخروج على الأنظمة السياسية وتغييرها - دخل أنصار الله مرحلة جديدة ثم ما تلاها ابتداءً من مؤتمر الحوار الوطني، ثم ثورة ٢١ سبتمبر، والإعلان الدستوري والانخراط المباشر في العملية السياسية اليمنية، كل ذلك مثّل منعطفات نوعية وضعتهم في مواجهة استحقاقات سياسية واقتصادية وأمنية لم تكن ضمن أولويات استراتيجيتها الحركية، وأصبحوا مطالبين بالإسهام في مواجهة هذه الاستحقاقات، وتقديم رؤى وبرامج معالجة، والاشتراك في السلطة أو التحوّل إلى جزء من توازناتها فرض عليها برامج ومهمات على المستوى الوطني والانحكام لاستحقاقات الخصوصية الوطنية والمرحلية»[1]، فكان لهذه المحطات السياسية أثر كبير في تطور حركة أنصار الله، وأصبح لها تجربة أكبر في عملها السياسي والاجتماعي في البيئة اليمنية، وساهمت في توسيع دائرتها على المحافظات والمناطق.

بإزاء هذه التطورات المرحلية كانت الحركة تطور بنيتها التنظيمية بما يتناسب وتطور الأحداث وضرورات المرحلة. وكي تحافظ على هويتها كتيار شعبي، وضـرورات التنظيم، سعت قيادة الحركة لاختيار شكل تنظيمي مرن يبعدها عن سلبيات التنظيم الحزبي وانعكاساته على العمل الثقافي والسياسي الشعبي، ويتجنّب الوقوع في إشكالية الانغلاق على الذات والعصبوية الحزبية التي تنشأ بشكل طبيعي من التكتل، ويحصر نشاطها في إطار جمهور عضوي مُغلق.

---

(١) الحوثيون من صعدة إلى صنعاء، تقرير مجموعة الأزمات الدولية، سنة ٢٠١٤م، الصفحة ٦.

يقوم الشكل التنظيمي الحالي لأنصار الله على ثلاث هيئات تنفيذية ترتبط مباشرة بالقيادة العليا لأنصار الله وهي:

- المجلس السياسي: هو الهيئة التنفيذية المعنية بإدارة وتنظيم العلاقات مع المكونات والتنظيمات والأحـزاب السياسية، والهيئات الدبلوماسية والمنظمات الإقليمية، وإعداد مقترحات الخطط، وتقديم التقارير والدراسات والتحليلات السياسية.

- المجلس التنفيذي: ويضم الدوائر ذات الطابع الشعبوي المتعلّق بالقطاعات الجماهيرية؛ كالدائرة الثقافية والتربوية والدائرة الاجتماعية والهيئة الإعلامية وهيئة المرأة وشؤون المحافظات.

- هيئة العمل الحكومي: وهي الهيئة المعنية بالإشراف على كتلة أنصار الله في الهيئات التنفيذية والتشريعية.

٣-١-٣- سياقات التأسيس للحركة

تمثّل حركة أنصار الله كظاهرة ثقافية خطابًا إسلاميًا تجديديًا، إلا أنها كظاهرة اجتماعية لم تنشأ من فراغ، والإحاطة بها في كثير من نواحيها تتوقف على درس سوسيولوجيا الكيان الزيدي في ضوء علاقته بالتحوّلات البُنيوية للمجتمع اليمني، والسياقات المرافقة لنشأتها والمصاحبة لمسار تحولاتها المحلية والدولية والإقليمية في سياق التطور التاريخي الاجتماعي والسياسي بما فيه من صراعات وتحديات تعكس نفسها في خطاب جماعة أنصار الله، وفي أدائها، وتفسيرها للنص الديني.

ونلاحظ أن خطاب السيد الحوثي تبلور على إيقاع السجال البيني العقيم للإحيائية الزيدية، الذي أدّى إلى تعثّر أبرز مشاريع الإحيائية

الزيدية الدينية، وعلى حال الأمّة العربية ككل، خصوصًا في ظل الاحتلال الأمريكي للعراق، والأسئلة التي أثارها الحدث - أحداث ١١ سبتمبر - بخصوص مستقبل المنطقة العربية، واستعادة المسلمين لوحدتهم وهويتهم ومركزهم الحضاري. ولذا من الأهمية بمكان مناقشة دور هذه السياقات في الخطاب، وفي الحركة، وحدود هذا الدور.

وهكذا بدافع الواجب والمسؤولية الدينية والوطنية، ومن منطلق العزّة والحرية والإباء تحرّك أنصار الله مع قيادة كفؤة ومؤهلة ومقتدرة للتحرك بهذا المشروع التغييري الإصلاحي، والوصول إلى أعلى الأهداف والغايات التي تعطي الحقوق لأهلها، وبناء مجتمع إسلامي قائم على العدالة والحرية.

ولذا فإن من يتأمل واقع الأمة بمسؤولية وما تعيشه من الذلّة والهوان يدرك أنها تحتاج إلى حلّ لكل ما تعانيه من تحديات وصعوبات، وعندما يأتي من يقدّم للأمة الحل والمخرج فإن المطلوب من أبناء الأمة أن يتأملوا في ما يقدّمه بجدّية ومسؤولية كبيرة.

والبحث عن أسباب ظهور الحركة يقودنا إلى دراسة الوضع العام للأحداث والمجريات في عالمنا العربي والإسلامي، وخاصّة بعد ظهور الحركات الوهابية والتكفيرية، والصراع الأمريكي ومشروعه الاستعماري في المنطقة، وتصدّي محور المقاومة لقوى الاستكبار والاستعمار الذي استهدف تاريخ وثقافة العالم الإسلامي.

وبعد ظهور معالم المشروع الاستكباري والاستعماري بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية الذي برزت معالمه بشكل واضح وجلي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وبداية احتلال أفغانستان والعراق، وتمهيدًا لمشروع شرق أوسط جديد لمحو الهوية الإسلامية القائمة على العدالة

والتغيير الاجتماعي، وفي خضمّ هذه الأحداث ظهر السيد حسين بدر الدين الحوثي الذي أدرك الخطر والمؤامرة في المنطقة وخاصّة في اليمن كي يتمّ السيطرة الثقافية والاجتماعية على الشعب اليمني، ويصبح شعب بلا هوية اتجه السيد في هذه الحركة التغييرية المناهضة إلى مشروعه الثقافي الاجتماعي لرفع حالة الوعي الديني والإسلامي ولمواجهة الحركات التكفيرية، وهنا كانت البداية لظهور هذه الحركة في الوسط الاجتماعي اليمني.

ولعلّ أبرز الأسباب التي أدّت إلى ظهور حركة أنصار الله في اليمن هي[١]:

أولًا: ظهور الحركات التكفيرية في اليمن وتغذيتها معنويًا وماديًا ووصولها إلى كل بيت ومسجد وجامعة.

ثانيًا: تغذية الحركة الوهابية من أجل تمزيق الهوية التاريخية اليمنية، ودعمها بشكل مباشر من دول إقليمية ودولية مثل السعودية والولايات المتحدة الأمريكية.

ثالثًا: الحيلولة دون تحقيق مشروع الحركة الوهابية بجعل اليمن الدولة الثانية للمذهب الوهابي، وأن يكون جزءًا لا يتجزأ من النظام الوهابي العالمي.

رابعًا: ظهور وبروز مشروع الاستكبار والاستعمار العالمي، وجعل اليمن تحت الوصاية الدولية.

---

(١) يحيى قاسم أبو عواضة، **أنصار الله القيادة والمشروع**، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

خامسًا: حالة الظلم والاضطهاد للشعب اليمني، وقمع الحركات المعادية للحركة الوهابية.

سادسًا: اليقظة العربية والصحوة الإسلامية جعلت حركة أنصار الله تدرك حجم المسؤولية وخطر المرحلة من قبَل دول الاستكبار والاستعمار.

سابعًا: الدعوة للالتفاف حول القرآن الكريم، والسير على هُداه في جميع مناحي الحياة كمنقذ وملاذ أوحد ومنهج شامل مُسدد، فالله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[1].

ثامنًا: بث روح التسامح وتعميق الوحدة بين المسلمين من خلال العمل على التقارب الفكري بإخضاع كل الآراء والأفكار للرؤية القرآنية من خلال الانطلاقة في عمل موحّد قوامه التعاون على البر والتقوى، فالحق عز وجل يقول:

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2].

تاسعًا: السعي لتنفيذ أمر الله سبحانه بتكوين أمّة قوية مؤهلة للدعوة إلى الخير وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق الإصلاح الاجتماعي، ولذا يقول الحق عز وجل:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3].

---

(١) سورة **الإسراء**، الآية: ٩.

(٢) سورة **الأنعام**، الآية: ١٥٣.

(٣) سورة **آل عمران**، الآية: ١٠٤.

عاشرًا: التربية السليمة على أساس ومنهاج واضح وحياطة المسلمين من الثقافة المغلوطة والأفكار المنحرفة، ونشر هدى القرآن عبر كل الوسائل المتاحة، ولذا يقول الحق عزّ وجل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[1].

الحادي عشر: الدفع بالشباب إلى العلم والعمل وتنمية مواهبهم وتوجيه قدراتهم وطاقاتهم في ما يخدم الأمة باعتبارهم طاقتها الكبرى وعماد نهضتها الأقوى الذي يرتفع بها إلى مستواها الحضاري اللائق لتمارس دورها الريادي الذي اختاره الله لها واختارها له.

فأنصار الله يعتقدون أنهم مسؤولون عن حماية الإسلام ونصرة المستضعفين، والعمل على التغيير الاجتماعي للوصول إلى العدالة القائمة على إحقاق الحق، والوقوف في وجه مخططات قوى الاستكبار العالمي، وإعلان البراءة منهم، ومقاطعة منتجاتهم وفضح مؤامراتهم، ومحاربة أفكارهم وثقافتهم التي تهدف لمحو الإسلام المحمدي الأصيل من نفوس المسلمين واستبدالها بالثقافة الغربية المسمومة.

فهم «فكريًا يُقدّسون العلم والمعرفة سواء العلوم الشرعية أو العلوم الحديثة في مجالاتها المتعددة مما يحقق للأمّة التقدّم والتحضّر والتطوّر والرخاء في شتّى مناحي الحياة الاجتماعية، ومبدؤهم على التعايش بسلام مع كل من يحترم فكرهم وقيمهم وهويتهم من أيّ فئة أو طائفة أو ملّة»[2].

---

(١) سورة **ص**، الآية: ٢٩.

(٢) محمد بدر الدين الحوثي، أضواء على المسيرة، موقع أنصار الله، مقابلة صحفية، http: //www. ansarollah. com/.

وعُرف مسار التجربة بعد مرحلة من المخاض السياسي والاجتماعي والثقافي التي مرّت بها حركة أنصار الله، وكان أبرزها استشهاد مؤسسها السيد حسين بدرالدين الحوثي عام ٢٠٠٤ في الحرب الأولى على أيدي نظام علي عبد الله صالح المدعوم سعوديًا وأميركيًا. ثم تولّى قيادة الحركة بعد استشهاده أخوه السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي، ثم بعد ذلك الحروب الستة التي اشتعلت ضدّ أنصار الله، وأخيرًا العدوان السعودي الأمريكي على اليمن، والذي يُعدّ المُنعطف التاريخي الأهم والأبرز في مسارات التجربة عند حركة أنصار الله، والذي سلّط الأضواء العالمية أكثر فأكثر على هذه التجربة.

ونلاحظ أن دوافع مشروعية التحرّك نحو التغيير عند أنصار الله كانت من منطلق قرآني، ومن منطلق المسؤولية أمام الله سبحانه القائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾[١]. وكما قال السيد حسين الحوثي: «أفلا نكون من أنصار الله ولو بكلمة؟ سننصر دين الله وإذا لم ننصر الله ودينه أمام اليهود في مواجهة اليهود فأمام من ننصره؟ أمام من ننصره؟ إذا سكتنا في أوضاع كهذه فمتى سنتكلم؟»[٢].

فكانت الحركة تعمل بكل جهودها كي تقدم النموذج الراقي لهذه المسيرة القرآنية، وكي تحقق أهداف الإصلاح الاجتماعي، فكان تحرّكهم وفق قضية عادلة وموقف مشروع، وبالتالي كانوا يستشعرون مسؤوليتهم أمام الله في أن يقفوا في مواجهة العدو الذي يستهدف الدين ويستهدف الأمّة الإسلامية، ولذا فإن المشروع مشروع متكامل له خلفية ثقافية واجتماعية في مجملها رؤية شاملة لمؤسس الحركة السيد حسين بدر

---

(١) سورة الصف، **الآية**: ١٤.

(٢) يحيى قاسم أبو عواضة، **أنصار الله القيادة والمشروع**، الصفحة ١٦.

الدين الحوثي في الفكر والتطبيق لأدبيات أنصار الله في منظومة التغيير الاجتماعي لكل أبناء الشعب اليمني من خلال المحاضرات والنشاطات الثقافية ومن خلال توضيح الرؤية التاريخية والقرآنية لمشروع أنصار الله.

وقد نجحت حركة أنصار الله في حشد جموع كثيرة من الجماهير اليمنية من جميع فئاتها، رغم كل محاولات التشوية، ومنظومة الإعلام المُعادي والتضليل المُمنهج الذي يُمارسه خصوم الداخل وأعداء الخارج.

٣-٢- المبحث الثاني:
أركان المشروع التغييري عند حركة أنصار الله

عادةً يكون لكل حركة إسلامية رؤية متكاملة في التغيير وآليات الإصلاح. وتعدّ هذه الرؤية جزءًا من أدبيات الحركة ورافدًا من روافد ثقافتها الحركية.

وحركة أنصار الله لم تشذّ عن هذه القاعدة: فهي انطلقت من عنوان تميّزه هذه الرؤية للمسيرة القرآنية، وأنهم يستهدفون تثقيف الناس، وإعادة بناء الأفراد والمجتمع على قاعدة هذه الثقافة القرآنية ومن مشروع تغييري قرآني واضح المعالم.

فما هي أركان هذا المشروع التغييري؟

٣-٢-١- الثقافة القرآنية

حركة أنصار الله في بداية انطلاقها في المسيرة عملت على بلورة مشروعها القرآني بمحافظة صعدة في أوساط طلاب العلم على هيئة محاضرات صوتية كان يلقيها المؤسس للحركة السيد حسين الحوثي وهي مكتوبة ومنشورة باسم «الملازم» وقد اشتملت على عناوين ومواضيع متعددة أغلبها يدور حول القرآن الكريم مثل: دروس آل عمران – دروس

من سورة المائدة – دروس من سورة الأنعام – دروس من سورة الأعراف، الخ.

وقدّم فيها تبيينًا وتوضيحًا وقراءة جديدة ومعاصرة للقرآن الكريم، إضافة إلى عناوين أخلاقية ودينية وعناوين تربوية مثل: «الاستقامة – في ظلال دعاء مكارم الأخلاق – لا عذر للجميع أمام الله – محياي ومماتي لله – مسؤولية أهل البيت عليهم السلام – مسؤولية طلاب العلم – معنى التسبيح – معنى الصلاة على محمد وآله – وأنفقوا في سبيل الله – الاستقامة – الثقافة القرآنية».

وأيضا محاضرات سياسية بعناوين: «خطر دخول أمريكا اليمن – مخاطر المرحلة – ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى – حديث الولاية – يوم القدس العالمي»، وعناوين أخرى عديدة كان يستهلها دائمًا بآيات من القرآن الكريم للدخول إلى الموضوع الذي قد يستغرق الحديث عنه محاضرة أو أكثر حتى يتمّ إشباعه ليؤسس على ذلك نتائج واستخلاصات مقنعة للمجتمع اليمني بجميع فئاته وشرائحه.

وفي هذا السياق أشار السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي قائد حركة أنصار الله في خطابه بمناسبة ذكرى الشهيد حسين بدر الدين الحوثي إلى أن من ميزات المشروع القرآني أنه جاء من منطلق حاجة الأمّة له، قائلًا: «ما تحتاجه الأمّة هو القرآن الكريم كمشروع عملي، كثقافة، كرؤية للواقع، كبصائر تستبصر بها الأمّة، والتحرّك عمليًا بالقرآن ضمن الوظيفة الأساسية للقرآن الكريم باعتباره كتاب هداية يواكب

المتغيّرات، فلا يصح ولا ينبغي تغييبه وعزله أبدًا عن واقع الأمة وعن مشاكلها وقضاياها وصراعها مع أعدائها»[١].

وأكّد السيد على أهمية أن تستعيد الأمّة ثقتها بالله وتوكلها عليه في سيرها وحركتها نحو التغيير والنهوض والتصدّي للباطل. ولقد ربط السيد نجاح المشروع القرآني بالله عزّ وجل الحيّ القيوم القادر المدبّر الحكيم الذي وعد أولياءه بالنصر دائمًا وبالتأييد والهداية الواسعة، ونيل العزّة والكرامة في الدنيا والآخرة

أ. مشروع الثقافة القرآنية من حيث الشكل والوسائل:

استخدم المؤسس السيد حسين الحوثي لغة مبسطة تمزج بين الفُصحى والعامية في دروسه ومحاضراته، بغية كسر الحواجز النفسية والمعرفية مع المتلقين والوصول إلى أوسع شريحة في المجتمع اليمني، ومخاطبتهم بلغة يفهمونها وبأسلوب عميق ومؤثر. وتفرّد السيد حسين بدر الدين الحوثي بأسلوبه في الإلقاء: فهو رصين وهادئ، يسير على وتيرة واحدة من الأداء الذي يشدّ سامعيه ومتلقيه إلى الفكرة والتفاعل إيجابًا مع رصانة وصدق اللهجة، وسلاسة العرض، وعذوبة الصوت، وعمق الفكرة مما أدّى إلى وضوح رؤيته ومنهجيته القرآنية عند جميع اليمنيين في أغلب المحافظات وفي المراكز العلمية والدينية.

ونرى أن حركة أنصار الله، من خلال نشاطاتها في المجال الثقافي، كانت تدرك أهمية الاستفادة من وسائل الحداثة، وأساليب الاتصال العصرية المتاحة كالأشرطة الصوتية والمرئية والكتب المطبوعة في

---

(١) موقع المسيرة نت، https: //www. almasirah. net.

الوصول إلى أوسع شرائح المجتمع، بعيدًا عن الأساليب التقليدية في التأليف والكتابة العلمية، فكانت تدرك الحاجة إلى تغيير الأسلوب لإيصاله إلى جميع فئات المجتمع: هذا المشروع القرآني والثقافة الإسلامية التي قدّمها السيد حسين الحوثي وعرض فيها عُصارة ثقافة علمية وفكرية وسياسية، وخبرات اكتسبها ومشاعر حملها للمجتمع ملؤها الرغبة في الإصلاح والتقدّم والتغيير، ورفض الظلم، والاستبداد، والتخلّف بمعناه الحضاري عبر تقديم القرآن كمنهج قابل للحياة في الواقع.

كما كانت الحركة تدرك أهمية التعبير عن المشروع في النطاق المجتمعي برفع الشعار المعروف بالصرخة في المساجد والمراكز الدينية والاجتماعية، والتي تأتي في إطار إقامة القسط بحسب تعبيرها، وكعمل من أعمال ممارسة حرية الرأي والتعبير السلمية المكفولة دستورًا وقانونًا، للتعبير عن سخط المجتمع ورفضه للسياسات الأمريكية والصهيونية في اليمن والمنطقة والعالم، وخلق رأي عام موحّد حول قضايا الهوية الوطنية وقضايا الصراع مع الاستعمار الجديد الصهيو-أمريكي.

فحركة أنصار الله، كما ظهرت من خلال ما قدّمه المؤسس السيد حسين بدر الدين الحوثي، لم تأت من فـراغ، بل جـاءت تعبيرًا عن أصالة الثقافة القرآنية الحركية، وعن الفكر الإسلامي وحيويته وخصوبته في اليمن، وعن حاجة كانت قائمة في الواقع تتجاوز الإطار المذهبي والطائفي لتخاطب المجتمع الإسلامي والإنساني بمنطلقاتها القرآنية الجامعة، وأطروحاتها الجريئة في إعادة الدور للقرآن الكريم والسُنة النبوية الصحيحة في رسم معالم التغيير والنهوض الشامل للوطن والأمّة، كما أنها كانت استجابة أمينة وواعية إسلامية ووطنية فرضتها الظروف والمتغيّرات السلبية التي عصفت باليمن والمنطقة ووضعتها في عين

العاصفة ولا تزال، فكانت الثقافة القرآنية هي المشروع التغييري الأساس في الإصلاح الاجتماعي لكل أبناء الشعب اليمني.

ولو قُدّر لحركة أنصار الله «أن تُقرأ مسيرتها القرآنية قراءة صحيحة بعيدة عن التشويه والتضليل كحركة ثقافية قرآنية لا تتوسّل العنف كوسيلة للتعبير عن ذاتها، ولا تطمح إلى الوصول إلى السلطة، ولا أن تعيد إنتاج الإمامة كما زعمت السلطة في التبرير لحروبها الست الظالمة، لكانت اليمن قد تجنبت حروبًا وضحايا وعذابات لا تزال مستمرة، ولكان الواقع اليمني أقل احتفاء بالعنف والتوترات المذهبية والإعلامية، ولكانت الصورة اختلفت لدى الكثيرين الذين انطلت عليهم دعايات السلطة المضلّلة عن حقيقة أنصار الله ومشروعهم الثقافي المستمدّ من القرآن الكريم الذي يؤمن به الجميع ويدّعون حجيته وقدّسيته، ولكانت الحركة ومشروعها الثقافي القرآني محل حوار سياسي وثقافي مجتمعي واسع تستخدم فيه الحجج والبراهين والأدلة وليس الرصاص والحروب والاعتقالات والحصار والتشويه والتربّص والعداء السياسي والمذهبي والعنصري المستمر الذي ينبغي أن يتوقف بعد أن أدّى للأسف إلى كوارث وويلات ودماء لا تزال تنزف حتى اليوم نظرًا للمؤامرات الدولية الكبرى على الشعب اليمني المناهض للعدوان»[1].

ب. مرتكزات المشروع الثقافي لحركة أنصار الله:

ويمكن أن نُفصل هذا العنوان الكبير للمسيرة الثقافة القرآنية في العناوين الآتية:

---

(١) محمد المنصور، «أنصار الله أصالة الرؤية وحداثة المشروع»، مقال في موقع الدائرة الثقافية لأنصار الله: http: //www. d-althagafhalqurania. com

١- الدعوة لإعادة الاعتبار للقرآن الكريم والالتفاف حوله وحول من يهتدون بهديه وتنزيله في الواقع الحياتي بشتّى جوانبه لكي يسود العدل ويُزال الظلم والتخلّف والفقر والاستبداد والتبعية لقوى النفوذ والهيمنة وفي طليعتها أمريكا والصهيونية.

٢- الاعتقاد أنّ الله سبحانه وتعالى جعل الدين الإسلامي كاملًا وهو وحده من يستطيع أن يضع دينًا كاملًا، يوفق بين مختلف جوانب الحياة والتعامل، تعامل الإنسان مع الإنسان، وتعامله مع الحياة بصورة عامة، وفي نفس الوقت بناء روحه وزكاء نفسه وطهرها وسموها وتكاملها.

فيقول السيد حسين الحوثي في محاضرته - خطورة المرحلة - «الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم باعتباره كتاب حياة، كتاب تربية، كتاب عمل، شهد على أن هذا الكتاب يستطيع أن يخلق روحًا عالية من خلال ما نشاهده من نظرة أولئك العظماء مثل الأنبياء عليهم السلام، كالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكالإمام علي عليه السلام، وكالحسن، وكالحسين، وأمثالهم من العظماء»[١].

٣- القرآن الكريم هو الذي يستطيع أن يبني أمّة قويّة واحدة امتثالًا لقولة تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾[٢] ، وعلى ضرورة تجاوز المذهبيات التي عمقت الفرقة وكرّست الانقسام والتشرذم الذي جرى استغلاله من قبل أعدائها أسوأ استغلال.

---

(١) السيد حسين الحوثي، محاضرة خطورة المرحلة.

(٢) سورة **آل عمران**، الآية: ١٠٣.

٤- الإسلام دين ودولة جعله الله نظامًا شاملًا للحياة كلها لم يغفل جانبًا من جوانبها ولا شأنًا من شؤونها، ولا يقبل الظلم ولا يمكن للظالمين والمستبدين أن يتحكموا في رقاب الأمّة، وأن النظرة التجزيئية للدين نظرة قاصرة وهي ما أعاق بناء الواقع الإسلامي بكل جوانبه وأركانه.

٥- الدعوة إلى تبنّي الثقافة القرآنية لتحصين المجتمع من عوامل الفرقة والشتات والتفرق، ووجوب البراءة من أعداء الله والإنسانية، مع الدعوة إلى التسامح والتعايش مع كل المكونات الوطنية السياسية والفكرية والإيمان بالحوار لحل كافة المشكلات السياسية والاجتماعية والفكرية.

٦- تأصيل الهوية الإسلامية الجامعة في مواجهة مساعي طمسها وإبراز الهويات الجزئية الطائفية منها والسياسية والجهوية والعرقية التي استفاد منها الأعداء.

جوهر مشروع المسيرة القرآنية هو التثقيف والإصلاح الديني والثقافي؛ لأن في حقيقتها هي حركة استنهاض للأمّة في مواجهة أعداء حقيقيين واضحين مكشوفين لا لبس في أمرهم ولا غموض في عداواتهم للإسلام مما يجلعها تتماهى مع الدعوة النبوية الأولى ومسيرتها القرآنية التأسيسية التي واكبت نزول الوحي، والقرآن الكريم في كل معالمه ومراحله - في أنبيائه ومقدساته - كان حريصًا على استنهاض روحية المسلمين وإعطائهم المقومات الأساسية لوصولهم إلى الحياة الكريمة التي تحفظ لهم عزتهم وكيانهم في المجتمع.

٣-٢-٢- قراءة الواقع وفهم حال الأمة

قادة أنصار الله يدركون جيّدًا أن أحد مفاتيح نجاح المسيرة القرآنية في أن نستوعب البيئة، ونفهم الوضع القائم، وأن نقرأ قراءة صحيحة واقع الأمّة، ونستلهم من القرآن الحلول التغييرية لواقع المجتمع اليمني.

ولقد أظهر السيد المؤسس حسين الحوثي مشروعه النهضوي القرآني بعد تجربة ثرية وخصبة في العمل السياسي والبرلماني والتربوي والمجتمعي، وهو ينطلق من خلفية معرفية دينية وعلمية وأكاديمية مرموقة، وبعد تأمّلات عميقة في واقع المجتمع اليمني والأمّة وطول نظر واستقراء لواقع الوطن والأمّة ومن خلال عملية بحث عن سبل الخروج من هيمنة الواقع المحبط الذي يدعو المخلصين وحملة الفكر الرسالي وأصحاب الضمير الإنساني اليقظ إلى المبادرة. في تلك المرحلة المفعمة بالصعاب والتحدّيات والمخاطر قدّم السيد الحوثي مشروعه القرآني في صورة محاضرات متتالية في الفترة من ٢٠٠٠م وحتى ٢٠٠٤م وهي عبارة عن قـراءة توعوية – إذا جاز التعبير – لنصوص من القرآن الكريم تعيد الاعتبار إلى أهمية دور القرآن الكريم المركزي في الواقع كمنهج ربّاني للهداية والسعادة والتقدّم، وتشريع متكامل للحياة بمختلف جوانبها، ومنظومة للأخلاق والتربية الاجتماعية والنفسية، ودليل عمل وحركة في الحياة والعلاقات يشخص مكامن القوّة والفاعلية والنجاح، ويُشخص مواطن الضعف والأدواء والعلل التي اعترت المجتمع والأمّة وجعلتها أسيرة التخلّف والاستبداد والفقر والتردي الفكري والثقافي، مستباحة وضعيفة أمام أعدائها، مبينًا سبل المعالجة القرآنية لتلك المشكلات والخروج من حالة الضعف والوهن والتبعية والهزيمة والتخلف الشامل.

وعلى ضوء الهدي القرآني استقرأ السيد حسين بدر الدين الحوثي إشكالات الواقع، في أطره المحلية والوطنية والإسلامية والإنسانية، مقدّمًا ملامح النظرية القرآنية للمعالجة، وسبر جوانب الخلل التي اعترت الواقع الفردي والجمعي للأمّة، مُبينًا سبل الخروج من المأزق، باعتبار القرآن الكريم كتاب هداية شاملًا للحياة ومنهجًا للتفكير والحركة والموقف مضمون النتائج إذا ما تمت ترجمته في الواقع العملي إلى مصاديق ومواقف وسلوكيات ناظمة للحياة الخاصة والعامة.

ويرى أن الأمّة الإسلامية مُخاطبة من الله بالقرآن ومُتعبّدة بالايمان الكامل بما جاء فيه ومُكلّفة باتباع منهجه وهديه وتعاليم وهدي الرسول الكريم محمد ﷺ ، مؤكدًا على أن كل معاناتها وإحباطاتها أو هزيمتها في واقعها الداخلي أو الخارجي أمام الأعداء إنما هو نتيجة ابتعادها عن القرآن الكريم، وعن الثقافة الإسلامية السليمة، وعن منهج النبي ﷺ ومن يهتدون بهديه، وهي كذلك عرضة للحساب الأخـروي جراء ذلك الإعـراض عن النهج الإلهي والتفريط. مدللًا على ذلك بآيات القرآن، وبأمثلة من الواقع وبإشارات مستقبلية عن مآلات بعض القضايا التي ثبتت صحتها. كما تطرق السيد حسين الحوثي في ثنايا مشروعه الثقافي القرآني بشيء من النقد والتحليل إلى خطأ انصراف الأمة إلى الأخذ بنظريات وثقافات أخرى غير إسلامية ثبت فشلها في الواقع وكانت سببًا إضافيًا في ما تعيشه من جهل وشقاء وضياع وتبعية وهزيمة حضارية شاملة.

وفي منطلقات المشروع الثقافي لأنصار الله الدعوة إلى التغيير الاجتماعي والثقافي، وإلى إثبات أصالة النظرية القرآنية في فهم الواقع وتغييره والانطلاق نحو مستقبل منشود، وتفكيك منظومات التفكير

السائد وإعادة بناء أنساق معرفية وعلمية تتماشى والنظرية القرآنية لبناء الحياة الكريمة حياة العزة والحرية والسمو الروحي والاستقلال الوطني والشعبي.

ونلاحظ أن حركة أنصار الله سعت في ثنايا المشروع القرآني إلى إعادة تصحيح المفاهيم والمصطلحات حول الأمور الفكرية، وبعض مسلمات التراث الفقهية والكلامية التي اعتبرها المجتمع عائقًا أمام فاعلية المفاهيم القرآنية، وسعت إلى تسمية الأشياء بمسمياتها القرآنية، وبمنهجية علمية فيها من الصرامة والدقة والصدق مع الذات ومع الآخرين ما جعل المجتمع اليمني مستشعرًا الخطر المُحدق بالأمّة ومُستقبلها إذا ما ظل الواقع على ما هو عليه من سوء، مؤكدة على أهمية إعادة بناء الشخصية الإسلامية للفرد والجماعة وربطها نفسيًا وفكريًا وسلوكيًا بالنظرة القرآنية ومُحدداتها بدءًا من وجوب معرفة الله حقّ المعرفة، وانتهاء بالموقف السياسي العام من مختلف التحدّيات القائمة في واقع المجتمع والشعب والأمّة، بما في ذلك دعوته الصريحة والأساسية للفرد والمجتمع والدولة إلى إسقاط نظرية الخوف من غير الله نهائيًا، وصولًا إلى تصحيح العلاقة المُختلّة والاستلابية اليوم مع الآخر – اليهود والنصارى بالمفهوم القرآني وأمريكا والكيان الصهيوني بالمفهوم السياسي الحالي – الذي يمارس الاستلاب والاستضعاف والظلم بحقّ أمتنا وقضاياها السياسية والاقتصادية والثقافية، ويتجلّى ذلك جليًا وواضحًا في التدخلات العسكرية والأمنية والسياسية في شؤوننا الوطنية، وفي دعم الكيان الصهيوني التوسعي العدواني في فلسطين، أو غزو العراق وأفغانستان، وما نجم عن ذلك من آثار ونتائج سلبية أثرت على الأمة الإسلامية، وأعطت تصورات مختلفة حول القيم الدينية للمجتمعات الإسلامية.

ونرى أن في مشروع أنصار الله الثقافي شرحًا وتوضيحًا دقيقًا لأبعاد الصراع الحضاري والثقافي الشامل بأبعاده السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية والثقافية المفروض على العرب والمسلمين من قبل اليهود والنصارى تاريخيًا منذُ مراحل النبوءات وحتى اليوم، مستعرضًا طبيعة الصراع وأدواته وأساليبه من خلال ما يعرضه القرآن الكريم بصورة لافتة ومكثفة وجلية توضح مقدار ما يكنه اليهود والنصارى من عداء وتربّص بالإسلام وأتباعه، منبّهًا ومحذرًا من خطورة الحالة التي أصبحت عليها الأمّة في علاقة التبعية بتلك القوى على الرغم من التحذير القرآني والنهي الصريح عن ذلك المسلك الذي يجر إلى الانسلاخ من معنى الإسلام والوقوع في الكفر لقوله تعالى:. ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾[1]، ومُعيدًا طرح المفهوم القرآني في الموالاة والمعادة مؤكدًا على خطورة انقياد واتباع المسلمين لهم وموالاتهم بما لذلك من نتائج سلبية خطيرة حاضرة وملموسة على كل الأصعدة المحلية والعربية والإسلامية، مركزة بشكل خاص على الإنسانية وعلى مخاطر ما هو حاصل في اليمن من تدخلات أمريكية متعددة الصور والأشكال بخاصة منذُ أحداث ١١سبتمبر٢٠٠١م.

وبناءً على تلك الوضعية المخالفة للقرآن الكريم في علاقة اليمنيين والعرب والمسلمين بأمريكا والصهاينة ترى حركة أنصار الله أنّ ما تعيشه الأمّـة من تخلّف وفرقة وشتات واستضعاف وغزو واحتلال لأوطانها وشعوبها ومقدراتها هو نتيجة حتمية لذلك المنزلق الذي وصلت إليه بقبولها التبعية لمن حذّر القرآن ونهى عن موالاتهم والذي ترتب عليه خذلان إلهي، وفشل ومحن ونكبات وهزائم على مختلف الصعد والقضايا.

---

(١) سورة **المائدة**، الآية: ٥١.

وفي هذا السياق يقول السيد حسين بدر الدين الحوثي ملخصًا تلك الأبعاد في محاضرته الصرخة في وجه المستكبرين بتاريخ ٢٠٠٢/٢/١٧م «ما يفرضه علينا ديننا، ما يفرضه علينا كتابنا القرآن الكريم من أنه لا بدّ من يكون أن لنا موقف من منطلق الشعور بالمسؤولية أمام الله سبحانه وتعالى، نحن لو رضينا - أو أوصلَنا الآخرون إلى أن نرضى - أن نقبل هذه الوضعية التي نحن عليها كمسلمين، أن نرضى بالذل، أن نرضى بالقهر، أن نرضى بالضّعة، أن نرضى أن نعيش في هذا العالم على فتات الآخرين وبقايا موارد الآخرين، هل يرضى الله لنا عندما نقف بين يديه السكوت؟... ألم تسمعوا مثل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[٢]، ومثل قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٣]؟ فإذا رضينا بما نحن عليه وأصبحت ضمائرنا ميّتة لا يحرّكها ما تسمع ولا ما تحسّ به من الذلّة والهوان، فأعفينا أنفسنا في هذه الدنيا فإننا لن نُغفى أمام الله يوم القيامة. لا بدّ للناس من موقف أو فلينظروا ذلًا في الدنيا وخزيًا في الآخرة»[٤].

ونرى أن حركة أنصار الله تنطلق في رؤيتها ومشروعها الاستنهاضي من القرآن كمنطلق ومنهج لتشخيص ونقد بعض عثرات الماضي والواقع المعاصر للأمّة وسلبياته وأخطائه وانحرافاته وشواهده وقضاياه من

---

(١) سورة **آل عمران**، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة **آل عمران**، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة **آل عمران**، الأية: ١٠٤.

(٤) محمد المنصور، «أنصار الله أصالة الرؤية وحداثة المشروع»، مقال في موقع الدائرة الثقافية لأنصار الله: http: //www. d-althagafhalqurania. com.

منطلق النظرة التي عبّرت عنها على الصعيد النظري الكثير من التيارات والحركات السياسية القومية واليسارية والإسلامية، وإيمانًا منها بمبدأ التغيير والاستقلال والنهوض الحضاري الوطني والقومي والإسلامي الذي يستحيل أن يتحقق من خلال التبعية واستجلاب الأنماط الثقافية النظرية الجاهزة، وهذا ما تؤكده التجارب العربية الفاشلة في النهضة. بهذا المعنى فإن أنصار الله لا يدعون إلى القطيعة والعداء مع الشعوب الغربية بل يدعون إلى استقلال الإرادة والقرار الوطني كسبيل لصنع النهضة واستبدال التبعية بالعلاقات المتكافئة وتبادل المنافع بين الشعوب ورفض العدوان والظلم بكل أشكاله وصوره.

وفي ثنايا البحث عما يؤكد صدق الوعد الإلهي، وتجلّياته القرآنية عبر أحداث التاريخ ودروسه لكي يظهر النقاط المضيئة في واقع الأمّة المعاصر من خلال القرآن يتحدّث السيد عن تجلّي وعد الله عزّ وجل بنصر المؤمنين على قلّتهم؛ فلقد نصرهم في بدر، والأحزاب، وغيرهما. كما يشير إلى استمرار التأييد والعون الإلهي في واقعنا المعاصر المتمثّل في انتصار حركات المقاومة في فلسطين، ولبنان، ويشيد بنجاحاتها في مقاومة العدو الصهيوني رغم فارق الإمكانات الهائل لصالح العدو. كما لا يخفي السيد إعجابه بالثورة الإسلامية الإيرانية وقائدها الإمام الخميني «رضوان الله عليه» في ثورته التي حطّمت أسطورة الشاه وأمريكا وحرّرت إيران من التبعية الأمريكية والصهيونية. ويُشير إلى ما حققته الثورة من إنجازات حضارية للشعب الإيراني رغم الحصار والاستهداف الذي واجه الثورة. وكثيرًا ما لفت السيد حسين بدر الدين الحوثي في ثنايا محاضراته إلى الدور الذي ينبغي لليمنيين والعرب والمسلمين القيام به في نصرة الإسـلام وحمله إلى العالمين ومقاومة الهيمنة الأمريكية الصهيونية

مؤكدًا على الوعد الإلهي بالنصر في نهاية المطاف لعباده المؤمنين المستضعفين مهما كان الفارق في عوامل القوة المادية.

والسيد حسين بدر الدين الحوثي كان يحمل همّ الأمّـة وهي تُستهدف في كل شـيء، وهو يمتلك كل مواصفات المفكر الناقد المستشعر للمسؤولية الدينية والوطنية والاجتهاد النابع من داخل ثقافة الأمّة، ومرجعيتها الدينية والفكرية، وعمق انتمائها الثقافي المتطلع ليس إلى إعادة إنتاج الماضي، وليس إلى القطيعة مع الحاضر أو التنكر للعصر وحقائقه التي يجب أن تضاعف الحركة والسير نحو المستقبل بل إنه تحرك من أجل قضية عادلة صحيحة ليستنهض الأمّة التي ينتمي إليها باعتباره فردًا منها يشعر بالمسؤولية الدينية والوطنية تجاهها، في زمن عصيب ومرحلة صعبة، وكان فشل العديد من الأطروحات والسياسات في الواقع الذي يزداد بؤسًا من بين عديد من البواعث للسيد حسين الحوثي إلى الدفع بمشروعه الثقافي القرآني إلى العلن كما عبر عنها في ثنايا ذلك المشروع.

٣-٢-٣- قيادة المشروع

الركن الثالث من أركان المشروع التغييري للحركة هو القيادة، فقد تميّزت قيادة أنصار الله الحكيمة، متمثلةً بالسيد حسين بدر الدين الحوثي، ومن بعده السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي بالتجرّد عن كلّ الأطماع المادّيّة والسّلطويّة، وكانت تملك صفات ومميزات قرآنية أبرزها العلم، والزهد، والتواضع، والفقاهة، وصلابة المواجهة مع الأعـداء، وصدق التعامل مع الناس، والاهتمام بقضايا المستضعفين، والمشاركة مع المجاهدين في ميادين الجهاد، وكانت انطلاقة خالصة لوجه الله لا تشوبها أيّ شائبة. وكان المؤسس السيد حسين الحوثي على قناعة تامّة،

وثقة مطلقة بأحقيّة وعدالة وأهميّة المشروع القرآني، ويطمئن النّاس بشكل مستمر إلى أنّ عملهم هو العمل الصحيح الذي تتطلبه المرحلة، وتفتضيه المصلحة العامّة للشّعوب والحكّام، مهما كان مستوى الضجيج، وحجم الحملات المضادة، وكان المؤسس حسين الحوثي على معرفة وإدراك أنّ النّاس قد تأهلوا من قبل الله وحضوا بتوفيقه لأن يكون لهم عمل في سبيل الله، ونصر دينه، وهداية عباده، فيقول:

«نحن بحمد الله ربما قد تأهلنا إلى أن يكون لنا عمل يكون له أثره في مجال هداية الناس، وإنقاذ الناس، ولن ننطلق في حديثنا إلى التحامل على أحد من الآخرين من أبناء هذه الطائفة لا عالم ولا متعلم ولا مدرسة، ولا شيء، همنا هو: أن نعمل في إصلاح الناس، ولا نبالي إذا كان هناك من يعارض؛ لأننا كما عودنا أنفسنا على ألا نبالي بمن يعارضنا، فكم قد حصل في الماضي وإلى الآن معارضة طويلة ومستمرة لم نكن نكترث، هذا شيء طبيعي قد يحصل لأي إنسان ينطلق في عمل أن يلقى من يعارضه سواء وأنت في طريق الحق أو في طريق الباطل ستلقى من يعارضك، تلقى من يشاققك، تلقى من يتكلم عليك، تلقى من يشوه عملك، من يعمل على الحط من مقدار عملك، بل قد تلقى من يكفرك أو يفسقك، أو كم من العبارات تنطلق لنصل إلى اهتمام يكون أكثر من اهتمام الكافرين بالنسبة للمضلين، أليس هؤلاء الكافرون حكى الله عنهم بأنهم أصبح لديهم اهتمام أن يجعلوا المضلين تحت أقدامهم؟ فنحن من يجب أن نسعى إلى أن نجعل المضلين تحت أقدامنا، وإن لم يكن بمعنى الكلمة حقيقة؛ فليكونوا منبوذين هم وضلالهم، وكل ما يأتي من لديهم لا قيمة له عندنا، أي ولو مجازًا تحت أقدامنا أي: لا قيمة له ولا اعتبار له، ولا نتأثر به ولا نلتفت إليه، ولا نتركه أيضًا يؤثر في الآخرين، وأن يكون كل شخص منا إذا ما سمع من آخر تنبيهًا له على أن يبتعد

عن فئة ضالة فيقال له: هذه الفئة ستضلك، أو شخص سيضلك أن يهتم بالمسألة، ولاحظ هنا هم كيف حكى الله عنهم أن اهتمامهم وصل إلى درجة أنهم يريدون أن يعرفوا حتى من أضلهم من الجن وليس من الإنس ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾[1]..»[2].

وكانت قيادة أنصار الله تشحذ الهمم وتقوّي العزائم، وتحثّ النّاس على ضرورة التفاني والمثابرة في حمل هُدى الله، ونشره بين عباده، وإدراك أهميته، وقيمته، ونعمته، وتدعو إلى ضرورة الاهتمام بالنّاس، وتقديم هدى الله إليهم، فيقول السيد المؤسس في هذا السياق[3]:

«وإذا كنت ترى نفسك في نعمة أنك تسير على طريق هداية، أنك تتعرف على المضلين، وتعرف إضلالهم، وترى نفسك بأنك بحمد الله أصبحت في طريق الابتعاد عنهم، فإن من واجبك أن تهتم بالآخرين، وهذه هي روحية الأنبياء، وروحية النبي محمد ﷺ الذي كان حريصًا على هداية الآخرين، حريصًا جدًا ومهتمًّا جـدا، يجب أن نتأسى به، وأن نقتبس من روحيته هذه الروحية العالية، أن يكون لديك اهتمام بالآخرين، الآخرون هم مثلنا قد يكون الضلال انطلى عليهم؛ لأنهم لم يعرفوا، ولم يأت أحد يعرّفهم، ولم يأت أحد يبين لهم».

والجدير بالذكر أن حركة أنصار الله ومشروعها القرآني انطلقت من الصفر وهي لا تمتلك أيّ مقوّمات ماديّة، وإنّما بتمويل ذاتي بحت ومحدود، فكان المصدر الوحيد لتمويل المشروع ونهضته هو الإسهامات

---

(١) سورة **فصلت**، الآية: ٢٩.

(٢) حسين الحوثي، محاضرة دروس من هدي القرآن، الدرس العاشر.

(٣) حسين الحوثي، محاضرة معرفة الله وعده ووعيده، الدرس العاشر.

والمشاركات المجتمعيّة المحدودة التي كان يبذلها ويقدّمها السابقون من حملة هذا المشروع والمؤمنون به، فكانت تؤسّس الجمعيّات الاجتماعيّة، وتجمع المساهمات الشّهريّة واليوميّة، فكانت الملازم وشعارات الصّرخة والمقاطعة تنشَر وتوزع في كلّ مكان وعلى كلّ النّاس. أمّا على صعيد ومستوى الإعـداد العسكري فكان كلّ فرد يقوم بتسليح نفسه وشراء السّلاح الشّخصي والذّخيرة بالقدر المستطاع والممكن إيمانًا بضرورة إعداد العدّة المستطاعة من منطلق الاستجابة لتوجيهات الله سبحانه وتعالى. وكان القائد المؤسس يحثّ على إعداد العدّة بالقدر المستطاع، ويحثّ على نشر الدّروس والمحاضرات والشّعار وتوزيع الأشرطة، بالجهود الذاتية. وكانت هذه الدعوات تحظى بسرعة الاستجابة والقبول. ورغم ضعف وضآلة القدرات والإمكانات المادّيّة، إلاّ أنّ هذا المشروع وقيادته يمتلكون أقوى وأعظم الإمكانات، والمقوّمات، والطاقات المعنويّة والإيمانيّة التي أهلتهم لخوض معترك التّحدّيات بقوّة وعزيمة وإرادة منقطعة النّظير. وكان السيد المؤسس يحثّ على أهميّة استشعار نعمة وعظمة الهدى، ويدرك أهميّة هذا العمل القرآني وتفرّده وتميّزه على مستوى السّاحة كلّها؛ ففي الدّرس العاشر من دروس معرفة الله يقول السيد المؤسس:

«فالذي ينبغي علينا هو أن نهتم بهذا الجانب، أن ننشر ... فكلنا في هذا [المجلس]، نحن نبحث عن الهدى أليس كذلك؟ ونحن نتعرف على المضلين، ونتعرف على من أضلانا هنا في الدنيا أليس كذلك؟ إذًا من واجبنا وفضيلة عظيمة لنا أن نكون سبّاقين إلى أن نعمل أيضًا في إيصال ما عرفناه من الهدى، إيصال ما فيه إنقاذ الآخرين من الضلال، أن نعمل بجد على إيصاله إليهم، نجمع كل ما أمكن من الأشخاص الذين يهتمون بالنشر نشر الأشرطة [الفيديو] أو [الكاسيت] تنشر، وأعتقد باعتبار أنها

طائفة واحدة [زيدية] يتقبلون من بعضهم بعض فيكون لكل واحد منا فضيلة أن يهدي الله على يديه ولو شخصًا واحدًا من الناس، هذه فضيلة عظيمة، ويكون الناس هنا في هذه المنطقة هم السبّاقون [السبّاقين] في مجال توعية الآخرين، وهدايتهم وإنقاذهم من الضلال، ولأننا نجد فعلًا وليس ادعاء شيء لأنفسنا لا نجد في الساحة عملًا بالشكل المطلوب لإنقاذ الناس من الضلال، هل تسمعون من التلفزيون شيئًا؟ أو تسمعون من الإذاعات شيئًا، أو حركة أخرى؟ هناك حركات أخرى إما حركة علمية منزوية على نفسها داخل مركز، أو مسجد فقط، أو حركة علمية تعمل في جانب وتخرب في جانب آخر، ممن ينطلقون لتحذير الناس من الشباب المؤمن والكلام فيهم وفي العلماء الذين ينتمون إليهم، وهذا نفسه جزء من الإضلال»[1].

وهنا تتجلّى القيادة الحكيمة والرشيدة في مشروع أنصار الله وتقديم الرؤية المتكاملة من الناحية الثقافية والاجتماعية والسياسية لكل فئات المجتمع اليمني.

(١) حسين الحوثي، محاضرة معرفة الله، الدرس العاشر.

٣-٣- المبحث الثالث:
التغيير والعمل السياسي عند أنصار الله

قادت التطورات والتحوّلات التي شهدتها الساحة اليمنية حركة أنصار الله للحضور بفعالية في مُعترك العمل السياسي، وخوض غمار معادلات الصراع داخليًا وخارجيًا. وكان لهذا الحضور مقتضياته الأساسية والمتمثلة بالشعار والخطاب. ولما كانت الحركة إسلامية تتسم بالأصالة الفكرية والروحية لم يكن الشعار والخطاب منفصلين عن خصوصياتها الفكرية، والقيم الحضارية التي تؤمن بها، من هنا نراها تستند إلى نظام معرفي حرص السيد حسين بدر الدين الحوثي أن يعرضه للناس منذُ خطواته الأولى في النضال السياسي والاجتماعي.

وفي هذا المبحث نحاول أن نعالج هذه العناوين الثلاثة:

٣-٣-١- أركان العمل السياسي لحركة أنصار الله

أولًا: النظام المعرفي في منهجية أنصار الله

دعا السيد حسين الحوثي إلى ضرورة بناء نظام معرفي يعيد تصحيح علاقتنا بالقرآن، ومكانته المعرفية، كسلطة معيارية ومرجعية عُليا، ولا

يستمدّ أدواته من مصادر خارجية، مؤكدًا أن القرآن ينتج نظامه المعرفي الخاصّ، أو ما يسميه نواميس أو سُنن الهداية في الخطاب القرآني، فيقول: «نريد أن نتعلّم من خلال القرآن الكريم أساليب القرآن، ومنهجية القرآن الكريم. هذا ممَّا يحتاج إليه الإنسان بالنسبة لنفسه، ومما نحتاج إليها في تعليم الآخرين في تعليم الناس نفس أسلوب القرآن في الخطاب»[١].

المنهج المعرفي القرآني ليس مجموعة من القواعد العقلية واللغوية والعرفية - كما تضمنتها كتب الكلام وأصول الفقه - التي تنظم المعرفة الدينية بقصد التعرف على الأحكام الشرعية الخمسة، بل رؤية كُلية تقدّم تصورًا عن الله والرسول والكون والحياة والإنسان والقرآن من حيث طبيعته أو هويته الأصلية، ووظائفه، ومصدره، ومجالاته، وأهدافه، وأساليبه، والمخاطبين به، تمثل الإطار الفلسفي للمنهج، وتؤصل لكيفية علاقة المسلمين بالنصّ القرآني وعلاقته بالواقع وضوابط القراءة بالمعنى الأوسع باعتبارها فعلًا معرفيًا يشمل تفسير الرسوم والرموز، والنصوص والأحداث. يقول السيد حسين الحوثي: «ميدان القرآن الإنسان والحياة، فإذا كان هناك توجيه معين؛ فاعرف أنّ القرآن نفسه له رؤية، هو يريد أن يبني الإنسان على نحو معين، له مقاصد»[٢]. وفي موضع آخر يقول: «المنهجية القرآنية، عندما تقدم الأحكام التشريعية التي هي محط اهتمام الناس تقدمها في ضمن المواضيع الكبرى، هدى الله - سبحانه وتعالى - الذي يأتي في نفس الوقت يهدي بتبيين ويهدي في إعطاء منهج لحركة الناس أن يكونوا مؤمنين بالقسط، أن يكونوا مصلحين في

(١) حسين الحوثي، محاضرة من هدى القرآن، سورة **البقرة**، الدرس الثالث.

(٢) حسين الحوثي، محاضرة من هدى القرآن، سورة **النساء**، الدرس الثامن عشر.

أرضه...، القرآن الكريم كيف منطقه؟ كيف أسلوبه؟ أليس هو يعطيك الرؤية الشاملة، ويقدم القضايا أمامك مترابطة؟»[١]، في إطار الرؤية الشاملة بينما رؤية أصول الفقه رؤية تجزيئية، كل قضية بخصوصها ويرى هذه القضية وحدها، وتلك وحدها، وتلك وحدها في معظم ما قدم. وهذه النظرة التجزيئية - كما يرى السيد الحوثي - تؤدي عادة إلى نتائج متضاربة، لا تنسجم في كثير من الأحيان مع أهداف القرآن في بناء الإنسان وبناء الأمّة.

ونلاحظ أن منهج وحركة المسيرة القرآنية ليست عبارة عن قواعد مُقننة؛ إنما أفكار مبثوثة في معظم المحاضرات والدروس لا سيما (دروس رمضان) التي ركزت على موضوع المنهج، لذلك يجد الباحث صعوبة في تكثيفها وعرضها في ترسيمات جامعة، أو قواعد مضبوطة، كما أن تفاصيلها، والأسئلة التي يمكن أن تثيرها، أوسع من استيعابها في دراسة كهذه. وعلى أساس القيمة المرجعية للقرآن وفقًا للسيد حسين الحوثي سنتناول أهم الأسس التي يرتكز عليها النظام المعرفي عنده، وما ينبثق عنها أو يتأسس عليها من قواعد منهجية تضبط العلاقة بالنص القرآني من جهة وتنظر العلاقة بينه وبين الواقع من جهة أخرى.

وما طرحه السيد الحوثي في هذا المجال في كثير من جوانبه صادمٌ وخارجٌ عن المألوف سيما التراثي؛ فهو يهزّ بجرأة نظامًا معرفيًا استقر عند المسلمين منذُ عصر التدوين ويدعو لإسقاطه وإعادة مراجعته كشرط لتحقيق الخلاص الإسلامي، وبلا شك سيثير الكثير من الأسئلة وردود الفعل المتباينة، كما ستبقى جملة من الأسئلة معلقة بانتظار الإجابة. وبطبيعة

(١) حسين الحوثي، محاضرة من هدى القرآن، سورة **الأنعام**، الدرس الرابع والعشرون.

الحال ليس من أهداف هذه الدراسة الحكم على حركة أنصار الله في التغيير والعمل السياسي سلبًا أو إيجابًا بقدر ما نقصد إلى إبراز القضايا التي تعدّ في صميم الخطاب، وقد لا يكون من السهل تقبل كل ما طرحه لكنه في الحدّ الأدنى يشكل الكثير من المسلمات ويضعها على طاولة المراجعة والنقد بشجاعة وجُرأة.

ثانيًا: الشعار

شعار حركة أنصار الله بمُجمل مفرداته الثابتة وهو:. (الله أكبر - الموت لأمريكا - الموت لإسرائيل - اللعنة على اليهود - النصر للإسلام) وضعه مؤسس الحركة السيد حسين الحوثي» رحمه الله». وهو كما عُرف من محاضراته وملازمه، صاحب باع وتبحّر في علوم الدين والقرآن الكريم، وله اجتهاده الواضح الذي مكنه من تأسيس هذه الحركة وترويج مبادئها في الساحة اليمنية.

ويمكن اختصار فلسفة الشعار بأنه مفهوم لغوي، وديني، وعقائدي، وثوري قائم على مبادئ وقيم قرآنية ثابتة، وبصيرة واضحة، ومواقف راسخة؛ تظهر هوية حركة أنصار الله، ورؤيتها الثقافية والسياسية والاجتماعية.

ففي اللغة قد يأتي على صيغة دعاء أو تمنّ أو تأكيد مثل الخلود الدائم للشهداء، النصر المؤزر للشعب، البقاء للوطن، وكما جاء في الشعار النصر للإسلام وما هو حتميّ في نهاية المطاف كالعزة لله وللرسول محمد ﷺ ومسيرته القرآنية..

وأما مفردة «الموت» التي وردت في الشعار فهي من الناحية اللغوية لا تعني الدعوة إلى قتل أو هلاك الشعب الأمريكي، لأن كلمة

الموت في اللغة وفي السياق القرآني وردت بمعان كثيرة منها: الموت هو التوقف غير الدائم للحياة، والنماء والحركة سواء للإنسان أو الأرض أو الشجر، وكل ما فيه حركة وتفاعل ونماء، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾[١]، وكما قال. الله تعالى:. ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾[٢]. كما أن كلمة» الموت» تعني الجهالة كما جاء في القرآن الكريم بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾[٣]، أي من فقد قوته العاقلة بالجهالة والموت تعني الخروج عن الحق، وعن الهداية والصواب، وعن المسيرة القرآنية في الفكر والمنهج.

والموت لغة تعني فقدان أو زوال القوّة الحسّية لقوله الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا﴾[٤].

وأما فلسفة كلمة «اللعنة» ومعانيها لغويًا ودينيًا فاللعنة تعني الإبعاد والطرد من الخير، وقيل تعني الطرد والإبعاد من الله سبحانه قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[٥] ، أي يبعدهم ويطردهم من رحمته ومحبته ورعايته، واللعين هو المطرود وقد وصف الشيطان باللعين لأنه طرد من الجنة وأبعد من رحمة الله، واللعنة هي المسخ، قال سبحانه في القرآن الكريم: ﴿أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ﴾[٦]، أي نمسخهم كما مسخ بعض اليهود إلى قردة عقابًا لما

---

(١) سورة **الحديد**، الآية: ١٧.
(٢) سورة **الانعام**، الآية: ١٢٢.
(٣) سورة **النمل**، الآية: ٨٠.
(٤) سورة **مريم**، الآية: ٢٣.
(٥) سورة **البقرة**، الآية: ١٩٥.
(٦) سورة **النساء**، الآية: ٤٧.

ارتكبوه وتمادوا فيه، كما أن اللعنة في القرآن الكريم تعني العذاب والهلاك.

وهنا نشير إلى أن «الموت لأمريكا» «والموت لإسرائيل» كما جاء في الشعار تعني أن سياسة تلكما الدولتين أو النظامين جعلتهما تفقدان إحساسهما إزاء ما هو خير ونافع للأمة ولا تسمعان نداء ضمير إسلامي أو إنساني، وتتماديان في كل ما ينزع عنهما آجلًا أو عاجلًا رعاية الله ورضاه في العمل على البصيرة الثاقبة المستمدة من القرآن الكريم والعمل به.

وأن «اللعنة على اليهود» تعني لغويًا ودينيًا أنهم ابتعدوا عن الخير والصلاح فأبعدوا عن احترام ومحبة الشعوب والمجتمعات، ومسخوا جراء ما تبنوه دينيًا وسخّروه لنزعتهم العنصرية الاستعلائية، والتوسع في الهيمنة بعد أن وظفوا التوراة لتلك الأهداف والغايات، وما يؤكد هذا أن التوراة لم تكتب أو تدوّن إلاّ بعد مئات السنين، وجعلوا منها كتاب تاريخ بنسبة ثمانين في المائة، ولخدمة أغراض ومخططات من قام بذلك، وهذا وفقًا للمراجع وما أثبته الباحثون الاختصاصيون في علوم التاريخ والأديان السماوية.

٣-٣-٢- أهمية الشعار وآثاره على المجتمع

١- مواجهة الحرب الثقافية وحرب المصطلحات:

يقول السيد حسين الحوثي: «أليست الثقافة القرآنية هي من تنشيء جيلًا صالحًا؟ من ترسخ في الإنسان القيم الفاضلة والمبادئ الفاضلة كي يتحرك في هذه الدنيا عنصرًا خيرًا يدعو إلى الخير يأمر بالمعروف، ينهى عن المنكر، ينصح الآخرين، يهتم بمصالح الآخرين، لا ينطلق الشرّ لا على

يده ولا من لسانه؟ أليس هذا هو ما يصنعه القرآن؟ ونحن إذا نواجه حربًا في كل الميادين حربًا على مفاهيم مفرداتنا العربية إذا لم نتحرك نحن قبل أن تترسخ هذه المفاهيم المغلوطة بمعانيها الأمريكية، بمعانيها الصهيونية والذي سيكون من وراءها الشرّ إذا لم نتحرك ستكون تضحيات الناس كبيرة، فعندما نردد هذا الشعار وعندما يقول البعض ما قيمة مثل هذا الشعار نقول له: هذا الشعار لا بدّ منه في تحقيق النصر في هذه المعركة على الأقل لا بدّ منه في تحقيق النصر، فعندما نرفع هذا الشعار نحن نرفعه ونجد أن له أثره الكبير في نفوسنا، وفي نفوس من يسمعون هذا الشعار ... فإننا بترديدنا للشعار من حولهم سنترك أثرًا في نفوسهم هذا الأثر هو أن اليهود ملعونون، ونذكّر مثل هذا الشخص الذي يرفع هذا الشعار بتلك الآيات القرآنية، ونحن عندما نهتف بهذا الشعار يترافق مع توعية كاملة كلها تقوم على أساس أن منابع الشر وجذور الشر الفساد في الأرض الإرهاب لعباد الله الظلم لعباد الله القهر للبشرية كلها من أولئك اليهود هم أمريكا وإسرائيل وكل من يدور في فلكهم» [1].

ولقد انطلقت حركة أنصار الله بهذا الشعار وهي واثقة كل الثقة بقدرة القرآن على تغيير الواقع السيئ للأمة، ورفع الظلم عنها إن سارت على نهجه وتحصينها من كل المؤامرات، وتقديم الحلول لها في كل مجالات حياتها دون حاجة إلى أن تعود إلى أعدائها وتغطية كل مجالات الحياة مهما تشعّبت وتعقّدت.

وهنا يقول السيد حسين الحوثي: «مهما تشعّبت الحياة، مهما تقدمت الحياة، مهما اتسعت عمارة الأرض، يظل الإسلام أوسع، ويظل

(١) حسين الحوثي، محاضرة الارهاب والسلام، موقع انصار الله http: //www. ansarollah. com/.

القرآن أوسع، وأشمل وأكمل. هذا شيء لا شك فيه، إنما الإنسان هو المشكلة من داخله، هو أننا لم نستطع أن نفهم عظمة هذا الدين، وأن نعرف كمال هذا الدين حتى ننشدّ إليه أكثر ونثق به أكثر، ونرتبط به ونحرص عليه ونعمل على رفع رايته والجهاد من أجل إعلاء كلمته والدفاع عنه»[١].

ولا شـكّ أنّ للشعارات أهميتها في هـذه المرحلة بل صارت استراتيجية مهمة للتغيير الاجتماعي والعمل السياسي حتى لدى أعداء هذه الأمة بالرغم من إمكانياتهم الكبيرة المادية والعسكرية، فنجد أنهم يتحركون لاحتلال الشعوب تحت شعارات متعددة ومختلفة؛ لأنهم يعرفون أهميتها ولا يقولون ما هي قيمة هذه الشعارات.

وقبل أن نتحدّث عن الشعار الذي رفعه السيد حسين بدر الدين الحوثي لا بدّ من معرفة الدوافع والأسباب التي أدت إلى مثل هذا العمل، ذكرها السيد في محاضراته وكلماته بقوله:[٢]

«أن نعرف جميعًا إجمالًا أن كل المسلمين مستهدفون، وأن الإسلام والمسلمين هم من تدور على رؤوسهم رحى هذه المؤامرات الرهيبة التي تأتي بقيادة أمريكا وإسرائيل، ولكن كأننا لا ندري من هم المسلمون! المسلمون هم أولئك مثلي ومثلك من سكان هذه القرية وتلك القرية، وهذه المنطقة وتلك المنطقة، أو أننا نتصور المسلمين مجتمعًا وهميًا، مجتمعًا لا ندري في أي عالم هو؟!.. المسلمون هم نحن أبناء هذه القرى المتناثرة في سفوح الجبال، أبناء المدن المنتشرة في

---

(١) حسين الحوثي، محاضرة الإسلام وثقافة الاتباع.

(٢) يحيى قاسم أبو عوّاضة، مقال في الدائرة الثقافة لأنصار الله، موقع أنصار الله، http: //www. ansarollah. com.

مختلف بقاع العالم الإسلامي، نحن المسلمون، نحن المستهدفون... ومع هذا نبدو وكأننا غير مستعدين أن نفهم، غير مستعدين أن نصحو، بل يبدو غريبًا علينا الحديث عن هذه الأحداث، وكأنها أحداث لا تعنينا، أو كأنها أحداث جديدة لم تطرق أخبارها مسامعنا، أو كأنها أحداث وليدة يومها، فعلًا أنا ألمس عندما نتحدث عن قضايا كهذه أننا نتحدث عن شيء جديد، ليس جديدًا إنها مؤامرات مائة عام من الصهيونية، من أعمال اليهود، أكثر من خمسين عامًا من وجود إسرائيل الكيان الصهيوني المعتدي المحتلّ، الغُدّة السرطانية التي شبّهها الإمام الخميني رحمة الله عليه، بأنها غدة سرطانية في جسم الأمة يجب أن تُسْتأصَل. ولنتحدث لنكتشف الحقائق – كما قلت سابقًا – الحقائق في أنفسنا، ولنقل لأولئك الذين تصلنا أخبار هذا العالم وما يعمله اليهود عن طريق وسائل إعلامهم، هكذا نحن نفهم الأخبار، ما هي الحقيقة التي نريد أن نكتشفها داخل أنفسنا؟ هي: هل نحن فعلًا نحس داخل أنفسنا بمسؤولية أمام الله أمام ما يحدث؟ هل نحن فعلًا نحس بأننا مستهدفون أمام ما يحدث على أيدي اليهود ومن يدور في فلكهم من النصارى وغيرهم؟ "

إذًا هذه الرؤية القرآنية في التغيير التي يجب أن نعرفها وندركها جيدًا في خطورة المرحلة، وأن نرفض الحقيقة التي يريدون أن يرسخوها في أنفسنا وفي أذهاننا وفي مجتمعنا من حيث يشعرون أو لا يشعرون، حقيقة الهزيمة، والضعف والهوان، لا نسمح لأنفسنا أن نشاهد دائمًا تلك الأحداث وتلك المؤامرات الرهيبة جدًا ثم لا يكون لنا موقف. سنكون ممن يشارك في دعم أعداء الله وأعـداء أنبيائه عندما نرسخ الهزيمة والخسران في أنفسنا عندما نَجْبُن عن أيّ كلمة أمامهم أو شعار أو موقف مناهض.

٢- الشعار أظهر الكثير من المفاهيم المغلوطة:

يقول السيد حسين الحوثي حول هذا الموضوع:

«قضية هامة جدًا في حالة المؤمنين مثلًا في مواجهة عدو هنا يبرز أهمية كبرى لتبيين من لديهم علم الكتاب يبينون للناس ويوجهونهم ويفهمونهم ويرفعون من معنوياتهم؛ لأنها كلها تحتاج إلى توجيه، الناس يحتاجون إلى توجيه والمراحل هذه مراحل الصراع مع العدو هي من أهم المراحل أو من أكثر المراحل يكون الناس فيها بحاجة إلى توجيه، لماذا؟ لأنه في الغالب يكون فيها قضايا جديدة هي قد لا تأتي أثناء حديثك مع الناس حول الصلاة حول الزكاة حول أشياء من هذه حول الطهارة وحول عبادات أخرى. يكون هناك أشياء كثيرة تظهر. لاحظ كم قد ظهر! ما قد ظهر أشياء كثيرة جدًا في هذه المرحلة من بعد توجه الأمريكيين. كم ظهر في الساحة من أشياء كم ظهر من خلال نزول [الشعار] من كلام كثير من الناس، مفاهيم مغلوطة تبين لك أن هناك حاجة ماسة إلى تبيين واسع، معناه تكون الجريمة كبيرة لمن يعرفون كتاب الله فلا يبينون كيف يخاف العدو من العداء الديني. لاحظ الآن عندما انطلق الناس في هذا الموضوع هذا [الشعار] الذي يبدو عملًا سهلًا أزعجهم جدًا لأنه عمل ديني، ولأنه في سبيل الله»[١].

(١) حسين الحوثي، محاضرة الشعار، موقع أنصار الله، http: //www. ansarollah. com/

٣-٣-٣- ثالثًا: الخطاب

تبلور مشروع أنصار الله في التغيير والعمل الاجتماعي والسياسي على إيقاع الحالة الزيدية[١]، والسجال البيني العقيم الذي كان من بين عوامل تعثر أبرز مشاريع الإحيائية الزيدية الدينية، والسياسية في العشرية التاسعة من القرن الماضي، وعلى حال الأمّة العربية والإسلامية ككل، خصوصًا في ظل الاحتلال الأمريكي للعراق، والأسئلة التي أثارها الحدث - أحداث سبتمبر- بخصوص مستقبل المنطقة العربية، واستعادة المسلمين لوحدتهم وهويتهم ومركزهم الحضاري، والهاجس الذي كان يشغل باله كيف يقف المسلمون في وجه زحف صراع الحضارات المعاكس الذي قادته إدارة المحافظين الجدد الأمريكية لفرض منظومتها السياسية والثقافية والاقتصادية التي تسعى لتعميمها، وفرضها كنموذج وحيد يمثل

(١) الزيدية فرقة من الفرق الإسلامية ظهرت في منتصف القرن الثاني الهجري، ويتكون المذهب الزيدي في نشأته من فقه الاعتزال، مع الميل في الفروع للمذهب الحنفي، ويتبنى فكرة الخروج على الحاكم الظالم، وهي القاعدة الأساسية التي قام عليها المذهب. تجيز الزيدية وجود أكثر من إمام في وقت واحد في قطرين مختلفين، والإمامة لدى الزيدية ل**يس**ت وراثية بل تقوم على البيعة، ويتم اختيار الإمام من قبل أهل الحل والعقد، وإن اسم الزيدية لم يطلقه زيد بن علي عليه السلام على أتباعه، كما لم يطلقه أتباعه على أنفسهم، إنما أطلقه عليهم حكام بني أمية، ولكنهم أقروا به واعتزوا، والزيدية لا يؤمنون بالعصمة باستثناء عصمة النبي محمد ويرفضون مبدأ الغيبة وتوارث الإمامة، والمذهب الزيدي التاريخي هو فرقة قامت بالأصل على فكرة الخروج على الحاكم الظالم. شروط الإمامة لدى الزيدية أن يكون عالمًا في الشؤون الدينية، صالحًا وتقيًّا، لا يعاني من عيوب جسدية أو عقلية وهاشميًّا من سلالة علي وفاطمة بنت النبي محمد. والزيدية مذهب ينسب إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، وتواجدوا سابقًا في نجد وشمال أفريقيا وحول بحر قزوين، وتسمى أحيانا بالهادوية، ولكنها تسمية خاصة بالفرع الوحيد المتبقي داخل الزيدية نسبة للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الرسي الهاشمي الذي حارب القرامطة وعقدت له الإمامة باليمن.. المصدر موقع المركز الوطني للمعلومات http: //www. yemen-nic. info/.

نهاية التاريخ، والسيطرة المطلقة على الحركات الإسلامية والتغييرية التي تريد الإصلاح المجتمعي للأمم.

ولبيان رؤية القائد المؤسس للحركة حول واقعية أنصار الله وعن طبيعة نشاطه في العمل السياسي قال السيد حسين الحوثي في كلامه لتلفزيون BBC: «نحن عبارة عن مجاميع من المسلمين... ونفى أن يكون ذا طبيعة أو تركيبة حزبية رغم أن التنظيم الحزبي أمر مسموح في اليمن»[١].

وليعرّف أكثر عن المشروع القرآني لحركة أنصار الله في التغيير والعمل السياسي يقول: «منهج قائم وحركة على أساس القرآن الكريم تترفع عن كل العناوين الخاصة، وتعطي أولوية للقرآن الكريم، وتسير على هديه، وتتحرك في الساحة هذه دائرة قابلة للتوسع؛ لأن كل طرف لا يعتبر أنك تقدم الشيء الذي هو قد ثقف على أساس النفور منه نهائيًا، وعندما يراك - أيضًا - بأنك تقيِّم ما لديك ولديه بنظرة واحدة على أساس القرآن، وليس أنك تحاول أن تؤقلم القرآن على ما لديك من تراث ثقافي وما لديك من ماذا؟ من مرجعيات سواء شخصية أو مرجعيات من الكتب»[٢].

السيد عبد الملك الحوثي في رده على ذات السؤال قال: «مشروعنا الثقافي الذي نتحرّك على أساسه واضح وليس سريًا، وهو ينادي بضرورة العودة إلى ثقافة القرآن الكريم، وتصحيح الوضع السيئ القائم لدى الأمة على هذا الأساس باعتبار أن منشأ الخلل ثقافي والتصحيح الثقافي

---

(١) يحيى قاسم أبو عواضة، **أنصار الله المشروع والقيادة**، الصفحة ٩٨.

(٢) عبد الملك العجري، «الخطاب والحركة دراسة سوسيو ثقافية»، مركز الدراسات الاستراتيجية والاستشارية اليمني، مجلة مقاربات سياسية، العدد١، صنعاء، http: //www. yecscs. com/.

الذي يجعل القرآن الكريم فوق كل ثقافة هو الذي يبني الأمة من جديد، ويصلح الخلل الموجود لدى الجميع، ويربي تربية صحيحة سليمة ويوصل الأمة إلى أن تكون في مستوى مواجهة التحديات التي تواجهها، ويصلح وضعها العام، ويجمع كلمتها، ويوحد صفوفها، ويعيدها إلى الألفة والأخوة الصادقة، ونرى أن كل شؤون الحياة لا تصلح ولا تستقيم إلا باتباع تعاليم الله» [١].

وفي خطاب له تطرق السيد عبد الملك الحوثي للحديث عن مشروع النهضة: «لبعض سمات ما يسميه المشروع القرآني للقائد المؤسس، وعدّ منها كونه مشروعًا نهضويًا ينهض بالأمة، ويقدم المقومات اللازمة للنهضة بالأمة، وانتشالها من واقع الوهم والضعف والعجز والتخلف» [٢].

ومن خلال مجموع التوصيفات السابقة نستشف هوية الخطاب والمقولات البنائية للخطاب والحركة في التغيير والعمل السياسي لحركة أنصار الله، ونفترضها كالآتي[٣]:

أولًا: يرفض ربط نشاطه أو الكيان الذي سمّي فيما بعد (أنصار الله) بأي تعريفات سلفية مذهبية أو تعريفات إحيائية معاصرة، سواء الخمينية أو الإحيائية الزيدية أو الشباب المؤمن أو أن الهدف تكوين بديل لحزب الحق أو إضافة حزبية لقائمة الأحزاب الوطنية على الساحة اليمنية.

---

(١) صحيفة النهار اللبنانية، ١٢ نوفمبر ٢٠٠٩م،.. https: //www. annahar. com/.

(٢) ينظر:. خطاب السيد عبد الملك الحوثي بمناسبة ذكرى الشهيد حسين الحوثي ٢٥ مايو ٢٠١٤م، الذي تطرق فيه لتوصيف مشروع الحركة.

(٣) عبد الملك العجري، «الخطاب والحركة دراسة سوسيو ثقافية»، مجلة مقاربات سياسية، العدد١.

ثانيًا: خطاب إصلاحي تجديدي يعتمد الخطاب القرآني مرجعية مركزية لبناء نظام معرفي على أساس سُنن الله في الهداية يعيد تصحيح علاقة المسلمين بالنص القرآني، وينفي عنه الغموض والقصور الذاتي في إنتاج الدلالة وتقلص دور القارئ (الفقيه، المفسر) إلى أضيق الحدود في تفسير وتأويل النص، بما يعيد للمعرفة الدينية بساطتها ويعالج أزمتنا الفكرية والثقافية والتشريعية والسياسية، ويضع حدًا لفوضى الاجتهادات الفردية والتضخم في الحديث والرأي.

ثالثًا: التأصيل للهوية العربية والإسلامية الجامعة، وحمايتها من أشكال التدمير والتشويه التي تتعرض لها بفعل محاولات إحياء الهويات المذهبية والقطرية والجهوية على حساب الهوية العربية والإسلامية الجامعة.

رابعًا: أنصار الله جماعة (منظمة)، وليست (تنظيمًا) بلوائح وأنظمة داخلية وبنيات هرمية بيروقراطية، بل نشاط جمعي وتيار شعبي؛ لاستصلاح المجتمع وإعادة ربطه بأصوله وهويته على أساس المنهجية القرآنية، ومن خلال الفعل النضالي الاجتماعي والفكري والسياسي، ولا يرتبط ببرنامج سياسي أو بجماعة سياسية أو مذهبية أو فئوية مغلقة، بل بكل المؤمنين متجاوزًا حدود وهموم المذهب إلى هموم الأمة.

خامسًا: خطاب عام موجه مباشرة للمجتمع يعتمد استراتيجية الإصلاح الديني والتغيير الثقافي من الأسفل.

سادسًا: نزعة احتجاجية ممانعة للحرب الكونية الشاملة التي قادتها الولايات المتحدة عقب أحداث سبتمبر بحجة الإرهاب، واستغلالها لفرض العولمة، كمنظومة سياسية وثقافية واقتصادية تسعى لتعميمها وفرضها كنموذج وحيد يمثل نهاية التاريخ.

والمدقق في خطاب حركة أنصار الله في التغيير والعمل السياسي يرى أنه يختلف عن سياق خطاب الإصلاحية الإسلامية عند محمد عبده والأفغاني القادمين من بيئة دينية، وموروث ديني يقصي العقل، ويغلق باب الاجتهاد، وفي سياق عالمي مبهور بالحداثة الغربية كأيديولوجيا كونية للنهضة؛ ولذلك كان أول ما فكرت فيه لتجاوز الجمود والتخلف إعادة الاعتبار للعقل، وفتح باب التجديد والاجتهاد في الدين بهدف المواءمة مع الحداثة، بينما نلاحظ أن السيد المؤسس لحركة أنصار الله نشأ في بيئة زيدية تمجّد العقل، وتحرّم التقليد، وتوجب الاجتهاد لكل من يجمع شرائطه، وعالميًا في سياق الهجمة الحضارية والعسكرية للعولمة النيوليبرالية.

«ورغـم اختلاف السياقين ومـرور أكثر من قـرن ونصف القرن على خطاب النهضة والإصـلاح بكل تنويعاته، ظلت ثنائية (التخلف والجهل) تراوح مكانها بل تعمقت أكثر، وبقي هم النهضة والإصلاح القاسم المشترك، والسؤال الذي كان يؤرق السيد حسين الحوثي، لماذا أخفقت كل محاولات الإصلاح والتجديد؟ وهل أدى إعادة الاعتبار للعقل كمصدر للمعرفة الدينية، وفتح باب الاجتهاد الديني إلى تحقيق النهضة التي تطلع لها رواد الإصلاحية الإسلامية؟ وهل الخلل في المضمون أم المنهج؟ ما السبيل لمعالجة الأزمة الفكرية والثقافية والتشريعية، وحالة الخلاف والتنابذ التي أنهكت قـدرات الأمـة، واستنزفتها في صراعات تدميرية، وصرفت قدراتها وجهودها الفكرية والمعرفية في غير مجالها؟ كيف يمكن بناء أمة صلبة، وتشكيل كتلة تاريخية تكون نواة لمشروع النهضة؟ وهل القرآن الكريم مصدر الخلاف والسجال الديني (التناقض الإسلامي - الإسلامي)، وما يتبعه من صراعات سياسية واجتماعية؟ هل الخطاب القرآني قادر على حسم الخلاف وإعادة توحيد الأمة الإسلامية؟

وهل التأويل العقلاني والتفسير بالأثر والأساليب اللغوية قادر على رفع التناقض والغموض في النصوص الدينية؟ هل النصوص الدينية سيما القرآن قاصرة ذاتيًا عن إنتاج المعنى والدلالة على المقصود الديني؟ وهل تحتاج لتدخل المجتهد لإنتاج المعنى؟ كيف يمكن وضع ضوابط منهجية ترفع الغموض واللبس المفترض في النصوص الدينية، وتحد من الاستثمار السيئ للنص؟..»[١].

يخلص السيد حسين الحوثي في إجابته على هذه الأسئلة إلى تشخيص أهم أبعاد الأزمة في الاختلالات البنائية لمناهج الفكر الديني التي انعكست في الاجتماع السياسي للمسلمين على أشكال متوالية من الأزمات؛ أزمة ثقافية، أزمة تشريعية، أزمة سياسية، أزمة نفسية، أزمة طائفية... إلخ، ويلقي باللائمة على النظام المعرفي التقليدي في استمرار بقاء المسلمين في حالة أزمة مزمنة، ويتهمه بالجناية على الدين، والتسبب في اهتزاز الثقة بالخطاب القرآني، حيث معظم آياته - وفقًا لهذا النظام - نصوص ظنية قاصرة عن إنتاج اليقين الدلالي والنفسي والموضوعي.

والتراث الديني والتاريخي والعقائدي بمفهومه الواسع - سواء آليات التأويل، ومناهج القراءة، وتحليل النص - رموز دينية وتيارات دينية وتجارب تاريخية تحولت إلى سياجات معرفية أعاقت فهم الخطاب القرآني عن تحقيق وظيفته الأساسية في إخراج أمة نموذجية، وأسهمت في إعادة إنتاج الواقع المتخلف والوضعية السيئة والفوضى التشريعية، والتأسيس لألوان من الاحتراب والصراع والتنابذ وأشكال من التدين،

(١) عبد الملك العجري، «الخطاب والحركة دراسة سوسيو ثقافية»، مجلة مقاربات سياسية، العدد الأول.

كالتديُّن المنصرف عن الحياة والتدين الطائفي، والاجتهادات العصابية وفتاوي التكفير.

ولذلك نقد المناهج التقليدية نقدًا قاسيًا، وعلى رأسها المنهج الكلامي والفقهي، وبرر ذلك بقوله: «عندما ننقد فنونًا معينة من تراثنا، أو كتبًا معينة من تراثنا، ومن تراث هذه الأمة بصورة عامة، هو لأن الوضعية هذه أصبحت وضعية خطيرة، لم يعد مقبولًا أن تجامل أحدًا فيها»[١]. ودعا إلى ضرورة التحرر من أهم فنَّين في المناهج التراثية، ما يسمى بعلم أصول الفقه وما يسمى بفن علم الكلام.

والقرآن الكريم «بحر هدى، وبحر حق»؛ لكن كما يقول السيد حسين الحوثي: «هذا البحر مشبّك (مسيج) عليه»[٢]، لذا أول خطوة في الإصلاح هي نزع هذه السياجات المنهجية، وإعادة تقييمها، والتحرر من التصورات الموروثة باعتبارها حقائق غير قابلة للنقاش.

---

(١) حسين الحوثي، محاضرة الوحدة الإيمانية، الدائرة الثقافية لأنصار الله، http: //www. ansarollah. com/.

(٢) حسين الحوثي، محاضرة من هدى القرآن، سورة **البقرة**، الدرس الثامن.

٣-٤- المبحث الرابع:
تقويم تجربة أنصار الله وآفاقها

في هذا المبحث الأخير من الفصل الثالث، وبعد دراسة مُحددات التجربة وأركان مشروعها التغييري، ومسار هذا المشروع، نحاول أن نُقيّم هذه التجربة، لنرى مدى انسجامها مع عنوانها الكبير: المسيرة القرآنية، وبالتالي نفحص مدى التزامها بالرؤية القرآنية التي رفعتها شعارًا لها، ومن جهة أخرى نحاول أن نستشرف مستقبل هذه التجربة وآفاقها في الساحة اليمنية والإسلامية.

٣-٤-١- التجربة (تجربة أنصار الله في ضوء النظرية القرآنية ومعادلات الواقع)

تكشف التجربة السياسية والتاريخية للمسيرة القرآنية أن حركة أنصار الله كانت عرضة لحملات التشويه في معظم المجالات، العقائدية منها والثقافية والاجتماعية، وأيضًا السياسية، فما زالت محاولات الخصوم والأعداء مستمرة دون توقف لترسيخ توصيف الميليشيات وتعميمه على الحركة وذلك من خلال الطابع العسكري الذي ألصقته ترساناتهم الإعلامية بالحركة في إطار الحروب التي شنّت عدوانًا وظلمًا عليها، وفرضت عليهم اللجوء للمواجهة المسلحة دفاعًا عن النفس، بالإضافة إلى تغييب الجانب

الثقافي للحركة والذي يمثل المحور الرئيس للمشروع القرآني الذي يتبناه أنصار الله.

ولا يخفى أن حركة أنصار الله هي حركة تحرّرية ثورية تحمل مشروعًا ثقافيًا تنويريًا، وتتبنّى بكل مصداقية ومسؤولية آمال وتطلعات الشعب اليمني في بناء دولة حديثة تقوم على أساس العدل، والمساواة، والحرية، والكرامة، والسيادة، والاستقلال، مُعتمدين في ذلك على أدبيات ومرجعيات الحركة وعلى مواقفها الواضحة.

حركة أنصار الله ومن خلال قائدها السيد حسين بدر الدين الحوثي – مؤسّس المشروع القُرْآني – واجهت ما رأته من حرب جديدة ابتكرها أعداء الأمة لنشر العقائد الباطلة والأفكار الخارجة عن مسار الدين الحنيف لنتائج الغزو الفكري الأموي الوهَّابي، فبدأ السيد المؤسّس منذُ وقتٍ مُبكر بقراءة الأَهْـدَاف الحقيقية لتلك الحرب الفكريّة والدينيّة، وتمكَّن من إجراء التحقيق الدقيق ليتفحَّص عن قُرب ما تريده الحرب الفكريّة والثقافية للقوى الكبرى الاستكبارية المتمثلة بالموسادية الأمريكية وَلُعبتها الجديدة.

فالبرنامج العملي الذي تسير عليه حركة أنصار الله يعطي أولوية أساسية للأمان السياسي والاجتماعي الذي يُعَدّ المقدمة التي لا مفرّ منها لأيّ تقدّم أو تطور لأي بلد أو وطن، وهو الشرط الضروري للوصول إلى مرحلة تعود فيها طموحات وأحلام بناء أمّة ذات شخصية معنوية فعلية أمرًا ممكنًا، ويحاول تحقيق هذا الشرط من خلال الاستجابة لمجموعة من التحدّيات أهمها:

أولًا: الأمــان الوجودي هو شرط بديهي لأيّ تطلع يخصّ الحياة البشرية، فلا أمان لمن لا وجود له، فأيّ دولة أو حركة لا تُحترَم حدودها

وتُحفَظ سيادتها وتُحمى ملكيتها على ثرواتها، يبقى من العبث السؤال عن أحوالها التفصيلية وحلول مشكلاتها الجزئية وعن مستقبلها وآفاقها.

حركة أنصار الله تتولى بعقيدة ومسؤولية الدفاع عن الدولة والأمّة الإسلامية بما هي مصلحة للإنسان وحق له، وبما لها من قدرة وخبرة، إلى حدّ دفع البعض إلى السؤال عن مكانة الحركة في النظام السياسي، إذ تمارس دور البديل الدولي في حراسة الأمن القومي، على أن السلوكيات والأدبيات المعتمدة حاولت قدر الإمكان توسيع مساحة المشاركة مع الجهات الأخرى في اليمن، بما ينطوي على ذلك من تأثير متبادل قهري لا مفر منه.

ونرى المثالية هنا من حيث قيام طرف بالدفاع عن الدولة، فيما يتولى كثيرون في الداخل استهدافه والتطرف في مهاجمته، ونرى الواقعية في ضرورة القيام بالدفاع عن الدولة والأمة كشرط للدفاع عن النفس، وفي كيفية إدارة العلاقة الثنائية بين حركة أنصار الله والدولة، تحت شعار المعادلة الذهبية.

ثانيًا: الخطاب السياسي والثوري في اليمن مستبدَل بالخطاب التابع للأمريكي والسعودي والعلماني والشخصاني. وهذا الخلل يمنع قيام الدولة والهوية الوطنية التي تشكّل مبدأ الحقوق، وشرعة المسؤولية العامة؛ فالإنسان يتحمل مسؤولياته في نطاق مشاعر الانتماء إلى هوية محددة، سواء كان عاملًا في القطاع العام أو الخاص، لذا، نرى أن الهويات المذهبية الطاغية على الهوية العامة هي أحد أسباب الفساد والإهمال الفردي والجماعي.

تقدّم حركة أنصار الله نفسها بهوية دينية واضحة، لكنها تتفادى بدقّة الدخول في صراع هويات داخلية، وتحافظ على لغة هادئة قد

تكون حـادة وغير قابلة للنقاش، إلا أنها تحافظ على خيط ممدود مع غالبية القوى، وإن من حيث العبارة التي لا تؤدي إلى التنازل عن المضمون. وهذه اللغة تعطي للحركة هامش مناورة واسعة وإمساك بخيوط وفرص متفاوتة في كثير من المراحل.

ثالثًا: عقلانية الحلول للمشكلات المُعقدة أسلوب خاص لأنصار الله اعتمدته، فهناك بين يدينا مشكلة موضوعية وحلول موضوعية، ومن ثم نبحث ونتداول في العوائق والمتطلبات السياسية، فلا يُلغى التصور الموضوعي، بل يجري الانطلاق منه. وثمة اعتقاد واضح إنّ القرارات الاستراتيجية مبنية على أسس موضوعية، ولذلك يُبدى الاستعداد للنقاش والبحث العلمي حول تلك القرارات. يناقش البعض في عقلانية التفرد بالقرار العسكري والدخول في معارك مصيرية دون تحصيل التوافق الداخلي، فيما يناقش آخرون في مصير البلاد، في حال انتظار التوافق وعقلانية انتظار مماثل في لحظات مصيرية.

يمكن النقاش في تطبيقات ومواقف مختلفة، إلا أن المهم هنا هو إدخال المقاربة الموضوعية إلى التداول السياسي، والمحافظة عليها في القضايا والجدالات محل الخصام والاختلاف، كنقطة مركزية في مسار بناء أي عقد اجتماعي يتخطى الأزمات البنيوية الكامنة في أي مجتمع تعددي متجذر في نزاعاته. لا شك في أن تأثير هذه المقاربة محدود حتى الآن، ويمكن بعض النقديين وضعها في سياق استخدام المقاربة العقلانية لتبرير التموضع السياسي، إلا أنها المقاربة الأمثل في دائرة الممكن السياسي، وهي متاحة للنقاش العلمي والموضوعي حين تتوافر الظروف السياسية المناسبة.

رابعًا: نموذج النزاهة السياسية، إذ سعت حركة أنصار الله إلى تقديم نفسها كمكون في البيئة اليمنية وانضباطها كجسم سياسي، وإحجامها عن استغلال وتوظيف حجمها وتأثيرها. ولا شك في أنها بذلك تحافظ على جسم الوطن من أوبئة الفساد المستشرية في بنية الدولة، لكنها تقدم تضحيات يصنفها البعض في خانة المثالية السياسية التي تؤدي إلى حيازة الآخرين لحصة أنصار الله في المؤسسات الرسمية.

النزاهة غير المطلقة، التي قدمها أنصار الله في تجربتهم، والتي تشوبها بنظر البعض واقعية التحالف والتفاهم والتعاون مع بعض الجهات المنخرطة تشكل نقطة ضوء للمستقبل. إنّ النزاهة، حتى النسبية، ممكنة عمليًا.

خامسًا: خصوصية الهوية الدينية التي تشكل مصدر مشروعية أنصار الله ومسيرتهم القرآنية ومستقبلها، وبقاؤها فاعلة في زمن العولمة وتفكك الهويات الخاصة، لم تدفع الحركة إلى ممارسة الانغلاق على الذات أو ردّ الفعل تجاه الآخرين، بل حافظت على معاييرها الثقافية التي تعتبرها مرتكزًا لا غنى عنه للحفاظ على روح المقاوم، دون أن تفرض في بيئتها الخاصة حتى تطبيق تلك المعايير، بل هي تشتغل من خلال ترويج فكرتها بالوسائل الاتصالية. وقد اعتبر البعض أن هذا الترويج هو ممارسة لسلطة دينية على اعتبار وجود سلطة مماثلة تخلفًا سياسيًا في المعيار الغربي، ولكن القيمة الاستراتيجية التي تقدمها تلك الثقافة لا تقارن بما يعتبره البعض تضخمًا لثقافة مختلفة، ونحتاج للتأمل في قيمة هذه الثقافة وفائدتها الاجتماعية والسياسية وتحديد مستوى حرصنا عليها بغضّ النظر عن انتمائنا إليها، ونتعامل معها من منظار حفظ ثقافة محلية في زمن التفكك، كإرث ثقافي ذي فوائد شاملة وأساسية وتراث

يحفظ الجذور والانتماء، والجمع بين ثقافة عميقة شديدة الرسوخ، تدفع المنتمي إليها إلى بذل روحه والتزام تعاليمها التفاصيل والجزئيات كما في الكليات، وبين التواصل والمشاركة مع ثقافات متأثرة بالليبرالية التفكيكية بنسب متفاوتة، تخولها الترويج لهذا النقيض الثقافي ضمن الشرائح المختلفة في بيئة اليمن. هذه المرونة تقدم فكرة ممكنة لوطن يجمع ثقافات جذرية إلى ثقافات متكيفة مع بيئة العولمة، وحلًا لمشكلة صراع الهويات دون اللجوء إلى علمانية شاملة، أو إلى مسخ الهوية الإسلامية، فهذه المقاربة تصلح للتعميم على الحركات الإسلامية في العالم العربي التعددي ثقافيًا.

٣-٤-٢- استشراف مستقبل التجربة

من الصعوبة استشراف مستقبل هذه التجربة خاصّة وأنها لا تزال تعيش تحت وطأة حرب ضروس قاسية ومعاصرة شبه عالمية؛ للحيلولة دون امتدادها في اليمن والاقليم، ولكن مع ذلك نرى أهمية استشراف مستقبل هذه الحركة التي لابدّ أن تكون أحد الأركان الأساسية في تحديد مستقبل اليمن وشبه الجزيرة العربية.

إن الروح القرآنية التي ميّزت هذه الحركة تجعل الباحث في ضوء معادلات الصراع القائمة محليًا واقليميًا ودوليًا يفترض عدة احتمالات مستقبلية للحركة وهي كالآتي:

أولًا: دور بارز في صناعة مستقبل اليمن:

من خلال ما استعرضناه في هذا المبحث من دورٍ لحركةِ أنصارِ الله في إرسـاء دعائم التغيير في المجتمع اليمني بأطر قرآنية نستطيعُ أن

نستشفّ مستقبل اليمن في ظلِّ حركةٍ قامتْ على أسس قرآنيةٍ متينة، حيث أسهمت الحركةُ في تأسيس دعائمِ المجتمع الفاضل بناءً على النظرية القرآنية التي تتمثل في تحقيقِ العدالةِ الاجتماعية.

إنّ هذه الحركة باتت اليوم رقمًا هامًا في معادلة الوجود اليمني على الساحةِ العالمية والتي لا يمكنُ بمكانٍ إنكارُها، ولا بدّ أن تسهم في صناعة مستقبل اليمن، سيما أنّ حركة أنصارِ الله تستندُ إلى مشروعٍ بنيوي يسعى ويهدف لبناء دولةٍ قوية تستقلُّ سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا عن هيمنة الدول الكبرى. ولعلّ خوف هذه الدول من إسهام حركة أنصار الله في بناء دولة قوية تلبي حاجة المجتمع هو ما جعلها تشنُّ على اليمن حربًا ضروسًا بغية إبادة هذا المشروع الذي يشكل خطرًا على مستقبل مصالح دول الاستكبارِ العالمي.

فالدور المفصلي لحركة أنصار الله يتمثّل في بناء دولة قوّية تستقلّ بسيادتها وإرادتها عن قوى الهيمنة والاستكبار والارتقاء بالوطن والأمة لتكون على قدر المسؤولية المناطة بها والإسهام في تشكيل ملامح مستقبل كريم للشعب اليمني.

ولعلّ خطابات قائد الثورة السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي مؤشر واضح من خلاله نستشرف ما تطمح إليه هذه الحركة من تطوير نهضوي وبنيوي لليمن والارتقاء بها إلى المستوى العالمي.

ومن أبرز أدبيات حركة أنصار الله التي تستند إليها في الحديث والتطبيق العملي في مجال بناء مستقبل اليمن ونقد الواقع هو «غياب المشروع الحقيقي للأمة»، لذا نراها في الواقع تسعى وبشكل حثيث إلى ترسيخ «المشروع الحقيقي» وربط المجتمع والجماهير باهتمامات كبرى سواء فيما يتعلق بالواقع المحلي أو العالمي.

ويعتبر من أهم ميزات هذا المشروع أنه ليس مشروعًا دينيًا فحسب، بل إضافة إلى ذلك فهو مشروع علميٌّ حضاري وبنّاء «لم يكن اهتمام السيد حسين الحوثي مقتصرًا على العلوم الشرعية الدينية المعروفة بل كان ينادي بضرورة تحصيل العلوم المختلفة والمعارف المتنوعة والتي لها علاقة أساسية بإقامة الدين وبالذات العلوم التي ترتبط بها عزة الأمة وقوتها وسيادتها وكرامتها كعلوم الصناعة والزراعة والطب وغيرها ويعتبرها جزءًا لا يتجزأ مما جاء به الدين المحمدي الأصيل، وأنها محمية بتعاليمه العظيمة ومحروسة بقيمه السامية وموجهة بتوجيهاته الربانية، بل كان يعتبر هذه العلوم من الوسائل الأساسية التي يحتاجها الإنسان للوصول إلى تحقيق الهدف من خلقه وخلافته في الأرض وأداء دوره المنوط به والذي يتلخّص في عمارتها على أساس من هدى الله»[1].

ثانيًا: إشعاع إقليمي على منطقة الخليج خصوصًا لو تزامن ذلك مع تحولات سياسية في أنظمة الخليج:

الحقيقة أنّ دول الخليج لم تقُم على أسس متينة؛ فما حققته اليوم من ثراء بالغ دفعت أثمانه الباهظة على حساب التنازل عن سيادتها وارتهانها التام والكامل لقوى الاستكبار العالمي.

اليوم باتت دول الخليج مستسلمة لنظام الاستكبار العالمي أكثر من أي وقتٍ مضى، فها هي تبيع القضية الفلسطينية بيعًا كاملًا، فالخطر الحقيقي الذي يتهدّد دول الخليج ليس فيما تدعيه من تهديدٍ إيراني وإنّما ما يهددها هو خطورة الدخول في مغبة التطبيع مع الكيان الصهيوني والتنازل عن قضايا الأمة، وعن القضية المحورية لها وهي

(١) يحيى قاسم أبو عواضة، **المشروع القرآني في مواجهة الاستعمار الجديد**، الصفحة ٥٠.

القضية الفلسطينية فضلًا عن الدخول في حروب عبثية وإجرامية في المنطقة كحرب اليمن التي أمعنت فيها دول الخليج في القتل والإجرام.

أضِف إلى ذلك أنّ دول الخليج تعيش واقعًا قيميًا هشًّا، مليئًا بمظاهر الانحلال والفساد الديني والقيمي والأخلاقي، ويرتبط أحد أكثر مظاهر التراخي وضوحًا في المنطقة بكمية المشروبات الكحولية المستهلكة، «فقد أفادت التقارير، في أوائل العام ٢٠١١ ، أنّ الممالك الخليجية تحتل أعلى مراكز فيما يتعلق بمعدلات النمو الأعلى في العالم لجهة استهلاك المشروبات الكحولية»[١].

«ووفقًا لبحث أجرته يورومونيتور الدولية في العام ٢٠١٠ تبيَّن أنّ الإمـارات العربية المتحدة تعتبر الدولة الأكثر استهلاكًا للسكوتش في العالم، حيث بلغ معدل نمو المبيعات ٩٪ في العام ٢٠١٠ ليصل مجموعها إلى ١٠. ٢ مليون ليتر، ما تكفل بإزاحة فرنسا إلى المرتبة الثانية»[٢].

هذا هو الواقع الذي يشكل خطرًا حقيقيًا على دول الخليج أنظمة وشعوبًا، ويهوي بها في مستنقع الضياع، فما هذا إلاّ مثال بسيط عن الواقع الذي تعيشه دول الخليج العربي، كحوليات ودعارة ومفاسد لا تعدّ ولا تحصى، وغرق في الدماء والحروب والاعتقالات القسرية والقمع والتطبيع العلني والمباشر مع الكيان الصهيوني.

فالخطرُ ليس قادمًا من إيران أو من اليمن، بل إنّ المشروع الذي تحمله اليمن اليوم قد يكون مصدر إشعاعٍ وإصلاح لدول الإقليم وانتشالًا

---

(١) كريس توفر م. ديفيدسون، **ما بعد الشيوخ الانهيار المقبل للممالك الخليجية**، الصفحة ٢٧٨.

(٢) م. ن، الصفحة ٢٧٩.

لها من وحل العمالة والفساد والارتهان لقوى الاستكبار العالمي. وقد استعرضنا في الفصل السابق تفاصيل هذا المشروع البنيوي التنويري النهضوي الذي يسعى لتطبيق مشروع النهضة الحضاري القائم على المبادئ القرآنية الأصيلة.

فكيف لمشروعٍ يستند إلى رؤية إسلامية أصيلة أن يشكل خطرًا إقليميًا على دول المنطقة، فالعكس صحيح، فهو مشروع لا يحمل أي روح عدائية تجاه الدول المجاورة، بل مشروع إصلاح وتصحيح لواقع الأمة الإسلامية بأجمعها. وهذا المبدأ من أهم المبادئ التي ركز عليها مؤسس الحركة السيد حسين بدرالدين الحوثي.

ثالثًا: عمق التحالف مع محور المقاومة والممانعة، تكريس محورية القدس:

إنّ من أبرز الإنجازات التي حققها مؤسس حركة أنصار الله السيد حسين بدر الدين الحوثي هو توجيه المجتمع من خلال محاضراته التي كان يلقيها في مسار التحرك باتجاه بوصلة واحدة هي فلسطين ضد عدو واحد هو العدو الإسرائيلي ومن يتخندق في خندقه. والمطلع على محاضرات السيد حسين الحوثي يلاحظ عند مقارنتها بخطابات ونصوص الإمـام الخميني- رضـوان لله عليه - مدى التقارب في الفكرة والنص والموقف، فمؤسس الثورة الإيرانية والصحوة الإسلامية الإمام الخميني ومؤسس ثورة الصرخة في وجه المستكبرين السيد حسين بدر الدين الحوثي يلتقيان في خندق واحد ومحور مقاومة وممانعة واحد بل ويوجهان جماهيرهما باتجاه واحد وفي بوصلة واحدة ضد عدو واحد. وهنا تتجلى محورية القدس كقضية تجمع محاور وأطـراف المقاومة والممانعة وثقافة التحرر من قيود الاستعباد والاستعمار العالمي في

محور واحـد. ولعل من أبـرز محاضراته في ذلك هي «يـوم القدس العالمي»، والتي أوضح فيها عددًا من الأمور نجملها باختصار في التالي:

١- أن الشعوب العربية والإسلامية تحمل ذنب تعرض الشعب الفلسطيني للظلم والاحتلال، وأن من واجب الشعوب التحرك في المظاهرات والمقاطعة وغيرها من الوسائل المتاحة.

٢- أن القضية الفلسطينية هي القضية الكبرى للأمة.

٣- أن الزعماء العرب يتحملون مسؤولية التفريط في القضية الفلسطينية.

٤- أن أطماع اليهود لا تقتصر فقط على القدس بل هي بداية لمشاريع احتلال وهيمنة واسعة من قبل اليهود.

إن ما جاء به السيد حسين الحوثي يتلاءم مع ما جاء به الإمام الخميني وهذا ما يؤكد على وحدة القضية والهدف والمبدأ ومحورية القدس.

رابعًا: نجاح الحركة في تقديم نموذج قرآني فريد في التغييرِ والإصلاح وتجسيدِ سننِ القرآن:

لعلّ المبادئ التي استند إليها هذا المشروع القرآني هي ما أسهمت في نجاحه، ذلك أنه تميز بميزاتٍ منحته خاصية التفرّد في مجتمع لا ننسى أنه من أكثر المجتمعات المحافظة والتي تولي الدين والقيم الأخلاقية والدينية أهمية كبيرة جدًا، ومما ساعد على نجاحِ هذا المشروع هو التالي:

١- أنه مشروع تصحيحي:

لقد انتهج مشروع المسيرة القرآنية منهج الإصلاح والتحرر من جميع القيود التي يمكن أنْ تحول دون ذلك. وقد ركز بدءًا على التصحيح الثقافي كخطوةٍ أولى، لأن الأمة تتحرك في واقعها بناءً على قناعاتها، «والقناعات والرؤى المغلوطة يترتب عليها نتائج سيئة في الواقع»[١].

وأهدى ما يمكن الاعتماد عليه للتصحيح الثقافي هو القرآن الكريم الذي يمثل مرجعًا ودستورًا راقيًا يسعى لتحسين واقع البشرية جمعاء.

٢-ربط القرآن الكريم بواقع العمل:

وهذا من عوامل النجاح والتي أثرت على الواقع العملي للحركة وليس مجرد التنظير والنقد. «فهو عندما قدم المشروع القرآني قدمه في واقع العمل، لم يقدمه بعيدًا عن الواقع العملي، لم يقدمه كرؤية يصيغها ويكتبها ويطبعها ثم يرسلها إلى المكاتب لتبقى هناك حبيسة الأدراج وتباع للتداول المحدود»[٢].

ويقول السيد عبد الملك متحدثًا عن السيد حسين ومشروعه القرآني: «وهذا المشروع القرآني العظيم الذي تحرك به وقدمه للأمة في مقام العمل، في مقامِ الموقف في الميدان في الساحة «[٣].

٣- محورية النص القرآني:

وهذا مما أعطى المشروع حيويةً وفاعلية، حيث استند إلى محورية النص القرآني في كل مبادئه وأدبياته.

---

(١) يحيى قاسم أبو عواضة، **المشروع القرآني في مواجهة الاستعمار الجديد**، الصفحة ٤٠.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ٤١.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ٤٢.

يقول السيد عبد الملك بدالدين الحوثي: «فكان يقدم النص القرآني ثم ينطلق من جوهر هذا النص القرآني، من هديه من نوره من مضامينه إلى الواقع، يقيّم هذا الواقع، يشخّص هذا الواقع، يحدد الموقف اللازم، وكل ذلك من خلال النص القرآني، فكان النص القرآني وفي حالة متميزة لا نعلم لها في عصرنا وواقعنا نظيرًا لدى الآخرين فيما عرفناه واطلعنا عليه وفيما اشتهر ونزل إلى الواقع»[١].

أيضًا فقد أرسى السيد حسين الحوثي قاعدة أساسية ومهمة شكلت من هذا المشروع مشروعًا جذابًا وهو حاكمية القرآن وهيمنته، «لأنه للأسف الشديد في واقع الأمة يبقى التعاطي مع القرآن الكريم إلى حد كبير متأثرًا ومحكومًا بثقافات أخرى، بأيديولوجيات أخرى، بمبادئ ثقافية، مبادئ وثقافات وأسس فكرية وثقافية ومذهبية أخرى»[٢].

«أما الطريقة التي سلكها السيد حسين الحوثي فهي أن يؤسس للعودة إلى القرآن الكريم ليكون فوق كل ثقافة، فوق كل فكر، فوق كل رمز، وعمليًا نقد الأشياء الكثيرة حتى على مستوى المذهب الذي ينتمي إليه أي شيء يخالف القرآن الكريم أسّس لأن يكون محل نقد، أي شيء يخالف النص القرآني، وأن نعلّم الآخرين كيف يتعاملون مع القرآن الكريم، يتعاملون مع القرآن الكريم على هذا الأساس ليجعلوا القرآن الكريم حاكمًا على ما بين أيديهم من فكر وثقافة وأسس»[٣]..

---

(١) المصدر نفسه، الصفحة ٤٢.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ٤٥.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ٤٥.

وبذلك استطاع المشروع القرآني أن يبرز كنموذج قرآني يحتكم للقرآن الكريم ويتخذ من النص القرآني محورًا له في عمليتي الإصلاح والتغيير وتجسيد سنن القرآن واقعًا وتطبيقًا عمليًا.

ومن هنا يُمكننا القول إن مستقبل حركة أنصار الله في اليمن سيكون لها تأثير كبير على المستوى المحلي في تكوين الدولة اليمنية، وعلى مستوى تحديد مصير الأمة العربية والإسلامية؛ كون هذه الحركة تنتمي إلى الإسلام وإلى المسيرة القرآنية التي تحمل القيم والمبادئ الثابتة في الموقف والخطاب، ولها تطلعاتها التي تطمح أن تصل إليها ويكون لها موقف من جميع الأحداث التي تتعلق بالمصير العربي أو الإسلامي لكل البلدان.

الخاتمة

ويحسن بنا أن نختم هذه الدراسة في إطارها المنهجي والعلمي لمُعالجة هـذا البحث تحت عنوان «التغيير الاجتماعي على ضوء القرآن الكريم - الحالة اليمنية نموذجًا»، باستخلاصات ونتائج مُهمة، كشف عنها هذا المسار الدقيق في الفصول الثلاثة، من عرض وتحليل النظريات الاجتماعية، ثم استكشاف النظرية القرآنية في التغيير الاجتماعي، فتحليل المشروع التغييري لحركة أنصار الله اليمنية.

وقد دلّنا هذا البحث على طرق ميسرة للتعامل مع التحدّيات المُحدقة بهذه الأمّة والأزمات الاجتماعية والثقافية لدى الشعوب، وذلك بتغيير الفكر والفعل الإنساني ومراقبتهما لترشيدهما قبل تبنيهما أو صدورهما، ومن ثم محاولة تقويمهما إن أعوجّا لكي نستفيد من السببية القائمة بين أفكارنا وأفعالنا من جهة وما يمكن أن توجده هذه المعارف والأفعال من تغييرات كونية واجتماعية وفقًا للسنن الإلهية التي لا تختلف ولا تتخلّف من جهة أخرى.

والرؤى المطروحة هنا ليست أفكارًا مثالية بل واقعيات انطوت عليها نصوص قرآنية كما اشتملت عليها كتب سماوية، وحتى العقائد الدينية المنتشرة حول العالم، وتؤكدها الفكرة السليمة. وقد ركّزنا بشكل رئيسي

وكتبنا صياغتها كنظرية إنسانية وإسلامية لنؤكد على أن التغيير الاجتماعي ليس حالة دينية فقط بل هو حالة ارتبطت بالوجود الإنساني، فكما خرج آدم من الجنة بعمل خاطئ بعد أن وقع في خديعة فكرية، كذلك يمكن أن تقع المجتمعات في مستنقعات الرذيلة وتفقد نعيمها إلى فقر أبدي ويصبح ماؤها غورًا في الحالات السلبية، أو تعود إلى نعيم وروح وريحان في النموذج الأمثل والإيجابي، فلا ضمان لأيّ مجتمع أو أمّة بنمط عيش معين أبد الدهر بل الأمر رهن بفكر الإنسان وعمله، ومن هنا جاء الاهتمام القرآني بالإصلاح والتغيير الاجتماعي كي تكون المبادئ والقيم نافعة وصالحة للمجتمعات والشعوب.

وإن كل تغيير يحدث في المجتمع هو نتاج لأمرين هما الفكر والسلوك الإنساني القابلان للتغيير، ومتى ما تغيّر الإنسان في نفسه فكرًا وسلوكًا وعملًا تغيّرت الكثير من الأمـور حوله وفقًا للتغييرات الداخلية والباطنية للإنسان، والغاية من النصوص القرآنية هو الإصلاح والتغيير المجتمعي، وقد كانت بعثة الأنبياء عليهم السلام لهذا الغرض الهام، وهذا ما أكدته سيرة جميع المُصلحين الذين تحرّكوا لإصلاح الأمّة، وإن عملية التغيير كونية دائمة ومستمرة ومُقدّرة من الحقّ سبحانه كالكثير من السُّنن الكونية الثابتة التي لا تختلف ولا تتخلّف وليس بمقدور أيّ مخلوق أن يوقفها أو يغيرها. ولكي تبقى السُنة تتغيّر بشكل دائم وشامل لكل الحالات كلما انطبقت الأسباب والنتائج، وأن حدود التغيير تصل إلى كل المجتمعات والشعوب من حيث الكم والكيف ولا تقف عند حدود زمانية أو مكانية مُعينة، فكل ما يصدّق عليه أنّه ممكن، يمكن أن يكون عرضة للتغيير الإيجابي أو السلبي بناءً على العوامل والمُسببات.

النتائج

أولًا: إن السُّنن الإلهية تلعب دورًا كبيرًا في معرفة التغيير الاجتماعي، واستشراف المستقبل، ويستطيع الإنسان أن يستفيد منها بتسخيرها لصالح المجتمع والبيئة والحياة الإنسانية. وهذا ما لاحظناه في حركة أنصار الله كونها سعت بشكل كبير لأن تستفيد من السُّنن الإلهية والقرآنية في تغيير المجتمع اليمني على أسس وقيم قرآنية ثابتة، وعلى رؤيـة إسلامية تحمل المبادئ الإصلاحية والنموذجية في تقديمها للمجتمع.

ثانيًا: السُّنن الإلهية بأشكالها الثلاثة الشرطية والمتحققة والتاريخية كلها يمكن أن يستفاد منها إما بتسخيرها بالكامل، أو بالسير وفق معطياتها. ونلاحظ أن العامل الغيبي له أهمية كبيرة، فالمدد الإلهي والربّاني والآثار الغيبية يمكن أن تتحكّم في كثير من الأحوال في مصير الأمّة، وآثارها لا تقلّ أهمية عن آثار العوامل المادية إن لم تتفوق عليها.

ثالثًا: الانحراف الفكري والثقافي في المجتمع أدّى إلى الكثير من الانحرافات الاجتماعية والتي سببت ظهور الكثير من المشاكل والحروب والفتن، ولذلك كان للدين والعقيدة أثر كبير في نموّ وتطور عملية الإصلاح والتغيير الاجتماعي، ومعالجة الانحرافات الفكرية والمعرفية لأنها عملية تكاملية ترمي إلى بلوغ الإنسان إلى حدّ الكمال ليكون خليفة الله في أرضه. وهذا ما سعى إليه أنصار الله إذ عالجوا الكثير من الانحرافات الفكرية والاجتماعية في اليمن، وقدّموا نموذجًا قرآنيًّا يعالج هذه المشاكل والتحدّيات بصورة نموذجية يتقبّلها جميع أبناء الشعب اليمني بصورة جماعية ومُوحّدة.

رابعًا: إن الفعل الإنساني له أثر واقعي ويرتبط أحيانًا ببعض القوى الغيبية، وما توجيه الأنبياء والمصلحين الاجتماعيين إلا لترشيد الفعل الإنساني وإخراجه من القوّة للفعل وقيادة الإنسان إلى الكمال، وإن التغيير يجب أن يكون شاملًا لجميع جوانب الحياة الاجتماعية، وما تركيز الأنبياء على بعض الظواهر الاجتماعية إلا نوع من الاهتمام بها، ولا يعني إهمال المواضيع الأخرى.

خامسًا: الإسلام الجامع له أصول ثابتة في كل الديانات السماوية، وأهم تلك الأصول العدل والتقوى إذ يجب على كل مجتمع أن ينشد الإصلاح، وأن يعمل على أصول القيم الإسلامية التي تسعى إلى العدالة الاجتماعية وفق الرؤية القرآنية لأن نظام الكون قائم على العدل والميزان في كل شيء وهو مطابق لقانون النظم العقائدي، وإننا نجد النظام والعدالة والميزان في كل شيء من الذرة إلى المجرة.

سادسًا: من خلال تتبع النظريات في التغيير الاجتماعي نلاحظ أن لا وجود لأُحادية الأثر في التغيير الاجتماعي، فلا الجنس الفرويدي ولا التاريخ الخلدوني ولا الديالكتيك الماركسي يمكن أن يكون صاحب الأثر الوحيد في عملية التغيير لا باستقلالهم ولا باجتماعهم جميعًا، لأن عملية التغيير منظومة متكاملة المعاني وتحتاج إلى رؤية دقيقة في طرحها للتغيير والإصلاح المجتمعي ولأن التغيير يجب أن يكون شاملًا كاملًا لجميع جوانب الحياة الاجتماعية.

سابعًا: إن نموذج حركة أنصار الله في اليمن، والتي تعتمد بشكل أساسي على الفكر القرآني كونها مسيرة قرآنية، جعلت من القيم والأسس القرآنية منهاجًا أساسيًا لحركتها ولبنائها ولرؤيتها المستقبلية، وهذا ما لاحظناه من خلال الأدبيات التي تحملها في بناء روحية المجتمع اليمني

القائم على الثقافة القرآنية، ولذا كان التغيير الاجتماعي الذي لاحظناه في الفترات الأخيرة مؤثرًا على أبناء الشعب اليمني كون المنهجية التغييرية والإصلاحية قائمة على قيم إسلامية أصيلة - ربط المجتمع بتاريخه وقيمه الدينية - وعلى رؤية قرآنية متكاملة في الفكر والسلوك ومطبقة على جميع أعضاء الحركة.

ثامنًا: لقد قدّمت حركة أنصار الله نموذجًا قرآنيًا راقيًا في الفكر والسلوك وفي المنهجية التطبيقة للتغيير الاجتماعي للعمل من خلال الشعارات الإسلامية، والنشاطات الثقافية، وربطها بالعمل السياسي كون مشروع أنصار الله يشمل جميع الجوانب السياسية والثقافية والفكرية. وما يميز حركة أنصار الله عن غيرها من الحركات الإسلامية الإصلاحية كونها تعتمد رؤية شاملة لكل الأبعاد الاجتماعية والتاريخية والدينية، ولها قيادة حكيمة تعتمد على القيم القرآنية في نهجها ورؤيتها، ولها مشروع لأمة تقوم على أسس الاستنهاض والمقاومة من أجل كرامة الإنسان، وأنها جماعة منظمة وليست تنظيمًا، ولهذا فهي تعني كل الحركات الإسلامية – التحرّرية التي تقوم على مبدأ العدالة الاجتماعية والحرية والسيادة.

تاسعًا: حركة أنصار الله قدمت مشروعًا قرآنيا نهضويًا إحيائيا ً حضاريًا يتجاوز ما هو قائم في الواقع اليمني، وامتداداته العربية على صعيد النظريات والأفكار السياسية والفكرية التي شاخت وتكلست ولم تعالج التحديات في واقع اليوم.

عاشرًا: حركة أنصار الله استطاعت على الصعيد النظري والفكري أن تتجاوز فخ المذهبية والقطرية لتكون حركة إحياء إسلامية إنسانية عالمية، تقدّم من منطلقات قرآنية الحلول والمعالجات لما تعانية الأمة من استلاب وتبعية وانحطاط حضاري.

حادي عشر: إن حركة أنصار الله ومن خلال النموذج الفريد في القيادة والحركة والموقف السياسي والفكري والاجتماعي والثقافي الذي قدّمته في مواجهة التحدّيات التي واجهتها في الواقع اليمني سرعان ما وجدت استجابة لدى مختلف أطياف المجتمع اليمني، فأصبحت الحركة وفي زمن وجيز حقيقة سياسية وثقافية يمنية راسخة.

وفي نهاية البحث لا بدّ من طرح بعض الأسئلة كأفق يفتح للباحثين والمفكرين في علوم الاجتماع، وقضايا لا تزال بحاجة إلى الدراسة بشكل أكبر انطلاقًا من النتائج التي وصلنا إليها، وهي:

أ. إلى أيّ مدى يكشف مستقبل الأحداث عن هذه القراءة الاستشرافية لمستقبل حركة أنصار الله؟

ب. كيف سينمو ويتطوّر الفكر السياسي لحركة أنصار الله ومشروعها التغييري في ضوء التطورات المحتملة في المنطقة؟

ت. ما مدى حجم تأثير حركة أنصار الله والتجربة اليمنية عمومًا على مستقبل شبه الجزيرة العربية؟

الحمد لله رب العالمين، وأحمده حمدًا كثيرًا، وأشكره على أن وفّقني لإتمام هذا الدراسة القرآنية الاجتماعية والموسومة بعنوان: «التغيير الاجتماعي على ضوء القرآن الكريم - الحالة اليمنية نموذجًا». وهذه خطوة إيجابية في طريق العلم والمعرفة، ومعالجة مشاكلنا الفكرية والأخلاقية المؤثرة في حياتنا الاجتماعية والعملية. ولا زلنا بحاجة إلى الجُهد الكبير، والعمل الكثير، والسير بكثير من الخطوات الفكرية الخلاّقة لكي تسهم في بناء المعرفة في هذا المضمار وتُعين المُصلحين من أبناء الأمّة الإسلامية على وضع الخطط والبرامج المنهجية والعلمية لعملية الإصلاح الاجتماعي.

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- دينكن ميتشل، **معجم علم الاجتماع**، ترجمة إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت، الطبعة ٢، ١٩٨٦م.

٣- ابن خلدون، عبد الرحمن، **مقدمة ابن خلدون**، الطبعة ١، المكتبة العصرية للنشر، بيروت.

٤- ابن منظور، **لسان العرب**، الجزء ٧، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠م.

٥- ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، الطبعة ١، بيروت، دار صادر للطباعة.

٦- أبو عواضة، يحيى قاسم، **صفحات مشرقة من حياة السيد حسين الحوثي**، الطبعة الأولى، مؤسسة الشهيد زيد مصلح، صعدة اليمن، ٢٠١٤.

٧- أبو عواضة، يحيى قاسم، **أنصار الله القيادة والمشروع**، الطبعة الأولى، صعدة، اليمن، ٢٠١٤.

٨- الآراكـي، الشيخ محسن، **نظرية النص على الإمامة في القرآن**، منشورات بوك اكسترا، لندن، الطبعة ١.

٩- آملي، جوادي، **محاضراته في تهذيب الروح**، محاضرة رقم ١، تسجيلات مكتبة التبليغات، قم.

١٠- الزجاج، إبراهيم بن السري المعروف بأبي إسحق، **معاني القران**، الطبعة ١، عالم الكتب، بيروت، ٢٠١٠.

١١- بدوي، أحمد زكي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، انجليزي فرنسي عربي، بيروت، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، ١٩٨٢.

١٢- بدوي، د. أم الخير، مجلة التغيير الاجتماعي (رؤية نظرية)، جامعة بسكرة، الجزائر.

١٣- بركات، د. حليم، **المجتمع العربي في القرن العشرين**، منشورات مركز الدراسات، الطبعة ٣، ١٩٩٢.

١٤- بن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤.

١٥- البهشتي، محمد الحسيني، **المفروض والمرفوض في المنظور القرآني**، ترجمة لجنة الهدى، دار الهادي، الطبعة ١.

١٦- البوطي، د. محمد سعيد، كينغ، د. هانز، **دور الأديان**، الطبعة ١، دمشق، دار الفكر للنشر.

١٧- البيومي، صلاح، **التنشئة والشخصية للطفل بين الواقع والمستقبل**، دار المعارف، بدون سنة.

١٨- الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي، **الأمثال من الكتاب والسنة**، الطبعة ٢، دار ابن زيدون، بيروت.

١٩- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٢٠- الجوهري، عبد الهادي وآخرون، **دراسات في التنمية الاجتماعية**، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٩م.

٢١- حجي، طارق، **قيم التقدم**، دار المعارف،٢٠٠١.

٢٢- الحكيم، محمد باقر، **علوم القرآن**، مؤسسة الهادي، قم، الطبعة ٣.

٢٣- حليم، عبد الجليل، **التحديث القروي ورأسملة الزراعة المغربية**، سلسلة ندوات ومناظرات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس، رقم ١٠، ١٩٨٨.

٢٤- الحوثي، حسين، محاضرة من هدى القرآن سورة الأنعام، الدرس الرابع والعشرون، سنة ٢٠٠٣م.

٢٥- الحوثي، حسين، محاضرة من هدى القرآن سورة البقرة، الدرس الثالث، سنة ٢٠٠٣م.

٢٦- الحوثي، حسين، محاضرة من هدى القرآن سورة النساء، الدرس الثامن عشر، سنة ٢٠٠٣م.

٢٧- الحوثي، حسين، محاضرة مديح القرآن، الدرس الثاني، ٢٠٠٢.

٢٨- الخشّاب، أحمد، **التغيّر الاجتماعي**، مصر، المكتبة الثقافية،١٩٧١م.

٢٩- خلف، عبد الجواد، **قـراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع**، القاهرة، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية.

٣٠- الخميني، الإمام روح الله الموسوي، **الآداب المعنوية للصلاة**، دار الكتاب الإسلامي، قم.

٣١- دستغيب، عبد الحسين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الدار الإسلامية، الطبعة الأولى.

٣٢- دقس (ال)، محمد، **التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق**، الطبعة ١، عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٨٧.

٣٣- ذهبية، موسى، **المسنون في مركز العجزة**، دراسة ميدانية في كل من مركز دالي إبراهيم وديار الرحمة ببئر خادم، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الثقافي، جامعة البليدة، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، السنة الجامعية ٢٠٠٤، غير منشورة.

٣٤- الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، **التفسير الكبير**، بيروت، الطبعة ٣، دار إحياء التراث العربي، ٢٠١٠.

٣٥- الريشهري، محمد، **ميزان الحكمة**، دار الحديث، قم، الطبعة ١، ١٤٢٢هـ.

٣٦- ريمون بودون وفرانسوا بوريكو، **المعجم النقدي لعلم الاجتماع**، ترجمة: سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٦.

٣٧- الزركشي، بدر الدين بن محمد، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل، الطبعة ١، القاهرة ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية، ثم صورته دار المعرفة في بيروت ٢٠١٢.

٣٨- الزغبي، محمد أحمد، **التغيّر الاجتماعي**، بيروت، دار الطليعة للنشر والطباعة، ١٩٧٨.

٣٩- السعدي، عبد الرحمن، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، الطبعة ١، دار ابن حزم، ٢٠١٣.

٤٠- سلام، محمد شكري، «سوسيولوجيا التحديث والتغير في المجتمع القروي»، مجلة عالم الفكر، العدد: ٣، المجلد ٣٠، يناير- فبراير، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٢.

٤١- السيد، عبد العاطي السيد، **المجتمع والثقافة والشخصية**، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، بدون سنة.

٤٢- السيد أحمد، عزت، «القيم بين التغيّر والتغيير: المفاهيم والخصائص والآليات»، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٧، العددان الأول والثاني ٢٠١١.

٤٣- الشافعي، محمد بن إدريس، **ديوان الشافعي**، الطبعة ١، دار النور، بيروت.

٤٤- الشايب، عبد الرؤوف، **القرآن والتغيير الاجتماعي (دراسة تحليلية مقارنة)**، الطبعة ١، بيروت، دار المحجة البيضاء.

٤٥- الشخيبي، علي السيد، **في اجتماعيات التربية**، دار الفكر، الأردن، ٢٠٠٩.

٤٦- الشرتوني، سعيد الخوري، **أقرب الموارد**، طهران، الطبعة ٢، دار الأسوة.

٤٧- شرقي، محمد، **التحولات الاجتماعية بالمغرب من التضامن القبلي إلى الفردانية**، الدار البيضاء، أفريقيا.

٤٨- الصدر، محمد باقر، **السنن التاريخية في القرآن**، دار التعارف، بيروت.

٤٩- الصدر، محمد باقر، **فلسفتنا**، الطبعة ١٢، دار التعارف للنشر، بيروت.

٥٠- الصدر، محمد باقر، **المدرسة الإسلامية**، الطبعة ١، المجموعة الكاملة، دار التعارف، بيروت.

٥١- صنقور، الشيخ محمد، **المعجم الأصولي**، الطبعة ٢، منشورات نقش، ايران.

٥٢- الطباطبائي، محمد حسين، **الإسلام ومتطلبات التغيير الاجتماعي**، طهران، مؤسسة البعثة للنشر.

٥٣- الطباطبائي، محمد حسين، **الإسلام ومتطلبات التغيير**، دار الولاء للطباعة والنشر، ٢٠١٧، الطبعة ٢، بيروت.

٥٤- الطباطبائي، محمد حسين، **الميزان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٥٥- طبال، د. لطفية، «التغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم الاجتماعية»، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد الثاني، الجزائر، ٢٠١٢.

٥٦- الطبرسي، الفضل بن الحسن، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٦م.

٥٧- الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، دار المعرفة بيروت، الطبعة ٣، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٥٨- الطوسي، أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، بيروت، ٢٠١٠م.

٥٩- العاتي، د. إبراهيم، **المذاهب الفلسفية**، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، كلية الشريعة.

٦٠- العاملي، الشيخ الحرّ، **وسائل الشيعة**، الطبعة ٣، موسسة أهل البيت للنشر، الجزء ١٦.

٦١- عبّاس، فضل حسن، **القصص القرآنيّ إيحاؤه ونفحاته**، دار الفرقان، عمّان- الأردنّ، الطبعة ١.

٦٢- عبد الحميد، د. حسين، **التغيّر الاجتماعي والتنمية السياسية**، الإسكندرية، المكتب الجامعي، ١٩٨٨.

٦٣- العسل، إبراهيم، **الأسس النظرية والأساليب التطبيقية في علم الاجتماع**، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٧.

٦٤- العمر، معن خليل، **التغيير الاجتماعي**، الطبعة ١، عمّان الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.

٦٥- العمراني، محمد بن اسماعيل، **الزيدية باليمن**، ١٩٩٠م، الطبعة الأولى، صنعاء، مكتبة دار التراث.

٦٦- الفارابي، اسماعيل بن حماد، **الصحاح في اللغة**، بيروت، الطبعة ٤، دار إحياء التراث.

٦٧- فضل الله، محمد حسين، **من وحي القرآن**، دار الملاك للنشر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٩٨.

٦٨- القرطبي، أبو عبد الله، **الجامع لأحكام القرآن**، مؤسسة الرسالة، الطبعة ١، دار عالم الكتب، ٢٠٠٦م.

٦٩- قطب، السيد، **التصوير الفني في القرآن**، دار الشروق، القاهرة، الطبعة ١٤، ١٩٩٣.

٧٠- قطب، السيد، **دراسات إسلامية**، دار الشروق، بيروت، ١٩٧٣.

٧١- قطب، السيد، **في ظلال القرآن**، المجلد ٢، الطبعة ١٥، طبعة دار الشروق.

٧٢- قطب، السيد، **مقومات التصور الإسلامي**، الطبعة ١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٦م.

٧٣- القمِّي النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد، **غرائب القرآن ورغائب القرآن**، بهامش «جامع البيان» للطبري أعلاه، ت ٤١٠.

٧٤- الكرباسي، محمد صادق، **شريعة الاجتماع**، بيروت، الطبعة ١، بيت العلم للنابهين.

٧٥- كرم، يوسف، **تاريخ الفلسفة اليونانية**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦.

٧٦- كريستوفر، م. ديفيدسون، **ما بعد الشيوخ الانهيار المقبل للمالك الخليجية**، الطبعة الأولى، بيروت، نوفمبر، ٢٠١٤، مركز أوال للدراسات والتوثيق.

٧٧- الكليني، محمد بن يعقوب، **أصول الكافي**، دار الكتب الاسلامية، طهران، ١٣٨٨، المكتبة الشيعية.

٧٨- لكلرك، جيرار، **الأنتروبولوجيا والاستعمار**، ترجمة: د. جورج كتورة، بيروت، الطبعة ١، معهد الإنماء العربي، ١٩٨٢.

٧٩- المجلسي، محمد باقر، **بحار الأنوار**، الطبعة ١، إحياء الكتب الإسلامية للنشر.

٨٠- المجمع العالمي لأهل البيت، **أعلام الهداية**، الطبعة ٦، المعاونية للنشر، بيروت.

٨١- ابن سيده، علي بن إسماعيل، **المحكم والمحيط الأعظم**، الجزء ٦، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

٨٢- الماحوزي، الشيخ أحمد، **حقيقة الأسماء الحسنى**، مؤسسة عاشوراء، الطبعة ١.

٨٣- محمد، محمد علي وآخـرون، **دراسـات في التغير الاجتماعي**، الإسكندرية، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٤.

٨٤- مدكور، إبراهيم، **معجم العلوم الاجتماعية**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م.

٨٥- معلوف، لويس، **المنجد في اللغة والأعلام**، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦.

٨٦- معلوف، لويس، **المنجد في اللغة والأعلام**، الطبعة الثالثة والثلاثون، دار المشرق للنشر، بيروت، عام ١٩٩٢.

٨٧- النكلاوي، أحمد، **التغير والبناء الاجتماعي**، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٨.

٨٨- الوشلي، د. عبد الوهاب، **قراءة في الفكر السياسي لأنصار الله**، الطبعة الأولى، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠١٥.

89- H.. Mendras le changement social: tendances et paradigmes ed Armand colin paris 1985.

المواقع الالكترونية

١- أبو عواضة، يحيى قاسم، المشروع القرآني في مواجهة الاستعمار الجديد، دائـرة الثقافة القرآنية، موقع أنصار الله، http://www. ./ansarollah. com/archives/tag

٢- موقع الواحة، http://www. alwahamag. com.

٣- موقع العرب، https://www. alarab.

٤- موقع الألـوكـة، https://www. alukah. net/publications_ competitions/0/37 004/.. .

٥- موقع المركز الوطني للمعلومات، http://www. yemen-nic. info/.

٦- موقع الدائرة الثقافية لأنصار الله، http://www. ansarollah. com/ ./archives/tag

٧- موقع المسيرة نت، https://www. almasirah. net.

٨- موقع يمانيون، https://www. yamanyoon. com.

٩- مركز الدراسات الاستراتيجية والاستشارية اليمني، مجلة مقاربات سياسية، العدد١، صنعاء، http://www. yecscs. com/.

١٠- معجم المعاني الجامع، موقع نت:

https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D985%%D8%AC%D8%AA%D985%%D8%B9.

١١- موقع يمنات، http://yemenat. net/.

١٢- صحيفة الأخبار اللبنانية، https://www. al-akhbar. com/.